

القراءات المعاصرة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير

تأليف

الدكتور محمد محمود كالو

تقديم

الأستاذ الدكتور أبو لبابة الطاهر صالح حسين

الدكتور عبد العزيز بن علي الحربي

دار اليمان

القراءات المعاصرة

للقرآن الكريم

في ضوء ضوابط التفسير

تأليف

الدكتور محمد محمود كالو

تقديم

الأستاذ الدكتور أبو لبابة الطاهر صالح حسين

رئيس جامعة الزيتونة سابقاً
والأستاذ في جامعة الإمارات العربية المتحدة

الدكتور عبد العزيز بن علي الحربي

أستاذ القراءات والتفسير بجامعة أم القرى بمكة المكرمة
ومدير مركز إحياء التراث الإسلامي






القراءات المعاصرة
للقرآن الكريم
في ضوء ضوابط التفسير

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا - حلب - منبج - ص.ب ١٩١ - جوال ٠٩٤٥٤٤٢٥٦٩
E-mail:alyaman73@hotmail.com



الإهداء



إلى أبويَّ .. اللذين غرسا في قلبي محبة الحق ، وربياني على الإيمان ومكارم الأخلاق .

إلى أبنائي .. الذين هم قرة عيني وفخر عمري، علمتهم ما تعلمت، وأدبتهم بما تأدبت .

إلى أمتي .. التي أعطتني أصالتها، وكانت ولا تزال، خير أمة أخرجت للناس .

إلى أحبابي وأصدقائي .. الذين تعلّقت جوارحي بجوانحهم، فملؤوا قلبي حباً وبهجة .

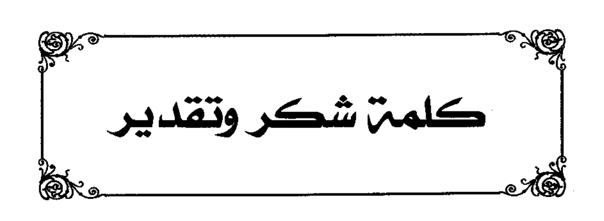
إلى كل مسلم .. بدأت حضارته بكلمة « اقرأ » .

إلى مدرستي .. التي سقتني لبن التوحيد حتى ارتويت .

إلى أساتذتي الأفاضل .. الذين علموني المبادئ قبل تلقيني العلوم .

جميعهم جديرون بالإهداء ..

ولكني ... وجدتُّني أشدَّ ارتباطاً، وتعلقاً بحبيبي، ونور قلبي، وشفيعي **محمد بن عبد الله** ﷺ، منه كانت هدايتي، وإليه أرفع هديتي، راجياً من الله تعالى أن يضعه في ميزان حسناتي .



كلمة شكر وتقدير

أحمد الله تعالى وأشكره على ما وفقني به من القيام بهذا البحث، خدمة للقرآن والإسلام، وعلى ما أنعم به علي من الصحة والفراغ، وأصلي وأسلم على نبينا محمد ﷺ سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.. وبعد :

فإنه من الواجب الديني والإنساني أن أقدم جزيل شكري وتقديري إلى جامعتنا الحبيبة «جامعة الجنان» على ما قدمته لي ولغيري من أبناء المسلمين، من تربية إسلامية، وثقافة علمية، ومساعدة روحية.

كما لا أنسى جميل ما قدَّمه الأستاذ الدكتور عبد المنعم بشناتي، المشرف على هذه الرسالة، من توجيه وإرشاد، وقد منحني من وقته الثمين ما يفوق كل تقدير.

ولا يفوتني الشكر لكلية الآداب والعلوم الإنسانية، ممثلة في القائمين عليها، والأساتذة الكرام، والمشايخ الأفاضل، لما قدموا لي من توجيهات ونصائح، فجزاهم الله خير الجزاء.

كما لا أنسى أن أقدم شكري وتقديري لكل من ساهم بمساعدة مباشرة أو غير مباشرة، معنوية أو مادية، في سبيل إخراج هذه الكتاب بهذا الثوب الجميل.

وأخص بالذكر منهم، الأخ الفاضل عبد الله إبراهيم المغلاج، الذي اقتطع من خاصة وقته، وأجهد نفسه، حتى يستوي هذا البحث على سوقه، والشكر موصول لدار اليمان ولصاحبها الأخ الفاضل محمود محمد جميل الكسِّر، لاهتمامه بنشر هذا الكتاب وإخراجه في أبهى حُلّة، فجزى الله الجميع خير الجزاء، وأعانهم جميعاً على كل ما يقومون به من أعمال جليلة.

وأسأل الله العلي القدير أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، ويتقبله قبولاً حسناً، وينفع قارئه وكاتبه، إنه سميع مجيب .

تقديم

الأستاذ الدكتور / أبولبابة الطاهر صالح حسين ـ حفظه الله

رئيس جامعة الزيتونة سابقًا ـ أستاذ بجامعة الإمارات العربيّة المتحدة .

لقد تعرّضتْ بلادُ الإسلام منذ بدايات القرن التاسع عشر للميلاد إلى غاراتٍ متتاليةٍ مِنَ التغريب و محاولاتِ طمسِ الهويّةِ، وقد استطاعتْ جحافلُ الاستشراقِ وفرقُ التنصيرِ مدعومةً من القوّة العسكريّة للاستعمار، ومن خلال مدارس الإرساليات الغربيّة التي يرعاها القساوسةُ المُدَرّبون والتي انتشرتْ في مشارقِ البلاد الإسلاميّة ومَغَارِبِهَا انتشارَ السرطان في الجسم السليم، تخريجَ جيل من أبناء المسلمين متشبّعٍ بروح الغَرْبِ وتصوُّرَاته المُعَاديةِ للإسلام، والمشكّكةِ في ثوابته ومُسَلّماته.

وأمام انكشافِ الاستشراق وفشله في محاربة الإسلام دَفَعَ بتلاميذه ومريديه من هذه النابتة سيئة المعتقد لهدم الإسلام من الداخل، فكانت تطفو على السطح في البداية مقالةٌ سيئةٌ هنا، وكتابٌ منحرف عن منهج الإسلام هناك، ثمّ بتقدّم الزمن وهيمنةِ «الأَمْرَكَةِ» أو ما يُسمّى «العولمة» تحوّلت تلك الكتاباتُ إلى طوفان من السموم تكاد تأتي على الأخضر واليابس، تحت شعارات التعصير والبحث العلمي أو المنهج العلمي ونحو ذلك من اليافطات التي ظاهِرُها فيه الرحمة ومن قبلها العذاب، والتي كان آخرها «القراءة المعاصرة للنصّ» .

فتصدّى الغَيَارى من أبناء الإسلام وعلمائه لهذه الهَجْمَةِ المتوحّشة يكشفون زيفَهَا ويُبدون عُوَارَهَا، وكان الدكتور محمد محمود كالو أحدَ هذه

السيوف المظفّرة التي أسهمتْ في نصر دينها وإنقاذ أمّتها من أوحال هذه الضلالات، وقد آثر أن يُمَحِّضَ رسالته لنيل شهادة الدكتوراه لدراسة طائفة من هذه القراءات المعاصرة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير، فوُفِّقَ إلى حدٍّ بعيد، فقد تتبّع أبرزَ أفكار أصحاب هذه القراءات ودَرَسَهَا دراسةً واعية فاحصة متأنّية وناقشها بفكر مُستنير وردّ عليها وفنّد دعاواها بأدلّةٍ واضحة لا تُقاوَمُ من الكتاب العزيز والسنّة الصحيحة.

والذي أعانه على إنجاز بحثه على هذه الصورة المشرّفة اِطِّلاعُهُ الواسع على كتابات هؤلاء المُؤَوِّلَة أصحابِ القراءات المعاصرة، وعلى الجهود التي بذلها النقّادُ في كشف انحرافاتِهِمْ وإبراز جَهْلِهِمْ الفاضح بالشريعة وأصول مُعالجة قضاياها.

وقد عرّف بإيجاز بعدد هامّ من هؤلاء الحداثيين مثل محمد محمود طه مؤسّس الحزب الجمهوري الذي زعم أنّه تلقّى رسالةً عن الله كفاحاً بدون واسطة، والذي اعترض على تطبيق الشريعة في السودان، وزعم أنّ التكليف يسقُطُ عن الإنسان عند اكتمال صلاحِهِ إذ لا داعِيَ للعبادة حينذاك.. وغيرها من المعتقدات الشاذة الفاسدة. ومثل محمد ديب شحرور مهندس التربة والأساسيات، ونصر حامد أبي زيد الذي صدر حكم قضائيّ بردّته، و محمد الشّرْفِي صاحب نظريّة تجفيف منابع التديّن، وعبد المجيد الشرفي ذي الصلات الوثيقة المشبوهة بالدوائر المسيحيّة في روما وبرلين، و محمد أركون وحسَن حنفي وغيرهم.. كما عرّف ببعض المستشرقين من أمثال «ألفونس مجانا» و«ديفيد مرغليوث» المنصّر المتحامل على الإسلام، و«صمويل زويمر» المسرف في تعصّبه ضد الإسلام وغيرهم.

وقد عالج الدكتور محمد كالو عيِّناتٍ من قراءاتِ هؤلاء الحداثيّين بنفَسٍ عِلميٍّ رَصِينٍ، أثبت به جنوحَهُمْ إلى التشكيك في الثوابت، وإثارةِ الشبهات حول المقدّسات، باستخدام أساليبَ تُعوِزُها العلميّةُ والمصداقيّة وينخَرُها التعسُّفُ وانحطاطُ المقصد، حيث سعَوْا لفرض معتقداتهم الجائرة التي لا تُسندها حجّةٌ من عقل ولا يؤيّدها دليل من نقل.

فهذا محمود طه يفتجر القولَ بأنّ **للإسلام رسالتين أولى** نزلتْ بمكّة تتناول العقيدةَ والأخلاقَ وهي خالدةٌ باقية، **وثانية** نزلت بالمدينة تعالج المسائلَ السائدة وقْتَ نزولها وهي مُتغيّرةٌ، فإذا تغيّرت الظروفُ فإنّها تصبح لاغيةً. ويستهوي هذا الوحيُ الشيطانيّ عبدَ المجيد الشرفي فيتعلّقُ بما سمّاه محمود طه الرسالةَ الثانية، ويُطلق عليها هو « الوجه الثاني لرسالة الإسلام » ، ويرى أنّها هي التي ينبغي أن تُفهم فهمًا حديثًا وتُقْرَأَ قراءةً معاصِرَةً ، ثمّ يتقدّم خُطوةً أبعد في هدم الركن الركين للإسلام وهو القرآن، فيشكّكُ في كونه موحًى بلفظه ومعناه، إذ الوحي في زعمه يختصّ بالمعنى القرآنيّ فقط، « أمّا اللفظ فإنّهُ من إنشاء النبيّ [ﷺ] بصفته البشريّة» وينفي كلّيةً حفظَ الله تعالى لفْظَ كتابِهِ ويدّعي أنّ اللفظ نالَهُ التغييرُ البشريُّ « لأنّ وعْدَ الله بالحفظ خاصٌّ بالمعاني دون الألفاظ » .. ثمّ يُسْفِرُ عن هدفه الحقيقيّ وينضمُّ إلى محمد أركون في التشكيك صراحةً في تطابُق القرآن المتداول اليوم بين أيدي المسلمين مع القرآن الذي بلّغه النبيُّ محمد ﷺ للناس.

وإذا كان نصيبُ القرآن الكريم من هؤلاء المؤوّلة الجُدُدِ التشكيكَ في صحّته وسلامته، فإنّ نصيبَ السنّة المشرّفة منهم هو الردُّ كلّيةً..فهذا

عبدُالمجيد الشرفيّ تستهويه مقولةُ محمد توفيق صدقي من « أنّ الإسلام هو القرآن وحده »، وأنّ السنّةَ لا تصلُحُ أن تكون مصدراً للتشريع.

والمفارقةُ أنّ هذا الذي يرفُض أن تكون السنَّةُ مصدراً للأحكام، لا يتورّع عن اتخاذ الحديث الموضوع حجّةً لاتهام الإسلام، كاستخدامه قصّة الغرانيق الموضوعة لتصوير الرسول [ﷺ] زوراً وبهتاناً أنّه رجلُ سياسةٍ براغماتي . جلّ قدره الكريم عمّا يفترون.

كما يرصد الدكتور محمد كالو مواقِفَ أصحابِ هذه القراءاتِ المعاصرةِ من العبادات التي لم تسلَمْ من بُهتانِهِمْ، فهذا محمود طه يزعم أنّ غايةَ الدين هي الارتقاءُ بتديُّن الإنسان روحيّاً في اتجاه مثالِهِ الأعلى وهو الله سبحانَهُ وتعالى فإذا وصل إلى تلك الدرجةِ أصبحتِ النصوصُ الآمرةُ بالعبادات لاغيةً في حقِّهِ، لأنّها استنفدت أغراضَهَا.

أمّا عبد المجيد الشرفي فيرى أنّ الرسول [ﷺ] كان يصلّي على نحو معيّنٍ وكان المسلمون يقتدون به إلا أنّ ذلك لا يعني أنّهم مُلْزَمُون بمواصلة تقليده في كلّ زمانٍ ومكان، وعليه فالمسلم له أن يتعبّد الله بالصفة التي يراها أنسبَ له وأفضل!! بل ويزعم أنّ الصلاة تغيّرت فعلاً، ولم تبق كما كانت في عهد النبيّ [ﷺ] !!.

وحداثيّ آخر هو هشام جعيط صاحب الطامات التي تثير الشفقة، لا يتورّعُ عن القول: إنّ الطقوسَ ـ ويعني بها العبادات ـ تكوّنتْ بعد موت النبيّ [ﷺ] في القرنين الأوّلين للهجرة، وعليه فيُمكن تحويرُها واختصارُها بصفة جذرية!! ولا يحتاجُ ذلك إلا إلى سلطة روحيّة قويّة .

وحول موضوع **النسخ** تضاربت أقوالُ هؤلاء الحداثيّين بين مُثْبِتٍ ونَافٍ، فإذا انساق الصادق بلعيد وراء محمد سعيد العشماوي واستمْرَأَ قولَهُ: إنّ النسخ طال جُلَّ أحكام القرآن فلم يبق منها محكماً إلا ثمانون آيةً، فإنّ جمال البنّا ينفي النسخ كليةً، ويُعِدُّهُ افتئاتاً على القرآن، ويمضي على نهجه سامر الإسلامبولي فينفي النسخ لأنّه ـ في زعمه ـ يخُلُّ بخاتميّة الرسالة، ويدعو إلى حذف مبحث النسخ من علوم القرآن!!.أمّا الطاهر الحدّاد فيُقِرُّ بالنسخ باعتباره مظهراً من مظاهر التطوّر ليتّخذ ذلك تُكَأَةً للدعوة إلى وجوب تطوير الأحكام بتغيّر الظروف التاريخيّة.

والدكتور محمد كالو مشكوراً مأجوراً لم يدّخر وسعاً في تتبع مواقف هؤلاء الحَدَاثِيِّينَ من جملةٍ وافرةٍ من مسائلِ **المعاملات كالربا والحدود** كحدّ الزنا وحدِّ قطع يد السارق، و**أحكامِ الأسرة المسلمة** كتعدّدِ الزوجاتِ والإرثِ وغيرها وقد حشد لها الأدلّة الواضحة التي تُسَفِّهُ تلك القراءاتِ وتثبتُ مجُافَاتِهَا لما هو معلوم من الدين بالضرورة .. فهذا عبد المجيد الشرفيّ يرى أنّ الحدود تخضعُ لضرورات المجتمع وهي متغيّرة، فإذا تغيّرتْ أوضاعُ المجتمع وضروراتُهُ وأخلاقُهُ يُصبحُ الإنسانُ في حلٍّ من تلك العقوبات. ويربط تطبيقَ الأحكام الشرعيّة بمقاصدها، فإذا تحقّق المقصدُ من الحدِّ ومن تحريم الربا ومن العبادات فلا موجب عندها للحدّ ولا لتحريم الربا ولا حتّى للعبادة على الصورة المتداولة.!!. أمّا محمد الشرفي فيحصر معنى الزنا باعتباره جنايةً في حالةٍ واحدةٍ هي وقوعُهُ من متزوّجٍ، وبذلك يفتح البابَ على مصاريعِهِ للزنا ولانتشار الفاحشة في المجتمع المسلم.

أمّا الطاهر الحدّاد فدعا في كتابه « امرأتنا في الشريعة والمجتمع» الذي نشره سنة ١٩٣٠م إلى منع تعدّد الزوجات، وإلى سفور المرأة وتخلّيها عن حجابها، وإلى مساواتها في الإرث بأخيها الذكر، وإلى تأبيد الزواج وغيرها من المزالق والمخالفات الشرعيّة، وقد احتفت الصحف الاستعماريّة المتغرّبة بالكتاب وكالت له ولصاحبه المديح والثناء حتّى أنّ رأس الاشتراكيين بتونس الطبيب اليهودي « كوهين حدريّة » حرّر مقالين في صحيفة تونس الاشتراكيّة الناطقة بالفرنسيّة يشيد فيهما بعبقريّة الحدّاد وبفكره النيّر المتحرّر، أمّا الكنيسة فاحتفت بالكتاب وشجّعت صاحبه وتولّت نشره وتوزيعه في داخل تونس وخارجها.

إنّ هذه الرسالة حافلة بنماذج عديدة من هذه القراءات المتفلّتة من ضوابط الشرع والمتمرّدة على البيان العربيّ، فجاءت صارخةَ المخالفةِ واضحةَ الانحرافِ بعيدةً كلّ البعد عن الإسلام، ولا غَرْوَ فهذا أحدُ رموز هذه المدرسة وهو محمد الشرفي يصرّح بأنّه يسعى إلى **إحداث دين جديد** فهو يدعو إلى وجوب القراءة الجديدة للنصوص حتّى يُشْطَبَ الفهمُ القديمُ الذي توصّل إليه الجيلُ الأوّل من العلماء والفقهاء، ويَحِلُّ محلّه الفهمُ الجديد الذي يصفُهُ بكلّ صفاقة بأنّه « **في حقيقته دين جديد** » .

إنّ من أقوى أسباب انحراف هذه القراءات المعاصرة هو أنّ أصحابَها غرباء عن ميدان الدراسات الشرعيّة، « ومتى كان لغريب عن ميدان أن يُسمّى باحثًا فيه » ؟! ينضاف إلى ذلك فسادُ عقائدهم وعِدَاؤهم السافر للإسلام وأهله، وقدْ جلّى هذا المعنى الدكتور محمد الطالبي - وهو من أخبر الباحثين بهم - فقد

أطلق على هذا الفريق من الباحثين اسم «الانسلاخسلاميّة» ، إشارة إلى انسلاخهم عن الإسلام، واستبراءً لدينه قرّر التصدّي لأحد رموز هؤلاء المنسلخين وهو عبد المجيد الشرفي الذي راجت قراءاته المعاصرة وانتشرت بدعم من بعض الجهات المناوئة للإسلام، فقال عنه بكلّ وضوح: « إنّه مغالط ومتقنّع، ويسعى إلى التلبيس من داخل الثقافة الإسلاميّة، ومن الواجب فضحه » ، وهو وإنّ تعفّف عن تكفيره صراحة إلاّ أنّه قال عنه: «إنّه يرتاب في الكتاب، ومن له ريب في الكتاب ويجعل الإنسان يرتاب في الكتاب ليس من المسلمين »[1].

إنّ التصدّي لهؤلاء المنافقين الجدد وإزالةَ اللثام عن مخطّطاتهم الهدميّة، وخَضْدَ شوكتهم، وكشفَ من يقف وراءهم، لا يقِلُّ أهمّيّةً عن فريضة الجهاد في فلسطين لدحر العدوان الصهيوني الغاصب، و في العراق وأفغانستان لطرد المحتل الصليبي المعتدي على حرمة المسلمين وأوطانهم، وردّ كيد أعوانه من المرتدّين والمتآمرين.

فالشكر كلّ الشكر للدكتور محمد محمود كالو الذي استطاع بكفاءته وصبره ومثابرته وتقصّيه لهذه القراءات المعاصرة أن يرسم لنا خارطة فسيحة الأرجاء حدّد عليها حركة هؤلاء الحداثيين وتتبع أفكارهم الهدّامة وأماط اللثام عن زيفها وتهافتها وانحرافها.. والشكر موصول لجامعة الجنان التي أُعِدَّتْ هذه الرسالةُ القيّمة في رحابها العامر.

أسأل الله جلّ جلالُه أن يكتب لهذه الرسالة القَبول، وأن ينفع بها، ويجعلها في ميزان حسنات صاحبها إنه وليّ ذلك والقادر عليه .

---

(1) مجلّة كلمة تونس ـ عدد٦٢ (٥ أفريل ٢٠٠٨) [حوار مع الدكتور محمد الطالبي ـ حاوره لطفي حيدوري في ١٦ ـ ٢٠٠٨/٠٢]

والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل، وصلّى الله على سيدنا محمد الصادق الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبِعَهُمْ بإحسان ودعا بدعوة الإسلام إلى يوم الدين .

أ. د. أبولبابة حسين

الإمارات العربية المتحدة. العين.

السبت ٢/ ٢/ ١٤٣٠هـ [٢٨/ ٢/ ٢٠٠٩م]



تقديم

الدكتور / عبد العزيز بن علي الحربي - حفظه الله

أستاذ القراءات والتفسير بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

ومدير مركز إحياء التراث الإسلامي.

يأتي هذا الكتاب الذي كُتب بأسلوب سهل وتقسيم حسن في زمن كثر فيه قراءة القرآن وحفاظه، وعُنى فيه بالقرآن طباعة وتفسيراً وحفظاً وتعلماً وتعليماً وجمعاً لرواياته وإتقانه لقراءته . والحمد لله على فضله وطوله .

ولا نشكو – ولله الحمد – من شيء في ذلك، وإنما نشكو من الجرأة على القرآن والإقدام على تفسيره بهوىً وجهل، ففي كل حين يطلع علينا من مطالع الجهالات صيحةُ تفسير جديد باطل ورأي ضعيف فائِل من هنا أو هناك يتبع أصحابه ما تشابه من القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وتحريفه، لا يستندون إلى لغة ولا إلى أثر، لا إلى عقل، ولا إلى نقل .

إنَّ هذا الكتاب يكشف القناع عن وجوه باسرة لا حياء فيها، وعقول فارغة لا فهم فيها، وهل هناك أقلّ حياء وأضعف عقلاً ممن يقول : الله هو الرغيف وهو الهواء وهو الماء وهو حاجة الإنسان وما يتعلق هواه ومنفعته به ؟

الجهل والهوى والضلال، هذه الثلاثة هي من وراء كل قول باطل، وسبب كلّ فساد وإفساد في الأرض .

شكر الله الباحث الدكتور محمد محمود كالو، الذي جلّى هذا الفكر بوضوح وردّ على أصحاب التأويل والتحريف في هذا العصر من دعاة التأويل الزمني الذين يرون أن نصوص الوحي صالحة للزمان الذي نزلت فيه غير صالحة لعصرنا .. وعلى أصحاب التأويل اللغوي الذين يخضعون معاني العربية ودلالاتها لظروف النصّ وزمانه وحال متلقِّيه .. وعلى أصحاب التأويل

المقاصدي الذين يزعمون أن أحكام الشريعة كحد السرقة وتحريم الربا وحدّ الزنا كان الغاية منها زجر المخاطبين وقتئذٍ بما يردعهم، وكان الرادع لهم هو ما تضمنته تلك النصوص، وكان أكل أموال الناس بالباطل شائعا بينهم والأثرة سائدة فيهم فحرم عليهم الرّبا للقضاء على الظلم وضعف التعاون الاقتصادي، هذا هو المقصد أوّل مرَّة، وقد تحقق، وأما اليوم فالرّبا حاجة من حاجات الناس في ظل الاقتصاد العالمي الشائع فيه الربا، وكذلك قطع يد السارق ليس هو الرادع وحده وإنما كان ذلك في زمن العرب الأجلاف الذين يردعهم مثل هذه العقوبة، وأما اليوم فهناك عقوبات كالتشهير والغرامة وغيرها يحقق المقصد ويكفي في زجر المذنب .. إلى آخر تخاليطهم ومخرقتهم .

وبيّن الباحث أيضاً طريقة أصحاب التأويل العلمي، نسبة إلى العلم الحديث فيؤولون النصوص على أساس القوانين العلمية المكتشفة في هذا العصر .

ولم تكن هذه القراءة للتفسير ناشئة في هذا العصر وحده بل كان لها جذور سابقة أصّلها أشباههم منذ عصور، ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، منهم من يريد إفساد الدين وعقول المسلمين وتشكيكهم في كلام ربهم، ومنهم من يريد أن ينصر هواه ومعتقده الذي انجمع عليه قلبه قبل أن يقرأ كلام الله ويفهمه، ومنهم من أراد بإلحاده وشذوذه ومخالفته الشهرةَ والظهورَ ولو بموافقة الشيطان، ومنهم من أراد مؤازرة الأكابر من زعماء الضلال، وظلوا يخوضون في كتاب الله ويفترون على الله سفها بغير علم، ومنهم من ذهب بمعاني الألفاظ إلى مرام بعيدة لا يعضدها لغة ولا يؤيدها وحي ولا ينصرها عقل سويّ .. ألم تر إلى ذلك الجاهل الذي فسر قوله سبحانه : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ

﴿ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ ﴾ [البقرة: ٦٧] ؟ إذ قال : المراد بالبقرة : عائشة ، ثم شرع في تفسير الآيات فيما بقي من الآيات في القصة بما يقتضيه هذا التأويل الباطل والقول الزائف، فلا عقل ولا شرع، ومن تفسير المجانين الذين طمس الله بصائرهم تفسير البابية والبهائية لسورة يوسف، فقد زعم الباب في تفسيره لهذه السورة أنّ المراد بقوله سبحانه منها : ﴿ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ﴾ [يوسف: ٤]، هو الحسن ابن علي بن أبي طالب، وأن المراد بالشمس: فاطمة، وبالقمر: محمد، وبالنجوم: أئمة الحق في أم الكتاب، فهم الذين يبكون على الحسين سجّدا وقياما .. إلى غير ذلك من الخرافات والتخاليط، وهو عين تفسير الباطنية الملاحدة الذين جعلوا للصلاة والزكاة والصوم والحج وكذلك الجنة والنار معاني وأسراراً لا توافق ظاهر المراد منها، ومما يقرب من ذلك تفسير المغالين في الإشارة من أهل التصوف كمن يقول : إن المراد بقوله سبحانه : ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ ﴾ [النمل: ٢٠] معناه : تفقّد قلبه .. ثم أخذ يلوي عنق النصّ ليّاً حتى يستقيم له مراده وتفسيره .

وهؤلاء المعاصرون الذين قرأ الباحث قراءاتهم لكلام الله وما نتج عنها من تحريف وباطل هي وتلك التأويلات الكاذبة الخاطئة من باب واحد ، فهذا أحدهم واسمه « موريس بوكاي » يقول : المقصود بـ « فرعون » : البيت الكبير الذي تسند إليه الأمور كالبيت الأبيض في أمريكا، وهو كناية عن هذه الدولة الكبيرة، أما « هامان » فهو اسم لمنصب رئيس عمال المقالع، ويقول : المراد بالبنون في قوله تعالى : ﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [الكهف:٤٦]

هي الأبنية من الأملاك المنقولة وغير المنقولة، وشرع يؤصل هذا المعنى من خلال تصريف الكلمة – صرف الله قلبه وقلوب أمثاله بأنهم قوم لا يفقهون – في حماقات كثيرة لا يؤيدها لغة ولا عقل، وإنما هو كالذي قال : { فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ تحتهم } فلا علم ولا عقل .

لقد ذكر الباحث في مقدمة بحثه أن من نعم الله على هذا الدين أن قيض له من يهاجمه ويعارضه ويعلمه الحرب عليه بالفكر والقلم وينفق في ذلك الغالي والرخيص للصد عن سبيل الله ولكن سرعان ما تنطفئ نارهم وترتد سهامهم إلى نحورهم ويأتي الله بنيانهم من القواعد، ويكون ما أنفقوا وجندوا عليهم حسرة ثم يغلبون، قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٦] وتلك سنة الله .. ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].

والله المسئول أن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه وأن يهدينا سواء السبيل .

د . عبد العزيز بن علي الحربي

مكة المكرمة ٢٥/٤/١٤٣٠هـ

***

المقدمة

١ ـ أهمية البحث .

٢ ـ سبب اختيار البحث .

٣ ـ الجهود السابقة .

٤ ـ خطة البحث .

٥ ـ منهجي في البحث .



مقدمة

الحمد لله الذي أكرم أهل القرآن بالقرآن، وخلق الإنسان علمه البيان، وأخرس بالقرآن كل لسان ناطق بالبهتان في كل زمان ومكان.

والصلاة والسلام على من أنزل عليه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وعلى آله وصحبه الذين تربوا على مائدة القرآن، وعلموه من جاء بعدهم امتثالاً لقول المصطفى العدنان: « **خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ** »[1].

وبعد:

فلقد أوجب الله تعالى على المسلمين تدبر كتابه، وتكرار النظر فيه، فقال الله سبحانه تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[2].

أما السبب الذي يحول بين المسلم وبين تدبر القرآن الكريم فهو الأقفال الكثيرة التي توضع على القلوب، وهذه الأقفال هي الشهوات والمعاصي والإقبال على الدنيا، وملء القلب من كل ذلك، بحيث لا يبقى فيه متسعاً لتدبر أو هدى أو إيمان، قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[3].

وهذه الآية تدعو أصحاب هذه القلوب إلى تكسير تلك الأقفال وإزالتها، وإلى فتح حنايا قلوبهم لهدي القرآن ونوره وضيائه، لتشرق بالنور وتدب فيها الحياة.

---

(1) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، رقم الحديث: ٤٦٣٩.

(2) سورة النساء: ٨٢.

(3) سورة محمد: ٢٤.

وإني لأخشى أن تتسرب إلينا علل الأمم السابقة التي حذر منها القرآن الكريم حينما قال: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ ﴾[1]، أي: لا يعلمون الكتاب إلا تلاوة وترتيلاً بلا فقه ولا فهم.

إنها الأمية العقلية التي نعيشها اليوم مع القرآن الكريم، والتي تعني ذهاب العلم رغم تقدم فنون الطباعة، ووسائل النشر، وتقنيات التسجيل، ولعل في الجدال الذي وقع بين الرسول ﷺ وصاحبه زياد ابن لبيد[2]، مؤشراً دقيقاً على الأمية العقلية التي صرنا إليها مع كتاب الله عز وجل.

عَنْ زِيَادِ بْنِ لَبِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئاً فَقَالَ: « **وَذَاكَ عِنْدَ أَوَانِ ذَهَابِ الْعِلْمِ، قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ يَذْهَبُ الْعِلْمُ وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَنُقْرِئُهُ أَبْنَاءَنَا، وَيُقْرِئُهُ أَبْنَاؤُنَا أَبْنَاءَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا ابْنَ أُمِّ لَبِيدٍ، إِنْ كُنْتُ لأَرَاكَ مِنْ أَفْقَهِ رَجُلٍ بِالْمَدِينَةِ أَوَلَيْسَ هَذِهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ لا يَنْتَفِعُونَ مِمَّا فِيهِمَا بِشَيْءٍ** »[3].

وقد تكون مشكلة المسلمين اليوم في افتقاد وسائل الفهم الصحيح الموصل

---

(1) سورة البقرة: ٧٨.

(2) زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر الأنصاري، شهد العقبة وبدراً، وكان عامل النبي ﷺ على حضرموت، وولاه أبو بكر رضي الله عنه بقتال أهل الردة من كندة. اهـ.. [الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني].

(3) رواه أحمد في مسند الشاميين من حديث زياد بن لبيد، رقم الحديث: ١٦٨٢٨، والترمذي في كتاب العلم عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في ذهاب العلم رقم الحديث: ٢٥٧٧، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب ذهاب القرآن والعلم، رقم الحديث: ٤٠٣٨.

إلى التدبر، وكسر الأقفال من أبواب العقول والقلوب، ليكونوا في مستوى القرآن والعصر، ويتخلصوا من الحال التي استنكرها القرآن الكريم ؛ فقال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[1] .

إذن ليست مشكلتنا في افتقاد المنهج، لأن المنهج موجود ومعصوم، قال الله تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[2] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[3] .

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَغَضِبَ ، فَقَالَ : « **أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى ﷺ كَانَ حَيّاً مَا وَسِعَهُ إِلا أَنْ يَتَّبِعَنِي** »[4] .

فالأزمة ليست أزمة منهج بل أزمة فهم، وأزمة تعامل، وأزمة أمية عقلية، لذلك نأى بنا السير إلى السقوط في التعامل مع مناهج أخرى.

ومن أخطر الإصابات التي لحقت العقل المسلم فحالت بينه وبين التدبر، وكسر الأقفال، ووضع الأغلال، التوهم بأن الأبنية الفكرية الاجتهادية السابقة

---

(1) سورة محمد : ٢٤.

(2) سورة المائدة : ٤٨.

(3) سورة الأنعام : ١٥٣ .

(4) رواه أحمد في باقي مسند المكثرين ، رقم الحديث : ١٤٦٢٣، والدارمي في المقدمة ، رقم الحديث : ٤٣٦ .

هي نهاية المطاف، وفي هذا محاصرة للنص القرآني، وقصر فهمه على رؤية عصر معين، ولعل ترسب هذه القناعة هي من الأقفال الأولى التي يجب كسرها، لينطلق الفهم من قيوده وأغلاله، ولأن هذه القناعة إذا استمرت سوف تلغي الحاضر والمستقبل، وتسقط عن القرآن صفة الخلود الزماني، والامتداد المكاني، ويتحول القرآن إلى الركود والتحنط في بطون التاريخ .

وقد تتأتى فهوم مستقبلية أكثر وعياً وإدراكاً للنص القرآني، قال عليه الصلاة والسلام : « **بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً** »(1)، « **فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ** »(2)، « **نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثاً، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ** »(3).

ولا ندعو بهذا إلى القفز فوق الفهوم التاريخية للقرآن، بل نفخر بهذا الميراث الثقافي الفكري، ونريد أن نحرر العقل من قيوده، حيث نصطحب الاجتهادات السابقة، ولكن لا نقتصر عليها، فلكل عصر رؤيته في ضوء مشكلاته ومعطياته.

---

(1) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، رقم الحديث : ٣٢٠٢، والترمذي في كتاب العلم عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل ، رقم الحديث : ٢٥٩٣.

(2) رواه البخاري في كتاب الحج ، باب الخطبة أيام منى ، رقم الحديث : ١٦٢٥، والترمذي في كتاب العلم عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع رقم الحديث : ٢٥٨١، وابن ماجه في المقدمة ، باب : من بلغ علماً رقم الحديث : ٢٢٨.

(3) رواه الترمذي في كتاب العلم عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، رقم الحديث : ٢٥٨٠، وأبو داود في كتاب العلم باب فضل نشر العلم ، رقم الحديث : ٣١٧٥، وابن ماجه في المقدمة باب من بلغ علماً ، رقم الحديث : ٢٢٦.

وأخبرنا الباري جلَّ جلاله أننا إن راعينا ما سبق في التعامل مع القرآن وتلاوته وتدبره، فإننا سنحصل على الهدى والنور والشفاء، فالقرآن هدى للأفراد والجماعات، ونور لكل مرافق الحياة الفردية والجماعية، وشفاء لجميع أمراض وعلل الأمة، قال الله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1].

وقال تعالى أيضاً: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[2].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[3].

هذا القرآن العجيب، عجيب في صفاته وسماته، غني في معانيه ودلالاته، ثمين في كنوزه وحقائقه، حي في نصوصه وتوجيهاته، قوي في أهدافه وغاياته، معجز في أسلوبه وهديه، مستمر في عطائه، أقبل عليه المسلمون في مختلف مراحل التاريخ الإسلامي، فوجدوا عنده بغيتهم، قرأوه وتدبروه، ونظروا في نصوصه، وفسروا آياته، وبينوا شرائعه، واستخرجوا من كنوزه، وكنوزه ثمينة مذخورة لا تنفد، ومعينه ثر لا ينضب، وظلاله واسعة، وأنواره مشعة، ولقد صدق في وصفه رسول الله ﷺ.

---

(1) سورة المائدة: ١٥ ـ ١٦.

(2) سورة الإسراء: ٩.

(3) سورة الإسراء: ٨٢.

عَنْ ابْنِ أَخِي الحَارِثِ الأَعْوَرِ عَنْ الحَارِثِ قَالَ : « مَرَرْتُ فِي المَسْجِدِ فَإِذَا النَّاسُ يَخُوضُونَ فِي الأَحَادِيثِ ، فَدَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ أَلا تَرَى أَنَّ النَّاسَ قَدْ خَاضُوا فِي الأَحَادِيثِ ؟، قَالَ : وَقَدْ فَعَلُوهَا ؟ قُلْتُ : نَعَمْ .قَالَ : أَمَا إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : أَلا إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ، فَقُلْتُ مَا المَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : كِتَابُ اللهِ، فِيهِ نَبَأُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بِالهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللهِ المَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لا تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ، وَلا تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَلا يَشْبَعُ مِنْهُ العُلَمَاءُ، وَلا يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا : ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾[1] مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »[2] .

أهمية البحث :

كتابٌ كهذا، سماويُ المصدر، إلهيُ الكلمة، عربيُ النبرة، بلغ الذروة اللامتناهية في دقة التعبير وبلاغة المعنى، هل يمكن أن يفهمه كل العرب مهما أوتوا من الفصاحة والبلاغة ؟ وهل لا يحتاجون في فهمه إلى بيان أو تفسير ؟.

---

(1) سورة الجن : ١ ـ ٢.

(2) رواه الترمذي ، في كتاب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب : ما جاء في فضل القرآن ، رقم الحديث : ٢٨٣١ ، والدارمي في كتاب : فضائل القرآن ، باب : فضل من قرأ القرآن ، رقم الحديث : ٣١٩٧.

قال ابن خلدون[1] في مقدمته : فاعلم أن القرآن نزل بلغة العرب، وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه[2] .

والمآخذ على عبارة ابن خلدون هذه كثيرة، منها أنه أغفل ما تضمنه القرآن الكريم من أحكام مجملة لا تفهم إلا بتفصيل، واقتصر على الجانب اللغوي منه، ولم يوفق في هذا الجانب أيضاً، لأن الآثار الصحيحة أثبتت العكس ، أعني قوله: « كلهم يفهمونه » إذ ليس كل العرب حتى القرشيين فهموا كل مفردات القرآن الكريم .

فقد أخرجه أبو نعيم في المستخرج عن أنس رضي الله عنه قال : كنا عند عمر رضي الله عنه وعليه قميص في ظهره أربع رقاع، فقرأ : ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾[3]؛ فقال : هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب ؟ ثم قال : مه نهينا عن التكلف .

وأخرج عبد بن حميد عن إبراهيم النخعي قال : قرأ أبو بكر الصديق رضي الله عنه﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾، فقيل : ما الأب ؟ فقيل :كذا وكذا فقال أبو بكر : إن هذا لهو

---

(1) **عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون** أبو زيد (١٣٣٢م ـ ١٤٠٦م) الفيلسوف المؤرخ، والعالم الاجتماعي البحاثة ، أصله من أشبيلية ، ومولده ومنشأه بتونس ، رحل إلى فاس وغرناطة والأندلس ، وتولى أعمالاً ، واعترضته دسائس فعاد إلى تونس ، ثم توجه إلى مصر ، وولي فيها قضاء المالكية ، وفجأة توفي في القاهرة ، وكان فصيحاً ، جميل الصورة ، اشتهر بكتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر) أولها (المقدمة) وهي تعد من أصول علم الاجتماع ، وله (شرح البردة) و(الحساب) و(المنطق) .

(2) عبد الرحمن بن محمد ، مقدمة ابن خلدون ، دار القلم ، بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٨م : ٣ / ٩٩٦.

(3) سورة عبس : ٣١.

التكلف، أي أرض تقلني أو أي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله بما لا أعلم[1].

وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر يوماً: ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2]، ثم سأل عن معنى «**التَخَوُّف**» فقام إليه رجل من هذيل فقال: التَخَوُّفُ عندنا: التنقص ثم أنشده:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ منها تامِكاً قَرِداً ... كما تَخَوَّفَ عودُ النَّبعة السَّفِن[3]

والحق أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتفاوتون في القدرة على استيعاب وفهم كلام الله تعالى، وبيان معانيه المرادة منه، ولهذا قال **مسروق**: «جالست أصحاب **محمد** ﷺ فوجدتهم كالإخَاذِ، فالإخاذ يروي الرجل، والإخاذ يروي الرجلين، والإخاذ يروي العشرة، والإخاذ يروي المائة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم»[4].

وإذا نعت الله تعالى كتابه بأنه «مبين» في أكثر من موضع كقول الله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾[5]، وقوله جل جلاله: ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴾[6].

---

(1) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث، المطبعة السلفية، الطبعة الثالثة: ١٣ / ٢٨٥.

(2) سورة النحل: ٤٧.

(3) إبراهيم بن موسى الشاطبي: الموافقات في أصول الفقه: ٢ / ٨٧ ـ ٨٨، والتامك: السنام، والقرد: الذي تجعد شعره فكأنه وقاية للسنام، والنبعة: شجر يصنع منه السهام، والسفن: كل ما ينحت.

(4) شمس الدين محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) إعلام الموقعين عن رب العالمين: ١ / ١٦، والإخاذ: الغدير.

(5) سورة المائدة: ١٥.

(6) سورة الحجر: ١.

فأول ما يتبادر إلى الذهن من هذه الآيات، أن القرآن الكريم جلي لا أثر للغموض فيه، مما يجعله غنياً عن التفسير لكمال وضوحه، فكيف نوفق بين هذه الآيات الدالة على وضوح القرآن، وبين قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

فمن أين يحسن الاشتغال بتبيين ما هو مبين لا يحتاج إلى بيان ؟

أقول : لا نسلم أبداً أن وصف القرآن الكريم بالبيان والتبيين يقتضي عدم حاجة شيء منه إلى شرح وتأويل، فلقد ثبت عن الصحابة رضي الله عنهم، أنهم سألوا رسول الله ﷺ عن بعض الآيات ففسرها لهم عليه الصلاة والسلام، كما أشكل على عدي ابن حاتم رضي الله عنه في قوله تبارك وتعالى : ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾[2]

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : لمَّا نَزَلَتْ ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ عَمَدْتُ إِلَى عِقَالٍ أَسْوَدَ وَإِلَى عِقَالٍ أَبْيَضَ، فَجَعَلْتُهُمَا تحْتَ وِسَادَتِي، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ فِي اللَّيْلِ فَلا يَسْتَبِينُ لِي، فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ فَقَالَ : «**إِنَّمَا ذَلِكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ**»[3] .

وكذلك لا يكفي الإدراك الإجمالي للقرآن الكريم، بل لا بدَّ من الإدراك التفصيلي للكليات والجزئيات.

---

(1) سورة النحل : ٤٤.

(2) سورة البقرة : ١٨٧.

(3) رواه البخاري في كتاب الصوم، باب قول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ ، رقم الحديث : ١٧٨٣.

جاء القرآن بآيات تتحدث عن الصلاة والزكاة والصيام والحج، وكذلك تحريم الربا، وحِلِّ البيع، وما يتعلق بالأمور الغيبية كالجنة والنار والملائكة والبعث وغير ذلك، جاء القرآن بآيات أجملت ما فصلها رسول الله ﷺ بقوله وعمله وتقريره، فالقرآن من هذه الجهة يحتاج فهمه إلى الاطلاع الكامل على ما بينه الرسول الكريم ﷺ، والرسول قد بلغ وبين ما يحتاج إلى بيان.

ومن حيث **مفردات القرآن**، فالمشاهَد أن فيه مفردات كثيرة ينطبق عليها المعنى اللغوي حقيقة، والمعنى اللغوي مجازاً، وقد يراد المعنى اللغوي والمجازي معاً، وقد ينطبق عليها معنى شرعي جديد، والذي يساعد على تحديد المراد من هذه المفردات تركيب الآية وسياقها ومناسبتها لما قبلها وما بعدها.

فمثلاً قوله تعالى: ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ﴾[1]؛ فالمراد بالقرية هنا المعنى اللغوي فقط، أما في قوله تعالى: ﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾[2]، فالمراد من القرية هنا معناها المجازي؛ لأن القرية لا تسأل، والمراد فيها أهل القرية.

ومثل قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[3]؛ فالمراد بالصلاة هنا معناها الشرعي دون اللغوي، أي: قولوا: اللهم صلِّ على عبدك ورسولك **محمد** ﷺ.

---

(1) سورة الكهف: ٧٧.

(2) سورة يوسف: ٨٢.

(3) سورة الأحزاب: ٥٦.

هذا من حيث المفردات ، أما من حيث التراكيب فقد نجد في القرآن تراكيب تخللتها مفردات تشترك في أكثر من معنى ، ككلمة «**العين**» و«**الروح**» أو مرادفة مثل «**جاء وأتى**» أو تشترك في معاني مضادة مثل كلمة «**قرء**» للحيض والطهر، ولا بدَّ لفهم المعنى المراد في مثل هذه المفردات من فهم التركيب كله.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: تفسير القرآن على أربعة وجوه:

١ ـ تفسير يعلمه العلماء.

٢ ـ وتفسير لا يعذر الناس بجهالته من حلال أو حرام.

٣ ـ وتفسير تعرفه العرب بلغتها.

٤ ـ وتفسير لا يعلم تأويله إلا الله، من ادعى علمه فهو كاذب[1].

كل هذا يؤكد لنا حاجة الأمة إلى تفسير القرآن الكريم وتأويله في وقت مبكر جداً ، أي وقت نزول الوحي والنور ، وكلما ابتعد الناس عن عصر التنزيل ، كلما اشتدت حاجتهم إلى تفسير وبيان وتأويل، وهذا ما عناه السيوطي حينما قال : « ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة على ذلك مما لم يحتاجوا إليه من أحكام الظواهر، لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم، فنحن أشد الناس احتياجاً إلى التفسير »[2] .

أقول : إن كان السيوطي يقول هذا منذ قرون، فما عسانا أن نقول اليوم عن حاجتنا إلى التفسير والمفسرين، خاصة بعد ظهور أصحاب القراءة الجديدة

(1) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، دار الندوة الجديدة ، بيروت : ٢ / ١٨٢.

(2) المصدر السابق: ٢/ ١٨٢.

والمعاصرة والمخالفة لضوابط التفسير، فحرفوا من معاني القرآن بما يخدم مصالحهم، كل ذلك بأقنعة زائفة؟.

كما أن هذا الجيل ليس لديه ذلك الجلَد ، حتى يعكف على قراءة التفاسير القديمة، لذلك كان لا بدَّ من أسلوب يبعث الرغبة في المسلمين فضلاً عن غيرهم، لقراءة التفاسير ككتاب فكري عميق، وفوق ذلك فما سار عليه المفسرون في ذلك العصر ، كان التأثر من بعض الكتب الفلسفية المترجمة، فذكروا أموراً ليست لها علاقة وثيقة بالتفسير، فضلاً عن تراكم بعض الإسرائيليات.

فحاجتنا إلى التفسير أشد تشبيهاً بحاجة مريض بين يديه دواء يشفيه، إلا أنه يجهل استعماله، فيبقى في علته منتظراً الموت.

والوسيلة التي تضمن لهذا الكتاب الحق أن يحقق وجوده عملياً، هي تلك القوة المادية التي تحرسه وتحميه، والتي تهيئ له الناصر البشري الذي يطبقه وينفذ أحكامه، وبدون هذه القوة يبقى حقاً نظرياً مقيداً عن العمل في الواقع، ويتحول إلى حق مضيع، ويعدو عليه كل جبان، وينتقصه كل ضعيف، ويعوي عليه كل نابح !!»[1].

قال الله تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2] .

---

(1) صلاح عبد الفتاح الخالدي ، مفاتيح للتعامل مع القرآن ، الكتاب الأول من كنوز القرآن ، دار القلم بدمشق ، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ ١٩٩٤م : ٢٨.

(2) سورة الحديد : ٢٥.

القرآن الكريم نور يشرق في قلب المؤمن فيزهر بالإيمان، ويشرق في حياته فينيرها له، وإننا نلاحظ في القرآن آية كريمة قسمت المسلمين في تعاملهم مع كتاب الله إلى أقسام ثلاثة، لا على درجة واحدة في الاعتناء بهذا الكنز :

١ـ منهم من **ظلم نفسه** في التعامل مع كتاب الله وتطبيقه، فقصر في الواجبات وارتكب المحرمات.

٢ـ ومنهم من هو **مقتصد**، لا يريد أن تزيد طاعاته على معاصيه ولا العكس.

٣ـ ومنهم **سابق بالخيرات**، فهو الفائز الناجح، وهو المستزيد من الطاعات، والمكثر من الحسنات .

قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾[1] .

بعض الناظرين في القرآن ينظر إليه نظرات جزئية، فهو كتاب للشفاء والتعاويذ والرقى عند بعضهم، وهو كتاب شامل للعلوم والمعارف والثقافات عند آخرين، وهو كتاب يتضمن أرقى أساليب البيان والبلاغة والفن عند فريق ثالث، وهو كتاب حوى من أخبار الماضين وقصص السابقين، وهو كتاب للفقه والأحكام، واللغة والآداب، والفكر والتدبر، وهو كتاب مبارك للبركة والتيمن، وبعد هذا كله مجال أجر وثواب.

أقول : لا يجوز لنا أن نفرغ القرآن من هذه الأمور ، فهو شامل لكل ذلك، ولكن توفر هذه الأشياء فيه شيء، وأن نقتصر نظرتنا له عليها فقط شيء آخر،

---

(1) سورة فاطر : ٣٢.

ولو فعلنا ذلك فسنفرغه من محتواه، ونعطله عن دوره ومهمته ومقاصده[1]، ونقع في خطأ النظرات الجزئية الناقصة.

وبعض الباحثين يقسمه إلى موضوعات، ويبحث عن مفرداته وعباراته وإشاراته إلى كل موضوع، فهذا يبحث عن قصص القرآن، وآخر عن أمثال القرآن، وثالث عن علوم القرآن، أو عن تشريعاته أو إشاراته إلى التاريخ أو علم النفس أو الثقافة، أو الاقتصاد والاجتماع أو غير ذلك.

ومنهم من يبحث في مفرداته كالصبر والصلاة والتقوى والدعاء والحكم والجهاد والخلافة والدعوة والمرأة .. وغير ذلك.

وكل هذه الجهود طيبة وخيرة ونافعة، وأصحابها مثابون على حسب نياتهم، لكنها لا تكون كاملة متكاملة شاملة، ولا يمكن أن تلم بالموضوع من جميع جوانبه وأطرافه، حيث سيفوت أصحابها كثير من اللمحات واللفتات والإشارات القرآنية للموضوع، وإلقاء نظرة فاحصة على نتاج هؤلاء كافية للخروج بهذه الحقيقة.

---

(1) للقرآن مقاصد كثيرة أهمها ثلاثة:

١ـ أن يكون هداية، قال الله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ (سورة البقرة: ١ـ٢).

٢ـ أن يكون معجزة لتأييد النبي ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ ﴾ (سورة المائدة: ٤٨).

٣ـ وأن يتعبد بتلاوة كلام الله المقدس، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴾ (سورة فاطر: ٣٠).

ولا أعني بهذا الكلام إلغاء العمل والبحث في هذه الموضوعات، بل أريد أن تكون هذه الحقيقة ماثلة أمام الباحثين والدارسين، وهي أن القرآن الكريم عملاق عظيم، في طبيعته ومهمته ورسالته وإعجازه وعلومه ومناهجه، عملاق عظيم لا يمكن تجزئته، ويستحيل تقسيمه.

وأدعو الباحثين إلى التفسير والتأويل المضبوط والمفيد، فصناعة التفسير حازت الشرف من جهات ثلاث :

١ـ **من جهة الموضوع** : لأن موضوعه كلام الله تعالى، الذي هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة.

٢ـ **من جهة الغرض** : لأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى، والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى .

٣ـ **من جهة شدة الحاجة** : لأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي، مفتقر إلى العلوم الشرعية، والمعارف الدينية، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى[1].

إن التفسير والتأويل أشرف العلوم وأسناها على الإطلاق، وذلك لتعلقه بأقدس موضوع، فيكفيه شرفاً أنه يبحث في معاني كلام الله عز وجل، ويكفي رواده نبلاً أنهم يستنيرون بهديه لمعرفة الصراط المستقيم، فيَسعَدون ويُسعِدون .

***

---

(1) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الندوة الجديدة، بيروت : ٢ / ١٧٥ .

سبب اختيار البحث :

كنت أتساءل كثيراً : لماذا هذه الهجمة المبرمجة على القرآن الكريم، ونبي الإسلام والوحي واللغة والتفسير والتأويل وكل ما له علاقة بالإسلام ؟!.

هجمة شرسة، وحرب شعواء، قاد أرتالها (**سلمان رشدي**) و(**أبو موسى الحريري**) و(**الطاهر الحداد**) ثم تسلَّلت وحداتها المقنعة تحت غطاء تمويه كثيف إلى ما وراء الثغور، حيث صال وجال كل من (**محمد شحرور**) و(**نصر حامد أبو زيد**) و(**محمد أركون**) و(**حسن حنفي**) و(**عبد المجيد الشرفي**) وغيرهم كثير.

قد نجد عذراً للحريري عقائدياً باعتباره من غير أتباع سيدنا محمد ﷺ، ولكننا لا نجد عذراً للكتاب المسلمين غير المتخصصين بالدراسات الإسلامية، والذين لم يتعرفوا على مناهج العلوم الإسلامية، بل انبهروا بالمناهج الغربية الغريبة، والعلوم المادية والحضارة المعاصرة، أصحاب القراءات المعاصرة الذين كتبوا لتجديد الفكر الإسلامي، دون امتلاك لأدواته، من رصيد معرفي بالتراث والتاريخ والمصادر الإسلامية، وكيفية التعامل معها.

وظنوا أنهم بمجرد إلقاء التهم للتراث ولعلماء المسلمين، وبمجرد عرض أفكارهم الجديدة البراقة والملتفة بدعاوى المنهجية العلمية، والحرية الفكرية، ستتبعهم الأمة، وتنصرف عن أهل العلم المتخصصين، ورجاله المخلصين، وقد نسي هؤلاء أن دون ذلك خرط القتاد [1]، فكم حاول مَن قبلهم فلم يفلحوا ؟.

---

(1) **دُونَ ذَلِكَ خَرْطُ القَتَادِ** : الخَرْطُ: قَشْرُكَ الوَرَقَ عن الشجرة اجتذاباً بكَفِّك، والقَتَاد: شجر له شوك أمثال الإبر، وهو مثل يضرب للأمر دونه مانع.اهـ ، مجمع الأمثال لأبي الفضل الميداني.

نحن لا نخشى من الأفكار الجديدة المعاصرة، لأننا واثقون بديننا وتراثنا، وعلومنا وتاريخنا، ونقبل النصح، لأن ديننا دين النصيحة، ونتعامل بالحوار، لأنه منهج الأنبياء والمرسلين، ونستمع للرأي الآخر إذا كان سليماً معافى، وليس أصداء واجتراراً لأفكار المستشرقين والملحدين، ونعتقد أن كل دعوة مناهضة للأسس والثوابت مصيرها الإخفاق والفشل، وصدق الله تعالى القائل: ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾[1].

فهناك عدة أسباب لاختيار هذا البحث :

أولاً : القراءات المعاصرة للقرآن الكريم ، هي كتابات تمشي في اتجاه التحلل من كل الالتزامات والقيم والمبادئ والشرائع ، وتحلل للناس ما حرَّم الله عز وجل ، وتقول في كتاب الله بغير علم؛ فأردت من خلال هذا البحث، أن أفنِّد دعاوى هؤلاء الكتاب والمؤولة الجدد ، الذين خرجوا إلينا بأفكار وسموم ، أثَّرت سلبياً في عقول بعض المسلمين .

ثانياً : دهشت حينما رأيت الآيات (تلوى) أعناقها ، وتختزل بل تعتصر ، لكي يستخرج منها بعض ما يلتقي مع هذه الوافدات الفكرية الجديدة ، حيث وقع كثير من الناس في حيرة وضياع بين مؤيد ومعارض.

ثالثاً : حينما استفحل الخطر في تبني بعض الجامعات منهج هذه القراءات، ونشر مقولاتها بمختلف وسائل التبليغ ، وشجعت على تناول موضوعاتها في رسائل جامعية، رأيت من الواجب على كل مسلم أن يُفوِّتَ

---

(1) سورة الرعد : ١٧.

الفرصة عليهم بشتى الوسائل، ومنها الأبحاث الجامعية المفندة لآرائهم الباطلة.

رابعاً : اختلاف الرأي حق مشروع في ديننا، ومن حقنا أن نرد عليهم، ونفند ما يقولون، وقد كانت هناك عشرات الفرق التي عاشت في المجتمع الإسلامي، وكتاب **الملل والنحل للشهرستاني**[1] سجل مليء بآراء تلك الفرق ، لم يضق المسلمون ذرعاً بتلك الفرق ، ولكنهم بينوا أخطاءها، وكشفوا زيوفها، ولا تعدو مجمل الآراء والأفكار التي يطرحها أصحاب القراءات المعاصرة اليوم إلا أن تكون ظلالاً لآراء تلك الفرق ، ومنها أصداء لأفكار بعض المستشرقين والملحدين، ونحن لا نضيق ذرعاً بالاختلاف ، وإنما نريد أن نبين الحق ناصعاً.

خامساً : أعتقد أن هذا البحث من الأهمية بمكان ، ويلبي جزءاً من الحاجة إليه في المكتبة الإسلامية ، بل يحتاج إلى أكثر من معالجة، وأن يتناوله العلماء والمفكرون المسلمون من جوانبه المختلفة.

سادساً : لما كان كل مسلم جندياً على ثغر من ثغور الإسلام ، وينبغي أن لا يُؤْتَى من قِبَله، أحببتُ أن أدلي بدلوي في هذا المضمار، لأني لا أحب أن تتسرب هذه الأفكار العفنة ، والآراء النتنة ، إلى جحور عقول المسلمين، وبناء

---

(1) هو أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد **الشهرستاني** ، ولد ومات بشهرستان خراسان، وكان إماماً مبرزاً فقيهاً متكلماً ، كثير المحفوظ ، حسن المحاورة ، يعظ الناس ، من تصانيفه : الملل والنحل : أورد فيه فرق المذاهب في العالم كلها ، وله : نهاية الإقدام في علم الكلام ، والمناهج ، والبيان ، والمضارعة ، وتلخيص الأقسام لمذاهب الأنام .

على ما ذكرت ، فقد وقع اختياري على موضوع « **القراءات المعاصرة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير** ».

وأرجو من الله تعالى أن يكون هذا البحث لبنة مباركة طيبة، يسد ثغرة في الصرح العظيم، الذي لا تؤثر فيه شبهات أعداء الإسلام، والحمد لله أولاً وآخراً.. ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾[1] .

الجهود السابقة :

ليست هذه الفكرة جديدة على بساط البحث ، بل إن موضوع :

(**القراءات المعاصرة للقرآن الكريم**) بحثه العلماء ، وخاض فيه مفكرون وعلماء أجلاء أذكر منهم :

عبد اللطيف الفرفور في كتابه :(**تهافت الفكر الجدلي وقضايا معاصرة**)، وسليم الجابي في كتابه : (**القراءة المعاصرة مجرد تنجيم ، كذب المنجمون ولو صدقوا**)، و محمد صياح المعراوي في كتابه : (**الماركسلامية والقرآن**)، وعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني في كتابه : (**التحريف المعاصر في الدين، تسلل في الأنفاق بعد السقوط في الأعماق**) وكتابه : (**صراع مع الملاحدة حتى العظم**)، وجواد عفانة في كتابه : (**القرآن وأوهام القراءة المعاصرة**)، و محمد حسن آل ياسين في كتابه : (**هوامش على نقد الفكر الديني**)، و محمد رفعت زنجير في كتابه : (**اتجاهات تجديدية متطرفة في الفكر الإسلامي المعاصر**)، و محمد لطفي اليوسفي في كتابه : (**السلفية المندسة في آليات التفكير الحداثوي، كتابات الشرفي عبد المجيد أنموذجاً**)، وكامل سعفان في كتابه : (**إنهم يكرهون الإسلام، هجمة علمانية لمحاكمة النص القرآني**)، وخالد عبد الرحمن العك في كتابه :

---

(1) سورة الكهف : ١٠.

(**الفرقـان والقـرآن**)، وأحمـد عمـران في كتابـه : (**القـراءة المعـاصرة للقـرآن في الميزان**)، ومنير محمـد طـاهر الـشواف في كتابـه : (**تهافـت القـراءة المعـاصرة**)، ومأمون الجويجاتي في كتابـه : (**الأسس الخـاسرة للقـراءة المعـاصرة**) وكتابـه : (**مغالطات المعاصرة**)، وماهر المنجد في كتابه : (**الإشكالية المنهجية في الكتـاب والقرآن، دراسة نقدية**)، ويوسـف الـصيداوي في كتابـه : (**بيـضة الـديك ، نقـد لغوي لكتاب: الكتاب والقرآن**)، وبنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن في كتابها: (**القرآن والتفسير العصري ، هذا بلاغ للنـاس**)، ونـشأة محمـد رضـا ظبيـان في كتابهـا : (**ذاك رد ؟!! عن قراءة معاصرة للكتاب والقـرآن**)، وشـوقي أبـو خليـل في كتابه : (**قراءة علميـة للقـراءات المعـاصرة**)، و محمـد هيثم اسلامبو لي في كتابه : (**الرد على د . شحرور في مسألة لباس المـرأة**)، و محمـد سـعيد الطبـاع في كتابه : (**رسالة ورد إلى ذاك الرجل**)، والسيد عمر في كتابه : (**العبـث بالمفـاهيم، دراسة نقدية في الكتاب والقرآن**)، و محمد عمراني في كتابه : (**أصنام المـشاريع وثقافة الذباب: أركون، حسن حنفي، عبد الكريم الخطيبي، محمد عابد الجابري، عبد الله العروي نموذجاً**).

ومنهم من ناقش المسألة من خلال بحث في كتابه كما فعل كل من :

محمـد سـعيد رمـضان البـوطي في كتابـه : (**يغالطونـك إذ يقولـون ...**)، واحميدة ابن المأمون النيفر في كتابـه : (**الإنسان والقرآن وجهاً لوجه ، التفاسير القرآنية المعـاصرة ، قـراءة في المـنهج**)، وعبـد القـادر محمـد صـالح في كتابـه : (**التفسير والمفسرون في العصر الحـديث، عـرض ودراسـة مفـصلة لأهـم كتـب التفسير المعاصر**)، وصلاح الـدين خليـل الكـلاس في كتابـه : (**التـشابه ، مـنهج القرآن في فهم القرآن**)، وفضل حسن عباس في كتابه : (**اتـقان البرهان في عـلوم**

القرآن)، وأحمد محمد جمال في كتابه : (**مفتريات على الإسلام**)، ومحمد محمود كالو في كتابه : (**مسيرة التفسير بين الانحراف والاختلاف**).

وصدرت ردود ومقالات في بعض المجلات والدوريات ، لكتاب أجلاء، من هؤلاء :

محمد سعيد رمضان البوطي ، في مجلة نهج الإسلام السورية : (**الخلفية اليهودية لشعار قراءة معاصرة**)، وشوقي أبو خليل في مجلة نهج الإسلام أيضاً : (**تقاطعات خطرة في درب القراءات المعاصرة**)، ومحمد شفيق ياسين ، ثلاث مقالات متتالية في مجلة نهج الإسلام (**قراءة نقدية في مؤلف الكتاب والقرآن**)، وطارق زيادة في مجلة الناقد : (**طرافة في التقسيم وغرابة في التأويل**)، وتركي علي الربيعو في مجلة التسامح : (**النص والحقيقة قراءة في بعض الاجتهادات العربية الحديثة**).

جميع هؤلاء وغيرهم كان لهم فضل السبق في هذا البحث، ولولا تعدد وجهات نظرهم لما أخصب هذا البحث.

خطة البحث :

قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة، وتحدثت في المقدمة عن أهمية البحث وأسباب اختياره وخطة البحث ومنهجه.

أما **الباب الأول :** فيشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : القراءات المعاصرة واتجاهاتها ، ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول: الهرمنوطيقيا ومصطلحات القراءة المعاصرة.

المبحث الثاني: اتجاهات القراءات المعاصرة .

الفصل الثاني : طرق التأويل ، ويشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول : التأويل الزمني .

المبحث الثاني : التأويل اللغوي .

المبحث الثالث : التأويل المقاصدي .

المبحث الرابع : التأويل العلمي.

الفصل الثالث : نتائج التأويل في القراءات المعاصرة، ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : نزع الثقة والموضوعية بمصدر الدين.

المبحث الثاني : إلغاء الفهم السائد والتشريع لدين جديد.

المبحث الثالث : إلغاء الأحكام والحدود.

الباب الثاني : ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : ضوابط التفسير.

الفصل الثاني : خصائص النص الديني.

الفصل الثالث : خصائص ظاهرة القراءة المعاصرة.

الباب الثالث : ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : القراءات المعاصرة في الميزان ، ويشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول : طبيعة النص الديني وقراءته.

المبحث الثاني : موثوقية النص الديني .

المبحث الثالث : موضوعية النص الديني .

المبحث الرابع : حاكمية النص على الواقع .

الفصل الثاني : الحوافز والدوافع للقراءات المعاصرة .

الخاتمة ، وتشتمل على نتائج البحث وتوصياته ، وقائمة المصادر والمراجع ، وفهرس الآيات القرآنية الواردة في البحث، وفهرس الأحاديث الواردة في البحث أيضاً ، وفهرس عام لموضوعات البحث.

منهجي في البحث :

أما عن منهجي في هذا البحث ؛ فقد جمعت المادة المطلوبة من مظانها ، الكتب والمقالات والأبحاث والمحاضرات والمؤتمرات والدوريات ، واعتمدت على النصوص الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية، وعرضت البحث عرضاً مفصلاً واضحاً بقدر الجهد والسعة، والتزمت في خطة هذا البحث بضوابط معينة ، **أذكر منها** :

١ ـ عزو الآيات إلى مواطنها في كتاب الله عز وجل .

٢ـ تخريج الأحاديث النبوية من مراجعها الأصيلة، معتمداً بالدرجة الأولى على صحيحي البخاري ومسلم أو أحدهما ، فإن لم يكن الحديث فيهما، أو في أحدهما ، رجعت إلى كتب السنة الأخرى.

٣ ـ فسَّرت ما غمض من الألفاظ بشرح وبيان.

٤ ـ قمت بترجمة الأعلام الذين ورد ذكرهم في متن البحث ، ممن غلب على ظني عدم شهرتهم.

٥ـ عند التوثيق : أشير أولاً إلى اسم المؤلف ثم المصدر أو المرجع ، وهكذا وفق المنهج العلمي لذلك.

٦ـ قمت باستقصاء أبرز أفكار أصحاب القراءة المعاصرة ، وناقشت أفكارهم واقتراحاتهم والرد عليهم، ودعمت كل رأي بدليله من الكتاب والسنة.

٧ـ جمعت في عرض البحث بين الأصالة والمعاصرة ، مما يضفي على البحث التفاعل مع مجتمعنا الإسلامي وقضاياه المعاصرة.

٨ ـ كما قمت بترتيب المصادر والمراجع على حسب الحروف الهجائية.

تمهيد

منذ أن جاء الإسلام وبزغت شمسه في ربوع العالمين، وأعداؤه يحاربونه ويحاصرونه ويكيدون له، ويتربصون به الدوائر، فقد هالهم ما جاء به الإسلام من تعاليم قيمة، وما أرسى من مبادئ سامية، مما سارع في انتشاره وعلو سلطانه، وإقبال الناس عليه، وقوة تمسكهم به، فجنَّ جنون خصومه، فتواطئوا على حربه بكل ما يستطيعون، فما زادتهم محاربته إلا خساراً، ولا الإسلام إلا انتصاراً، فتحيَّروا في أمرهم، وغلت بالحقد قلوبهم، وهاجت بالحسد نفوسهم، فأمعنوا في ذلك النظر، وقلبوا في وجوه حربه الفكر، حتى قال القسيس الأمريكي الحقود **صمويل زويمر**[1] : « ولتقطع الشجرة بجزء منها »[2] .

فدفعوا أغراراً من جلدتنا، يتكلمون بألسنتنا، ويشوهون ديننا، لتكون الفتنة أشد وأنكى، ودخل فريق منهم في الدين كذباً، واعتنقوا الإسلام زوراً وخديعة، فولجوا الباب من هذا المسلك الخبيث، فنفثوا بأساطيرهم على حقائقه، ليكدروا صفاءه، ويشوهوا جماله، متفننين في ذلك بين كذب اختلقوه، أو مثله من كتبهم المحرفة نقلوه.

---

(1) **صمويل زويمر** (١٨٦٧ ـ ١٩٥٢) : رئيس المبشرين في الشرق الأوسط ، تولى تحرير مجلة العالم الإسلامي التي أنشأها مع ماكدونلد ، وله مصنفات في العلاقات بين المسيحية وبين الإسلام ، أفقدها بتعصبه واعتسافه وتضليله قيمتها العلمية، منها : يسوع في إحياء الغزالي ، وبلاد العرب منذ الإسلام.. **انظر** : نجيب العقيقي : المستشرقون : ٣ / ١٣٨ .

(2) الغارة على العالم الإسلامي ، طبعة القاهرة سنة ١٣٥٠هـ : ٤٦.

وما أشبه الليلة بالبارحة ، فها هو المكر والخداع يأخذ طريقه في حرب الإسلام ، ولكن بثوب جديد وقراءة جديدة للنص الديني ، إنه مسلك التضليل الثقافي ، في خبث ودهاء ، تحت شعار البحث العلمي ، أو السعي وراء الحقيقة ، ويمكن أن نعتبر كلمة **مالك بن نبي** إشارة إلى هذا إذ يقول : «وينبغي أن ندرك أن التطور الثقافي في العالم الإسلامي يمر بمرحلة خطيرة، إذ تتلقى النهضة الإسلامية كل أفكارها واتجاهاتها الفنية عن الثقافة الغربية ـ وبخاصة عن طريق مصر ـ هذه الأفكار الفنية لا تقتصر على الحياة الفكرية الجديدة التي يتعوَّدها الشباب المسلم شيئاً فشيئاً، بل إنها تمس أيضاً بطريقة غامضة ، ما يتصل بالفكر وما يتصل بالنفس ، وفي كلمة واحدة ما يتصل بالحياة الروحية ، وإنه لما يثير العجب أن نرى كثيرين من الشباب المسلم المثقف يتلقون اليوم معتقداتهم الدينية ، وأحياناً دوافعهم الروحية نفسها من خلال كتابات المتخصصين الأوربيين .. إن الدراسات الإسلامية التي تظهر في أوربا بأقلام كبار المستشرقين واقع لا جدال فيه، ولكن هل يمكننا أن نتصور المكانة التي يحتلها هذا الواقع في الحركة الفكرية الحديثة في البلاد الإسلامية»[1].

ولعلي لا أجانف الصواب إذا قلت : إن الحظ الأوفر من الشكر يجب أن يتوجه إلى أولئك الذين كانوا السبب الرئيس في وضع هذه البحوث وتدبيجها ، أقصد أصحاب القراءات المعاصرة للقرآن الكريم ، الذين كتبوا ما بَاعدَهم عن الصواب ، فاضطرني وأمثالي إلى البحث والتنقيب في زمن الصمت والسكون، والتقصير في خدمة كتاب الله عز وجل ، بل ومناظرة هؤلاء ومناصحتهم، طبقاً لقواعد المناظرة العلمية في ضوء ضوابط التفسير ، مع تقديري لجهودهم، ورُبَّ ضارة نافعة.

---

(1) مالك بن نبي ، الظاهرة القرآنية (٩ـ١٨).

إنَّ من نعم الله عز وجل على هذا الدين أن قيَّض له أناساً يهاجمونه ويعارضونه ، ويعلنون عليه حرباً ضروساً لا هوادة فيها بأفكارهم وأقلامهم، ويرصدون لذلك الأموال العظيمة ، والجهود الكبيرة، والهمم العالية، ويجندون لهذه الحرب أفتك ما لديهم من أسلحة فكرية مدمِّرة ، ومادية مبيدة ، ثم ينتظرون انتهاء دور الإسلام في قيادة العالم ، ولكنهم سرعان ما تتجهَّم جباههم ، وتكلح وجوههم ، يوم يرون النار التي أوقدوها على الإسلام ارتدَّت إليهم ، فأحرقت باطلهم ، وكشفت عوارهم ، فما زادت الإسلام إلا انتشاراً حتى كأنهم بذلك إنما يبشرون بالإسلام ليعرف الناس حقيقته فيدخلوا فيه أفواجاً ، ويدير الناس حينئذ ظهورهم للأباطيل حين تحرقها نار الحقيقة، ولا ندري فلربما كانت القراءات المعاصرة للقرآن الكريم نعمة للإسلام لإظهار محاسنه وجواهره، وبضدها تتميز الأشياء، وصدق الله عز وجل حينما قال : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾[1].

ولله درُّ أبي تمام حينما قال :

وإذا أرادَ اللهُ نشرَ فضيلةٍ طويتْ أتاحَ لها لسانَ حسودِ
لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورَتْ ما كان يعرفُ طيبُ عرفِ العود

فكان بذلك لهؤلاء يد على الإسلام لا نوفيهم إياها إلا حين ندعوهم إلى ترك ما هم فيه من ضلال وظلام ، والدخول فيه ليختم الله تعالى لهم حياتهم بالسعادة ، وما ذلك على الله بعزيز.

وأعترف مقدماً أن دراسات مهمَّة عن المدارس الحديثة في التفسير قدمت، ولكنها غالباً ما تتوقف عند الحقبة الممتدة ما بين مدرسة **محمد عبده** وتفسير

(1) سورة الأنبياء : ١٨ .

(المنار) إلى **سيد قطب** وتفسيره (في ظلال القرآن)، وتبقى الحقبة ما بعد **سيد قطب** حتى اليوم مهملة ، هذا بالرغم من أن هذه الفترة شهدت تطورات شديدة الأهمية في تفسير القرآن الكريم ومناهجه، وهي مرحلة جديدة بكل معنى الكلمة، وهو ما يسمح لنا بوسم هذه المرحلة بـ **(المعاصرة)** والمرحلة المذكورة من قبل بـ **(الحديثة)** على سبيل الاصطلاح.

وهكذا فما نقدمه هنا هو ما يتصل بالحقبة المعاصرة التي تبدأ منذ منتصف ستينيات القرن الماضي، وما تزال حتى اليوم.



الباب الأول

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : القراءات المعاصرة واتجاهاتها.

الفصل الثاني : طرق التأويل.

الفصل الثالث : نتائج التأويل في القراءات المعاصرة.



الفصل الأول

القراءات المعاصرة واتجاهاتها

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : تعريف القراءات المعاصرة، والهرمنوطيقيا، والمصطلحات الضبابية .

المبحث الثاني : اتجاهات القراءات المعاصرة .

المبحث الأول

تعريف القراءات المعاصرة والهرمنوطيقيا والمصطلحات الضبابية

المطلب الأول

تعريف القراءات المعاصرة

تعريف كلمة «القراءات» :

القراءة : مصدر قرأ يقرأ قراءة ، وهي بهذا المعنى - بالنسبة للقرآن الكريم - تعني : التلاوة ، ولها شروطها وآدابها وأقسامها ، وقارأه مقارأة وقراء - بكسر القاف - دارسه ، وتقرَّأ - بالتشديد - : تفقَّه [1] .

والفرق بين قرأ وتلى : قرأ : أصل صحيح يدل على جمع واجتماع ، وهناك فرق كبير بين فعل (القراءة) وفعل (التلاوة) في الواقع ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾[2] ، وقال أيضاً: ﴿ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾[3] .

والمقصود من فعل **(تلا)** في النصوص هو ذكر كلام الله بشكل صوتي آية تتبع آية .

---

(1) أبو منصور: محمد بن أحمد بن طلحة الأزهري : تهذيب اللغة : ٩ / ٢٧٥، ومجد الدين محمد ابن يعقوب الفيروز آبادي، الشيرازي. القاموس المحيط، والقاموس الوسيط، الجامع لما ذهب من كلام العرب شماطيط: ١ / ١٣٦ ،ولجنة أعضاء مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط : ٢ / ٧٢٢ مادة قرأ.

(2) سورة الأنعام : ١٥١.

(3) سورة الحج : ٣٠ .

أما فعل (قرأ) فلا بدَّ له من عملية الجمع والاجتماع أن تتحقق في قلب القارئ، فعندما نقول : إن زيداً قرأ عليكم نصاً إخبارياً ، فالقراءة للنص إنما هي جمع ما يتعلق بهذا النص من معاني ودلالات ، والقيام بشرحه وتحليله ، والاستنباط منه ، وإسقاطه على محله من الخطاب .

بمعنى آخر ؛ القراءة هي فهم وتدبر وتفكير ، وقد يصاحبها تلاوة ، ألا ترى أن المراقب الجوي يقوم بقراءة صور الأقمار الصناعية ، ليتنبأ عن الأحوال الجوية ، وكذلك الطبيب يقوم بقراءة الصور الشعاعية أو صور الرنين المغناطيسي أو تخطيط القلب ، ومن ثَمَّ يعطي النتيجة لقراءته.

فعندما طلب الله عز وجل من نبيه ﷺ فعل القراءة بقوله :﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾[1]، كان يعلم أن النبي أمي في الخط وتلاوة المخطوط، مما يؤكد أنه طلب منه شيئاً آخر ضمن إمكانية النبي ﷺ ، وليس هو إلا فعل القراءة الذي يدل على الفهم والتدبر للخلق باسم الرب ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[2] .

يقول **سامر إسلامبولي** : « ليس المقصود بفعل القراءة في النص فعل التلاوة له ، وبالتالي ؛ فالأمر بالاستماع والإنصات ليس لمن يقوم بالتلاوة [3]، وإنما هو لمن يقوم بالقراءة، ومن يقرأ القرآن ؟..إنهم - حسب مواضيع القرآن - علماء التاريخ ، والفضاء ، والإنسان ، والبحار ، والأرض ، والنبات .. كل

---

(1) سورة العلق : ١ .

(2) سورة الأعراف : ٢٠٤ .

(3) بل الأمر بالاستماع والإنصات لمن يقوم بالتلاوة والقراءة.

هؤلاء يقرؤون القرآن ، فيجب على الإنسان أن يستمع ، وينصت لهم ، لأنه - بعمله ذاك - يرفع الجهل عن نفسه ، ويغيّر ما بنفسه من تخلف وانحطاط ، ويتعرف إلى ربه من خلال خلقه ، ولا شك أن ذلك الفعل سوف يستجلب رحمة الله عز وجل له »[1] .

ومن أصحاب القراءة المعاصرة من قال: كلمة « اقرأ » لا تعني فعل القراءة، إنها كلمة ذات أصل كلداني ، وتعني : أعلن وجاهر ونادي وبلغ ، ومنها بلغتنا العربية ، يقرأ السلام بمعنى يبلغه، فالآية لا تطلب من الرسول أن يقرأ ، بل تكلفه بإعلان الدعوة لإصلاح خطأ جوهري في مفهوم الإله الواحد ، وتطهير اسم الرب من التحريف الناجم عن سوء النقل والترجمة .

ثم أورد كلمة قراءة جديدة بالمعنى المتفق عليه ، وليس بمعنى بلغ وناد ، فالقرآن لم يقل اكتب ، بل قال اقرأ ، لأنه ليس كتاباً جديداً ، بل قراءة جديدة في كتاب الله نفسه.

ثم يقول أيضاً : القصة المتداولة في كتب التفسير، هي مجرد محاولة لتمرير الفكرة القائلة، بأن الرسول محمداً كان أمياً ... وهي فكرة ولدت لتفسير قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾[2] ، هذا التفسير مجرد خطأ ناجم عن سوء التفسير ، فكلمة أمي لا تعني غير المتعلم، إنها مصطلح توراتي ، بمعنى أممي.

---

(1) سامر إسلامبولي : القرآن بين اللغة والواقع ، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م الأوائل للنشر والتوزيع : ٦١ - ٦٣.

(2) سورة الأعراف : ١٥٧.

ويقول: بأن الآية ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1] شهادة صريحة بأن الرسول لم يكن يحسن القراءة فحسب بل كان معلماً و محاضراً [2] .

نجد أن هذا المؤول أثبت أولاً أن كلمة « **اقرأ** » لا تعني فعل القراءة، إنها كلمة ذات أصل كلداني ، وتعني : أعلن وجاهر ونادي وبلغ ، ثم ناقض نفسه بنفسه فقال : لم يقل اكتب بل قال اقرأ ، لأنه ليس كتاباً جديداً ، بل قراءة جديدة في كتاب الله نفسه.

وبهذا الخلط يريد المؤولة الجدد أن ينفوا الأمية عن الرسول ﷺ، ليفقد الإسلام - بزعمهم - إحدى معجزاته ألا وهي القرآن الكريم ، ويثبتوا بشرية القرآن.

وعلى كل فالقراءة الجديدة المشار إليها في هذا البحث مصطلح جديد ، وهي تعني : استخدام النظريات الحديثة في تأويل القرآن الكريم.

أما كلمة « المعاصرة » :

فهي مأخوذة من العصر ، والعصر : الوقت في آخر النهار إلى احمرار الشمس ، والدهر ، والزمن ينسب إلى ملك أو دولة ، أو إلى تطورات طبيعية أو اجتماعية ، يقال : عصر الدولة العباسية ، وعصر هارون الرشيد، والعصر الحجري ، وعصر البخار والكهرباء، وعصر الذرة [3] .

---

(1) سورة الجمعة : ٢.

(2) خيرية السقة، الإسلام والعروبة في فكر الصادق النيهوم وروجيه غارودي ، مطبعة المنارة بيروت ودمشق ، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م : ١٥.

(3) المعجم الوسيط ، ابراهيم أنيس وآخرون ، مادة (ع ص ر).

والمقصود بالمعاصرة هنا : العصر الحاضر ، أي القراءات الجديدة والمعاصرة في العصر الراهن، وسموا هذه القراءات بالمعاصرة تمهيداً لأن يكون في كل عصر قراءة جديدة للقرآن الكريم.

تقول الكاتبة المسلمة الأمريكية **مريم جميلة** : إن البلاد الإسلامية قد وقعت فريسة مصطلحات خاطئة ، ومنها مصطلح **(العصرية)** وقد جنى هذا المصطلح على الإسلام جناية كبرى ؛ فالعصرية والمعاصرة بالمفهوم غير الإسلامي تعني : عدم الرضا بالإسلام ديناً معقولاً مفهوماً لدى شعوب الدنيا [1].

من هنا نرى أنهم أرادوا شيئاً آخر من مصطلح المعاصرة.

ويشيع اليوم في الأقطار الإسلامية مصطلح **(القراءات المعاصرة)** كتعبير حديث عن وجهات النظر المختلفة المفسرة للنصوص الدينية وغيرها ، ظلت ردحاً من الزمن تمثل ظاهرة فردية[2] إلا أنه منذ سنوات أصبحت هذه الظاهرة جماعية ، ينتمي إليها أفراد من مختلف الأقطار العربية والإسلامية ، تجمعهم أفكار متقاربة متطابقة ، ويوحدهم أو يكاد منهج مشترك ، ويمكن تصنيفهم في نحلة واحدة.

---

(1) خالد عبد الرحمن العك ، الفرقان والقرآن ، قراءة إسلامية معاصرة ضمن الثوابت العلمية والضوابط المنهجية ، وهي مقدمات للتفسير العلمي للقرآن الكريم ، الحكمة للطباعة والنشر ، دمشق ١٤١٦ هـ ١٩٩٦م ، الطبعة الثانية : ٥١.

(2) في بداية الأمر كانت ظاهرة فردية ، نذكر على سبيل المثال ، محمد توفيق صدقي ، الذي ينكر السنة، والذي كتب مقالاً بعنوان : (**الإسلام هو القرآن وحده**) ونشر في مجلة المنار ، عدد ٩ سنة : ١٩٠٦ ، وذهب فيه مذهباً تأويلياً ، وقال : لا يجب القيام بما تواتر عن النبي ﷺ إن لم يرد له ذكر في القرآن ،وأعجب بهذا الرأي عبد المجيد الشرفي، فكان هذا المقال إرهاصاً للقراءة المعاصرة والجديدة الظاهرة اليوم.

ولا يخلو بلد من ممثلين لها، ومنتمين إليها، وإن كان البارزون فيها بالتأليف والتنظير والتقرير ليسوا بالعدد الكبير .. **نذكر على سبيل المثال**: من مصر **نصر حامد أبو زيد**[1]، و من السودان **محمود محمد طه**[2]،

---

(1) **نصر حامد أبو زيد**: (١٩٤٣ م، .....) ولد في طنطا محافظة الغربية، دكتوراه من قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة القاهرة، بتقدير مرتبة الشرف الأولى، أكاديمي مصري من أسوأ كتبه (نقد الخطاب الديني)، أعاد طبعه عام ١٩٩٥م مع مقدمة طويلة جداً كلها إصرار على خطاياه، حاول إلصاق النص بالتاريخ لتسويغ التخلي عنه، ولما حكمت عليه المحاكم المصرية بالردة وطلاق زوجته منه بسبب آرائه في قراءة النص الديني، لم يتب وإنما أمعن في الإلحاد والعناد، وهرب هو وزوجته التي لم تستجب لقرار التفريق إلى هولندا حيث عينوه في جامعة ليدن إحدى المراكز الكبرى للمستشرقين، وجعلوه أستاذاً لما أسموه (كرسي الحرية) ٢٠٠٢م، حاز على عدة منح وجوائز، وله: (مفهوم النص دراسة في علوم القرآن)، و (النص، السلطة، الحقيقة الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة)، و (الاتجاه العقلي في التفسير)، و(إشكاليات القراءة وآليات التأويل)، و(التفكير في زمن التكفير)، و(القول المفيد في قصة أبو زيد).

(2) **محمود محمد طه**: (١٩٠٩ م - ١٩٨٥ م) كاتب وسياسي سوداني انتخب رئيساً للحزب الجمهوري في أكتوبر ١٩٤٥ م، وسجن في يونيو ١٩٤٦م، وفي عام ١٩٥٢ م أصدر أول كتاب بعنوان (قل هذه سبيلي)، وفي ٢٥ ديسمبر ١٩٨٤م أصدر الجمهوريون منشورهم الشهير (هذا أو الطوفان) فاعتقل أربعة من الجمهوريين معهم محمود محمد طه، وقدموا للمحاكمة يوم ٧ يناير ١٩٨٥م، فصدر الحكم بالإعدام ضده وضد الجمهوريين الأربعة بتهمة إثارة الكراهية ضد الدولة، حولت محكمة أخرى التهمة إلى تهمة ردَّة، وأيّد نميري الحكم، ونفذ صباح الجمعة ١٨ يناير ١٩٨٥م، ألف العديد من الكتب وقدم كثيراً من المحاضرات والندوات والأنشطة الأخرى ونشر فكر حزب الجمهورية، من كتبه الأساسية: (الرسالة الثانية في الإسلام)، وهذا الكتاب أنجز ضمن مشروع يسمي نفسه مشروع (الإسلام والإنسانية) وهو مشروع

ومن سوريا **محمد شحرور**[1] ، ومن تونس **عبد المجيد الشرفي**[2]

عالمي مشبوه الأهداف ، وقد نشر الكتاب بمساهمة القسم الثقافي للسفارة الفرنسية بالمغرب ، وكتاب (طريق محمد) و (رسالة الصلاة) و (مشكلة الشرق الأوسط) و(التحدي الذي يواجه العرب) و(تطوير شريعة الأحوال الشخصية) .

(1) **محمد ديب شحرور** : (١٩٣٨ م - .....) معاصر من مواليد دمشق ، سافر إلى الاتحاد السوفييتي ببعثة دراسية عام ١٩٥٨م لدراسة الهندسة المدنية ، تخرج من معهد الهندسة المدنية عام ١٩٥٩م ، وتخرج بدرجة دبلوم في الهندسة المدنية عام ١٩٦٤م ، عين معيداً في كلية الهندسة المدنية بجامعة دمشق عام ١٩٦٥ وحتى ١٩٦٨م، أوفد إلى جامعة (دبلن) بأيرلندا عام ١٩٦٨ للحصول على شهادتي الماجستير والدكتوراه في الهندسة المدنية - اختصاص ميكانيك تربة وأساسات، حصل على الماجستير ١٩٦٩ والدكتوراه ١٩٧٢ م، عين مدرساً في جامعة دمشق كلية الهندسة المدنية عام ١٩٧٢م وما زال إلى الآن، بدأ في دراسة التنزيل الحكيم وهو في أيرلندا بعد حرب ١٩٦٧ وذلك في عام ١٩٧٠م ، وقد ساعده المنطق الرياضي على هذه الدراسة واستمرت دراسته للتنزيل الحكيم حتى عام ١٩٩٠ م ، من مؤلفاته : الكتاب والقرآن - قراءة معاصرة ١٩٩٠م ، وكتاب دراسات إسلامية معاصرة في الدولة والمجتمع عام ١٩٩٤م ، وكتاب الإسلام والإيمان - منظومة القيم ١٩٩٦م ، وكتاب نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي ٢٠٠٠م.

(2) **عبد المجيد الشرفي** : أستاذ جامعي من تونس (كلية الآداب جامعة تونس) له صلة وثيقة بالدوائر الدينية المسيحية في إيطاليا على وجه الخصوص ، ويتميز بكفاءته المنهجية العالية ، وبأسلوبه العربي المتين ، وبسعة اطلاعه على التراث الإسلامي على وجه العموم ، وهو لذلك يعتبر **أكفأهم** أيضاً في نصرة هذه الوجهة التأويلية التي يلتفون عليها ، وفي الترويج لها والدفاع عنها، أهم آرائه ضمنها في كتابيه : لبنات ١٩٩٤م، والإسلام بين الرسالة والتاريخ ٢٠٠١م وهذا الأخير أنجز خلال إقامة متفرغة بمعهد الدراسات المتقدمة ببرلين وكانت على حساب هذا المعهد ، وله كتاب: الإسلام والحداثة ١٩٩٨م.

ومحمد الشرفي[1]، ومن فرنسا **محمد أركون** أصيل الجزائر[2]، ويتبع هؤلاء ثلة من المؤلفين أقل شهرة منهم، يمشون على طريقهم ، وتبعهم جملة من الطلبة الذين أعدوا بإشرافهم أطاريح جامعية ، تنحو المنحى نفسه.

---

(1) **محمد الشرفي** : الباحث والقانوني والتربوي التونسي ، وزير سابق للتربية في تونس ، وأستاذ في كلية العلوم القانونية ، وترأس لفترة جمعية حقوق الإنسان ، ومعجب بالباحث المصري **نصر حامد أبو زيد** حيث يقول : هناك نخب وقدرات في العالم العربي لكنها مضطهدة غالباً مثل المفكر والمجدد العظيم في مصر نصر حامد أبو زيد ، وضمن آراءه في كتابه : الإسلام والحرية ـ الالتباس التاريخي ٢٠٠٢م، ويختصر العناصر الأساسية للحداثة بقوله :إننا مكبلون بتاريخنا ، ونحن سجناء التاريخ، الحرية والعقلانية .

(2) **محمد أركون** (١٩٢٨م ـ.....) : الكاتب العلماني المعروف ولد في منطقة القبائل الكبرى بالجزائر، وأكمل دراسته الجامعية بكلية الفلسفة في العاصمة الجزائرية، ومن ثم في جامعة السوربون في باريس، وحصل منها على دكتوراه في الفلسفة سنة ١٩٦٨. وظل يعمل في هذه الجامعة أستاذاً لعشرات السنين، كما عمل أستاذاً زائراً في عديد من الجامعات الأوروبية والأمريكية والآسيوية المعروفة على الصعيد العالمي، وألقى محاضرات في أكثر من مائة جامعة عربية وعالمية بدعوات منها، وتولى الكثير من المهام المرموقة في لجان علمية دولية، ومن بينها لجان تابعة لمنظمة الأونيسكو،حاز على جوائز وأوسمة عديدة، من بينها جائزة ضابط لواء الشرف، ضابط بالمس الأكاديمي، وجائزة ليفي ديلا فيدا لدراسات الشرق الأوسط في كاليفورنيا، ودكتوراه شرف من جامعة إكسيتر، صدر له الكثير من الكتب باللغة العربية واللغة الفرنسية، كما تم ترجمة البعض منها إلى العديد من اللغات، بينها الإنكليزية والهولندية والأندونيسية ، ويحاول أركون هدر الطابع الإلهي للقرآن والتأكيد على بشريته تمهيداً لنكرانه ، عرض آراءه في جملة من كتبه من أهمها : الفكر الإسلامي نقد واجتهاد ١٩٩٨م ، والفكر الإسلامي قراءة علمية ١٩٩٩م، والفكر الأصولي واستحالة التأصيل نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ١٩٩٩م ، وتاريخية الفكر العربي الإسلامي ١٩٩٦م ، ومن الاجتهاد إلى نقد العقل الديني ١٩٩٣م.

ونظراً لما رافق هذه النظرية من إبهام وما أوجدته من اضطراب فكري ، فإن من المناسب دراسة حقيقة هذه النظرية ، ومدى انسجامها مع الثقافة الإسلامية الأصيلة ، ولا ريب أن هذا المصطلح غربي المنشأ وغريب عن الثقافة الإسلامية ، وقائم على أساس نظريات الهرمنوطيقيا (1) الغربية الحديثة فهل من جديد في هذه النظرية ؟.

وهل لدينا ما يقابله من مصطلحات تفي بالغرض ، فلا نضطر لاستيراد مصطلح جديد؟.

الاجتهاد والفهم العرفي : مصطلحان إسلاميان أصيلان يقومان مقام المصطلح الوافد مع فارق كبير ، فهل ترويج هذا المصطلح **(القراءات)** يُعد إهداراً لهذا المخزون الإسلامي العظيم ؟.

ولما كانت هذه المشكلة مما يهم العالم الإسلامي ، فمن المقرر أن نؤكد على هذه المشكلة .

***

---

(1) **الهرمنوطيقيا** : مصطلح يوناني يعني التفسير وقد استعمله أرسطو في بعض كتبه بهذا المعنى، ويعتبر شلايرماخر ١٧٦٨ ـ ١٨٣٤م مؤسس الهرمنوطيقيا الحديثة ، ويبدأ رأيه بهذا التساؤل: كيف يتم فهم الأقوال.. فالهرمنوطيقيا : يعني فن الاستماع وفهم العبارة والممارسة المكررة للنشاط الذهني للقائل أو المؤلف لهذا النص.

المطلب الثاني

الهرمنوطيقيا والتفسير الإسلامي

ما علاقة التفسير الهرمنوطيقي بالتفسير الإسلامي للقرآن والسنة ؟ .

وهل هما على مسار واحد ؟.

إن **التفسير المسيحي** نشأ لحل المشاكل العويصة ، التي طرحت أمام النصوص الدينية في العهدين ، وجاء ليبرر هذه النصوص ورأينا كيف أن هذا التبرير لا يصمد أما الحقائق الدامغة ، أما **التفسير الإسلامي** فقد جاء للتعمق والتوضيح في النص القرآني ولا يزال باستمرار يكتشف آفاقاً من المعرفة.

وبتعبير آخر فإن المفسرين لم يواجهوا من المشاكل ما واجهه المفسرون المسيحيون؛ فالقرآن يعتمد عنصر البيان بحيث ينهل منه كل وارد وفق مستواه حتى ولو كان المعنى سامياً يتطلب تشبيهاً موهماً فهذه المتشابهات أرجعت إلى آيات محكمات فيوضح المعنى دون أي لبس .

أما عنصر الأسطورة المنافية للعقل فلا نجده في كتاب الله عز وجل.

نعم قد نجد الحديث عن **خوارق العادة** ،كتكلم طفل ، قال الله تعالى :

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾[1].

أو **طول عمر إنسان** ، قال الله تعالى : **﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾**[2] .

---

(1) سورة مريم : ٢٩ ـ ٣٠.

(2) سورة العنكبوت : ١٤ .

أو إحياء ميت ، قال الله تعالى : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(1).

وهذا كله يفسر بقدرة الله عز وجل الخارقة، ويؤكدها العقل المؤمن بالقدرة الإلهية الخارقة ، بل نجد القرآن ينفي الأساطير كمسألة نفي البحيرة والسائبة(2) وما يتعلق بالأصنام ، أما الحقائق العلمية فلم نجد أي خلاف بين العلم والقرآن .

---

(1) سورة البقرة : ٢٥٩.

(2) قال ابن منظور في لسان العرب : والسائبة التي في القرآن العزيز، في قوله تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ ﴾ كان الرجلُ في الجاهلية إذا قَدِمَ من سَفَرٍ بَعيدٍ، أَو بَرِئَ من عِلَّةٍ، أَو نَجَّته دابَّةٌ من مَشَقَّةٍ أَو حَرْبٍ قال: ناقَتي سائبةٌ أَي تُسَيَّبُ فلا يُنْتَفَعُ بظهرها، ولا تُحَلَّأُ عن ماءٍ، ولا تُمْنَعُ من كَلإٍ، ولا تُركَب؛ وقيل: بل كان يَنْزِعُ من ظَهْرِها فقارةً، أَو عَظْماً، فتُعْرَفُ بذلك؛ فأُغِيرَ على رَجل من العرب، فلم يَجِدْ دابَّةً يركبُها، فرَكِب سائبةً، فقيل: أَتَرْكَبُ حَراماً؟ فقال: يَركَبُ الحَرامَ مَنْ لا حَلالَ له، فذهَبَتْ مَثَلاً. وفي الصحاح: السائبةُ الناقةُ التي كانت تُسَيَّبُ، في الجاهِلِيَّةِ، لِنَذْرٍ ونحوه؛ وقد قيل: هي أُمُّ البَحِيرَةِ؛ كانتِ الناقةُ إذا ولَدَتْ عَشْرَةَ أَبْطُن، كُلُّهنَّ إناثٌ، سُيِّبَتْ فلم تُرْكَبْ، ولم يَشْرَبْ لَبَنَها إلا ولَدُها أَو الضَّيْفُ حتى تمُوتَ، فإذا ماتتْ أَكَلَهَا الرجالُ والنساءُ جَميعاً، وبُحِرَتْ أُذن بِنْتِها الأَخيرةِ، فتسمى البَحِيرةَ، وهي بمَنْزِلةِ أُمِّها في أَنها سائبةٌ.

وربما جاء أحدهم فأنكر الحقيقة العلمية في القرآن الكريم ، كما فعل عميد الأدب العربي عام ١٩٢٦م حينما قال : (**للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً ، ولكن ورود هذين الإسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي ، فضلاً عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ، ونشأة العرب المستعربة فيها**)[1].

فالهرمنوطيقيا نشأت لتحل لغزاً ومشكلة وتبرّر موقفاً غامضاً في النصوص المسيحية .

إنَّ فكرة القراءات لا تنسجم مع منطقنا الديني ولا ثقافتنا الإسلامية ، وآثاره السلبية كثيرة نقتصر منها على :

١ـ إنَّ فتح هذا الباب يعني القبول بأي تفسير للنصوص الدينية دون المطالبة بالدليل ، وبالتالي القبول بالاستحسانات الظنية التي لا أصل لها ، وهو أمر ترفضه التعاليم الإسلامية .

٢ـ إن هذا يعني فتح الباب أمام كل الفرق الضالة والمنحرفة والمعادية للإسلام بل الرافضة لأسسه اعتماداً على حريتها في التفسير ، بل يفتح باب قراءة صنمية للنصوص الدينية .

٣ـ إنها تؤدي إلى نسبية المعرفة وعدم إمكان الوصول للحقيقة الثابتة الأمر الذي يشيع الفوضى الفكرية في الفكر الإنساني ، وبالتالي نفقد إمكانية الوصول إلى فهم ديني للحياة.

---

(1) طه حسين ، في الشعر الجاهلي ، سلسلة ذاكرة الأمة / ٢ ، دار الخير للنشر والتوزيع : ٣٢ ـ ٣٤.

٤ـ عدم الاهتمام بمراد المؤلف أو المتكلم يعني فصل المخاطبين عن المتكلم والشارع لهذا الدين ، وبالتالي انقطاع الصلة بينه وبينهم .

٥ـ فتح الباب لمسألة التمرد والعصيان ورفض الأوامر الإلهية ، وبالتالي ينتفي الغرض والهدف من الدين عموماً.

٦ ـ ضياع الكثير من معايير الحُسن والقُبح .

٧ـ حذف دور الاجتهاد والمجتهدين في فهم الشريعة الإسلامية ، وهو هدف سعت إليه الدوائر الاستعمارية المعادية .

٨ ـ يفتح باب العلمانية في عالمنا الإسلامي ، كما فتحه من قبل في العالم الغربي، ولعل هذا هو المقصود الأصلي للذين يروّجون لهذه الآراء.

ولا أدل على ذلك من كتاب (**الأسس الفلسفية للعلمانية**) لعادل ضاهر[1] .

فهذا الكتاب يطرح كل الشبهات التي تطرحها الهرمنوطيقيا حول النص الديني من حيث الدلالة ومن حيث السند ومن حيث أسبقية العقل على الدين وكذلك من حيث تأثير المفروضات الذهنية على الوحي لينتهي بالتالي إلى ضرورة المنهج العلماني في التعامل .

---

(1) **عادل ضاهر** : كاتب علماني ولد في النبطية بجنوب لبنان عام ١٩٣٩م، أكمل تعليمه في الجامعة الأمريكية ببيروت ثم في جامعتي فرانكفورت ونيويورك، حاز على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة نيويورك عام ١٩٦٧، شارك في تأسيس مجلة (مواقف) عام ١٩٦٨م، عمل أستاذاً في الجامعة الأردنية ويرأس تحرير المجلة الفلسطينية العربية الصادرة عن الجمعية الفلسفية، أهم مؤلفاته: (الأخلاق والعقل) و(الإنسان والمجتمع) و(الأسس الفلسفية للعلمانية) و(أولية العقل ـ نقد أطروحات الإسلام السياسي).

المطلب الثالث

المصطلحات الضبابية

قال أحدهم تحت عنوان « **الخلاف في اللغة** » :(يستعمل السلفويون ألفاظاً تقليدية تراثية قديمة ، تأتي من العلوم الإسلامية في لحظة نشأتها وتكوينها وتطورها ، واكتمالها في القرون السبعة الأولى دون تطوير أو تغيير ، أو تبديل أو تحديث في القرون السبعة التالية ، لا يفهمها إلا أهل الاختصاص في المعاهد الأزهرية والجامعات الدينية ، والمشايخ والعلماء ، ورجال الدين ، مثل : الإيمان ، والكفر والشرك ، وهي ألفاظ تتطلب البحث عن معانيها المتجددة ...) [1] .

وعن التعابير والمصطلحات الغامضة والضبابية التي يستخدمونها ، ويعتبرونها مصطلحات حداثة ، يقول أحدهم : (أما الخطاب العلماني فإنه يستعمل في المقابل ألفاظاً حديثة ، نشأت من الوافد الثقافي الغربي ، وإن كانت معانيها في كثير منها لا تختلف عن معاني الألفاظ السلفية ...) [2] .

فهو يرمي بكلامه إلى إماتة المفاهيم الإسلامية ، ومن بينها مفاهيم : الإيمان والكفر والشرك ، وهي مفاهيم أساسية في القرآن الكريم ، ليصل من وراء ذلك إلى لغة ثالثة «تغريبية» يقول عنها : « وتوجد لغة ثالثة هي في نفس الوقت سلفية وعلمانية لا تحتاج إلى حوار ، هي لغة مشتركة في أصول كل منها ، مثل : الأرض ، والشعب ، والقوم ، والفعل والعمل ، والعقل والعلم ، والطبيعة ، والفطرة ... »[3] .

---

(1) حسن حنفي ، في الثقافة السياسية : ٢٥٤.

(2) المصدر السابق : ٢٥٦.

(3) المصدر السابق : ٢٥٧

وهكذا يريد أن يقوض دعائم وجود الأمة ، فيبدأ بتغيير مفردات تراثها العظيم ، وأنى له ذلك !.

إنَّ أغرب ما في أمر أصحاب القراءات المعاصرة هو أنهم يصرحون بأن ما يسعون إليه هو هدم ما يسمونه « القديم » وإحلال جديد محلَّه ، وهذا الجديد في نظرهم هو تعاليم المادية التاريخية الماركسية واللينينية ، ومن هنا لجؤوا إلى أساليب ملتوية ، لترويج أفكارهم الوهمية ، فكانت الضبابية والتعتيم على الحقائق ، واللبس والغموض في التعبير ، فالغنوصية، والأبستمولوجية، والأمبريقية، والأنسنة، والإسلاموية، والسلفوية، والماضوية، والمستقبلوية، والأنطولوجية، والبلشفية، والمنشفية، والدياليكتيكية، والسيكولاستيكية، والزمكانية، والمكانزماتية، والسيميولوجية، والهرمونوطيقية، والديماغوجية، وألفاظ كثيرة غيرها، كلها من تعابيرهم ومصطلحاتهم، وتعابير ومصطلحات مؤيديهم ومقومي أفكارهم الوهمية ، وهي كلها ألفاظ تندس في مؤلفاتهم ليسير القارئ من خلالها في طريق التغريب ، بقصد إيهامه بتخلف وعيه ، وبعدم قدرته على استيعاب ما يكتبون[1] .

وعليك أخي المسلم ألاّ تتهم نفسك بالجهل لعدم علمك بهذه المصطلحات ، فهم أنفسهم يعترفون بعدم فهمهم لها ، فمترجم كتب «**محمد أركون** » **هاشم صالح** [2] اعترف في مقدمته لكتاب «أين هو الفكر

---

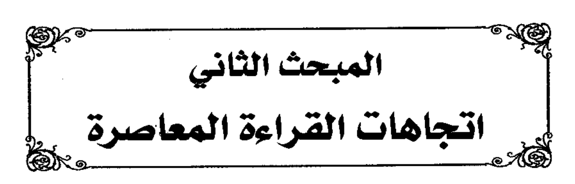
(1) صلاح الدين خليل الكلاس ، التشابه منهج القرآن في فهم القرآن ، الكتاب الأول من سلسلة التراث والمعاصرة أمام محكمة الأصالة ، دار القادري ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م : ١٧٧.

(2) **هاشم صالح** : سوري الأصل مقيم بباريس، أحد تلامذة محمد أركون المخلصين ، دكتوراه فلسفة من جامعة فرنسية ، تجرد منذ عام ١٩٧٨م بترجمة العديد من أعمال أركون وكتبه إلى العربية.

الإسلامي المعاصر ، **لمحمد أركون** » الاعتراف التالي : (بأنه لم يستطع أن يفهم هذه المصطلحات إلا بعد (١٠) سنوات ، وبعضها بعد (٣) سنوات من الدراسة في المعاهد الفرنسية ، حتى استطاع أن يتصور معناها كما أراد مستعملوها)[1] .

* * *

(1) **محمد أركون**، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ، ترجمة : هاشم صالح ، ناشره دار الساقي ، المقدمة.



المبحث الثاني
اتجاهات القراءة المعاصرة

المطلب الأول
المناهج الإسلامية الأصيلة

وتوصلنا الدراسة الاستقرائية لهذه الاتجاهات إلى التصنيف الآتي (1):

١ ـ مناهج إسلامية أصيلة.

٢ ـ مناهج غربية.

٣ ـ مناهج مختلطة.

والسمة التي تميّز هذه المرحلة «المعاصرة» هي ظهور مناهج وافدة لأول مرّة في تاريخ الإسلام لتفسير القرآن الكريم، وهي بقدر ما تبدو ظاهرة غربية غريبة، تبدو أيضاً خطيرة.

أولاً : المناهج الإسلامية الأصيلة :

يصعب عليك أن تجد منهجاً جديداً وبارزاً غير التفسير الموضوعي في هذه الفترة، والتفسير المعهود الذي يبدأ من سورة الفاتحة ويسير خطياً إلى سورة الناس ، قلّ الاهتمام به، وأصبح الباحثون في علم التفسير مهتمين بشكل كامل تقريباً بالتفسير الموضوعي .

إن في التفسير الموضوعي ذاته ما يبرر هذا الاهتمام الكبير به، ذلك أن الفلسفات الغربية، وخصوصاً الماركسية(1)، ما أخذت شوكتها حتى منتصف

---

(1) انظر: بحث لعبد الرحمن الحاج إبراهيم بعنوان « ظاهرة القراءة المعاصرة: أيديولوجيا الحداثة » مجلة الملتقى، العدد صفرين، بيروت، الملتقى الفكري للإبداع.

الخمسينيات ، وقد وضح أن التفسير الموضوعي يمتلك قدرة بالغة في المحاجة والدفاع عن الإسلام والعقيدة الإسلامية، وبالرغم من أن التفسير الموضوعي بدأ مبكراً في تاريخ الإسلام عندما كتب **الجاحظ**[2] عن «**النار في القرآن الكريم**»، ثم كتب شيخ الإسلام **ابن تيمية**[3] رسالة عن لفظة «**السنة**» في القرآن الكريم، وعندما نضج علم الوجوه والأشباه، أو الأشباه والنظائر في القرآن الكريم ، الذي يدرس مفردات القرآن الكريم في كل وجوه استعمالها في إطار القرآن نفسه، بالرغم من كل تلك الجهود، إلاّ أن المنهج ما كان

---

(1) نسبة إلى **كارل ماركس** (١٨١٨م - ١٨٨٣م) : اقتصادي واشتراكي ألماني كبير ، يعد رائد الاشتراكية المتطرفة ، يقول : لا إله والحياة مادة ، وهو مؤلف (رأس المال) أشهر كتاب في الاشتراكية ، ومن أقواله : الدين أفيون الشعوب.

(2) **أبو عثمان عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ** (١٦٣ م - ٨٦٩ م) : كبير أئمة الأدب ، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة ، مولده ووفاته بالبصرة ، فُلج في آخر عمره ، وكان مشوَّه الخلقة ، مات والكتاب على صدره ، قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه ، له تصانيف كثيرة منها : الحيوان ، والبيان والتبيين ، والبخلاء ، فضيلة المعتزلة .اهـ [الأعلام للزركلي].

(3) **أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية** (١٢٦٣م - ١٣٢٨م): شيخ الإسلام ، ولد في حران ، وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ ، وطلب إلى مصر لفتوى أفتى بها ، فسجن مدة ثم سافر إلى دمشق واعتقل بها وأطلق ثم أعيد ومات معتقلاً بقلعة دمشق ، فخرجت دمشق كلها في جنازته ، داعية إصلاح في الدين ، آية في التفسير والأصول، أفتى ودرس وهو دون العشرين، أما تصانيفه فربما تزيد على أربعة آلاف كراسة منها: (السياسة الشرعية) و(الفتاوى) و(الجمع بين النقل والعقل) و(منهاج السنة) و(الصارم المسلول على شاتم الرسول) وغيرها .اهـ [الأعلام للزركلي].

واضحاً إلى درجة يمكن فيها التنظير العلمي له، ولهذا لا نجد من بين كل الذين كتبوا في التفسير من قعّد لهذا المنهج، حتى في بداية القرن الماضي عندما كتب **محمد عبده** تفسير جزء عمّ، وقال في تفسيره لسورة الفيل : (وفي اليوم الثاني فشا في جند الحبش داء الجدري والحصبة ، ثم ذكر رواية عكرمة : أن أول ما رؤيت الحصبة[1] والجدري[2] ببلاد العرب في ذلك العام.. ثم عقب على ذلك بقوله :

هذا ما اتفقت عليه الروايات ويصح الاعتقاد به ... إلى أن قال : فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض .. وإن كثيراً من هذه الطيور الضعيفة يعد من أعظم جنود الله في إهلاك من يريد إهلاكه من البشر، وأن هذا الحيوان الصغير الذي يسمونه الآن (بالميكروب) لا يخرج عنها [3].

وهذا الذي قاله في تفسير سورة الفيل عليه مآخذ :

١ـ حديث الجدري والحصبة في هذا المقام مقحم، لا ينبغي أن يعول عليه في تفسير سورة بدأها الله بصيغة التعجب والتعظيم لصنعه، قال ابن الأثير :

---

(1) **الحصبة** : مرضٌ حاد مُعدِ فيروسي المنشأ، يحدث عادة في سن الطفولة ، ويسبب بُثوراً على سطح الجلد وحمًّى والتهاباً في القناة التنفسية، ويتعيَّن عزل المحصوب دائماً عن سائر أفراد الأسرة خشية العدوى، وقد توصل العلماء في أواخر الستينات من القرن العشرين إلى ابتكار لقاح واق من الحصبة.

(2) **الجدري** : داءٌ مُعْدِ فيروسي المنشأ ، يسبب حمًّى وبثوراً تنتشر في الجسم ، وهذا الفيروس مقصور على الإنسان، ولا ينتقل عبر الهواء إلى أبعد من بضعة أمتار، ابتكر الطبيب البريطاني **أدورد جنر** لقاحاً ضده عام ١٧٩٦م.

(3) محمد عبده ، تفسير جزء عم ، طبعة بولاق : ١٥٨ .

وقال كثير من أهل السير ، إن الحصبة والجدري أول ما رؤيا في العرب بعد الفيل ، وهذا مما لا ينبغي أن يُعرج عليه ، فإن هذه الأمراض قبل الفيل منذ خلق الله العالم.

٢ـ **أما قوله** : وهذا ما اتفقت عليه الروايات ، فغريب في باب العلم ، وعجيب في باب التفسير ، لأن الروايات لم تتفق على هذا ، فذكرت روايات : أنها أشبه بالوطاويط ، وبعضها ذكر أنها أشبه باليعاسيب وهي ذكور النحل ، وذكر بعضها أنها أشبه بالخطاف.

٣ـ لم يعرف في اللغة العربية واستعمالاتها إطلاق لفظ «**الطير**» على الحيوان المسمى «بالميكروب» .

٤ـ **قوله** : يجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض ، تحميل لآيات القرآن الكريم فوق طاقة أساليب العربية ، وفوق طاقة أفهام من نزل القرآن عليهم لتعجيبهم من شأن هذه الحادثة المبدعة إرهاصاً لمقدم بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين[1] .

ثم إنَّ تفسير المنار استخدم تقنيات التفسير الموضوعي، من دون أن ينظِّر بشكل علمي لهذا المنهج.

ونستطيع أن نؤرخ – باطمئنان– لبداية البلورة العلمية لهذا المنهج باكتشاف **محمود محمد حجازي** ـ بعد كتابته «التفسير الواضح » ـ «**الوحدة الموضوعية في القرآن** »[2]، ومنذ ذلك الحين ، بدأ الاهتمام يزداد بهذا النوع من التفسير ، وأصبح العمل متجهاً إلى بلورة هذا المنهج بشكل نظري.

---

(1) محمد الصادق عرجون ، القرآن العظيم هدايته وإعجازه في كل أقوال المفسرين ، طبعة دار القلم دمشق ، الدار الشامية بيروت : ٢٤١.

(2) والتي كانت موضوع أطروحته للدكتوراه في الأزهر سنة ١٩٦٧م.

منذ ذلك الحين أيضاً أخذت الدراسات تتكاثر تباعاً، وقدمت أطروحات جامعية عالية في هذا الموضوع ، وما تزال إلى اليوم تتقدم في صياغة منهج التفسير الموضوعي وتطوّره.

يقوم مبدأ التفسير الموضوعي على مفهوم «**الوحدة الموضوعية** » للقرآن وهو مفهوم بدا أن له معنيين هما :

أ ـ وحدة الأفكار والموضوعات :

التي يتناولها النص القرآني، فما يقدمه مثلاً عن « **المال** » في أول القرآن الكريم، له علاقة مع ما يذكره عن « **المال** » في آخره، ويتكامل معه، ذلك لأن المصدر الذي صدر عنه النص القرآني يفترض منطقيته وانسجامه مع بعضه، وهو معنى الآية الكريمة: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾[1].

أو وحدة الموضوع الذي يطرحه القرآن في السورة، التي تشكل برمتها موضوعاً واحداً .

ب ـ وحدة القرآن الكريم ، بناءً و موضوعاً:

بحيث يصبح كالكلمة الواحدة في موضوعاته ومفرداته وألفاظه ، وبناءً على مفهوم «**الوحدة الموضوعية** »[2] وجد هناك ثلاثة تعريفات للتفسير الموضوعي، تجعلنا نقول بوجود ثلاثة أنواع في التفسير الموضوعي هي:

---

(1) سورة النساء :٨٢.

(2) **الوحدة الموضوعية** : هي الوحدة العضوية حسب مصطلح محمد عبد الله دراز ، ولا أستسيغ هذا الاصطلاح لأنه يستعمل في القصائد الشعرية، وما هو بقول شاعر، والمقصود بالوحدة العضوية للقصيدة : أن تكون بنية حية وبناء متكاملاً، وعملاً فكرياً وشعورياً متكاملاً ومتنامياً، وليست خواطر مبعثرة أو أفكاراً متفرّقة. وعبَّر طه جابر

١ ـ المفردة القرآنية :

وهي دراسة لدلالة المفردات القرآنية داخل القرآن الكريم وفي حدوده فحسب، وبالرغم من أن هذا النوع من التفسير لكلمات القرآن يعتمد مبدأ «**البنائية** » للقرآن الكريم ، فإن بعض الباحثين لا يعتبره من التفسير الموضوعي، ذلك أنه لا يعطي صورة كاملة عن موضوع ما أو سورة ما، ولكن تفسير مفردات القرآن الكريم وتحديد دلالته هو في الواقع تحديد للمفاهيم .

وهذا النوع من التفسير يوجد جذوره في علم الأشباه والنظائر أو الوجوه والنظائر المعروف في علوم القرآن الكريم، وقد بدأ الاهتمام به في وقت متأخر، ذلك أنهم اكتشفوا أن المشكلة الأساسية في أي تفسير تكمن في التعامل مع القرآن مجرّد تعامل لغوي دون الانتباه إلى إمكانية أن يكون في تلك المفردات ما هو اصطلاح قد يغير جذرياً التفاسير المعهودة .

والأشباه والنظائر: هو اتجاه نحاه بعض العلماء في تتبع اللفظة القرآنية، ومحاولة معرفة دلالاتها المختلفة، مثال ذلك : كلمة «**خير**» التي وردت في القرآن على ثمانية أوجه حسبما ذكره **الدامغاني** في كتابه «إصلاح الوجوه والنظائر»، وهي :

المال، كقوله : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ﴾[1].

والإيمان، كقوله : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾[2].

العلواني عن الوحدة الموضوعية **بالوحدة البنائية**: وهي تعني أن القرآن المجيد واحد لا يقبل بناؤه وإحكام آياته التعدّد فيه أو التجزئة في آياته، أو التعضية بحيث يقبل بعضه، ويرفض بعضه الآخر، فهو بمثابة الكلمة الواحدة أو الجملة الواحدة أو الآية الواحدة.

(1) سورة البقرة : ١٨٠.

(2) سورة الأنفال : ٢٣.

والإسلام، كقوله: ﴿ مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ ﴾[1] .. وبمعنى **أفضل** كقوله : ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾[2].

والعافية، كقوله : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[3].

والأجر، كقوله : ﴿ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾[4] .

والطعام، كقوله: ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[5] .

وبمعنى **الظفر والغنيمة والطعن في القتال** كقوله : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ﴾[6] .

وهكذا تتبعوا الكلمة وحاولوا الربط بين دلالاتها في مختلف المواطن، وأظهروا بذلك لوناً من البلاغة والإعجاز القرآني، وقد كان من نتائجها استنباط دلالات قرآنية بالغة الدقة، لم يكن بمقدورهم العثور عليها لولا انتهاجهم هذا السبيل.

وممن اعتنى بهذا اللون من المعاصرين **أحمد حسن فرحات في** سلسلة سمّاها : «**بحث قرآني وضرب من التفسير الموضوعي**» أصدر منها كتاب : «**الذين في قلوبهم مرض**»، و«**فطرة الله التي فطر الناس عليها** »، و«**الأمة في دلالاتها العربية والقرآنية** » وغيرها.

---

(1) سورة القلم : ١٢.

(2) سورة المؤمنون : ١٠٩.

(3) سورة الأنعام : ١٧.

(4) سورة الحج : ٣٦.

(5) سورة القصص : ٢٤.

(6) سورة الأحزاب : ٢٥.

وهذا كما ترى لون من التفسير الموضوعي ، وهو أول وسيلة يلجأ إليها الباحثون في البحث عن موضوعات القرآن الكريم، حيث يجمعون ألفاظ ذلك الموضوع من سور القرآن ثم يتعرفون على دلالة اللفظ في أماكن وروده.

السورة القرآنية :

قصر بعضهم التفسير الموضوعي على دراسة السورة القرآنية باعتبارها تتضمن موضوعاً واحداً تدور كل مقاطع السورة في المحصلة حوله، وهذا اللون ظفر بعناية القدماء بل جاءت في ثنايا تفاسيرهم ، الإشارات إلى بعض أهداف السورة ، و محاولة الانطلاق منها لبيان تفسيرها، كالذي فعله **البقاعي** في كتابه : « **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** » .

و أما في العصر الحديث فقد أولع به **سيد قطب** في تفسيره «**الظلال**» حيث يقدم لكل سورة ببيان أهدافها الرئيسة أو هدفها الوحيد، وينطلق في باقي تفسير السورة من خلال هذا المحور الذي تتحدث السورة عنه.

وقد أفردت بحوث كثيرة في هذا اللون من التفسير الموضوعي منها سلسلة « **من مواضيع سور القرآن** » التي يكتبها **عبد الحميد طهماز** ، وقد صدر منها « **العواصم من الفتن في سورة الكهف** » .

وتعدُّ أهم دراسة - حتى الآن - هي دراسة **محمود البستاني** « **عمارة السورة القرآنية** » وتأتي أهمية هذه الدراسة أنها تبحث عن قوانين تحدد الأساس الموضوعي الذي يقوم عليه بناء السورة القرآنية من خلال القرآن الكريم كله.

الموضوعات القرآنية :

هذا النوع هو الأكثر شهرة، والأكثر تبادراً إلى الذهن عند إطلاق تعبير « **التفسير الموضوعي** »، ويتوقف هذا التفسير على تحديد « **الموضوع** » الذي

يجب أن يُدرس، والمشكلة الأساسية أن هذا النوع من التفسير لا يمكن أن يشكل تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم، شأنه شأن دراسة المفردة القرآنية التي ذكرناها آنفاً، ذلك أن الموضوعات التي تناولها القرآن الكريم يصعب حصرها، فتحديدها بطبيعة الحال اجتهاد، والاجتهاد يُختلف فيه من حيث كونه ظني الدلالة، هذا خلافاً للتفسير الموضوعي الذي يعتمد السور.

أما **آيات الأحكام** فقد قام الفقهاء بجمع آيات كل باب من أبواب الفقه على حدة، وأخذوا في دراستها واستنباط الأحكام منها، والجمع بين ما يظهر التعارض ، وذكروا ما نص عليه وما استنبط من القرآن الكريم بطريق الإشارة والدلالة الخفية ونحو ذلك ، وكله داخل تحت مسمى التفسير الموضوعي.

كما كتب **عبد المنعم تعيلب** [1] سلسلة « **تفسير القرآن حسب مطالبه** » ، وهي سلسلة كتب التزم فيها تعيلب منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم؛

---

(1) **عبد المنعم تعيلب** : (١٩٢١م ـ .....) : ولد في أسرة ريفية متدينة بإحدى قرى محافظة الشرقية في دلتا مصر، وأتم حفظ القرآن ثم التحق بكلية أصول الدين التي حصل فيها على الترتيب الأول فكرَّمه الملك – وكانت مصر وقتها ملكية– ومنها حصل أيضاً على درجة العالمية (توازي الدكتوراه) في التفسير، تعرف على دعوة الإخوان ومؤسسها وانضم لجماعتها مبكراً، واعتقل بسببها أكثر من مرة ، وكانت بداية عمله الرسمي بإدارة الوعظ والإرشاد ثم فصل لأسباب سياسية، فعاد لأرض أبيه في القرية فعمل فيها بالزراعة مع عكوفه على القراءة والدعوة ، ثم سافر فعمل في وزارة الأوقاف الكويتية وخبيراً بموسوعة الفقه الإسلامي ، ثم انتقل للعمل بجامعة الملك عبد العزيز بالسعودية ، تزوج ولما يجاوز السادسة عشرة من عمره فقد كان وحيد أبويه اللذين فقدا قبله عشرة أولاد لم يعش منهم أحد فأنجب أربعة عشر من الأبناء.من كتبه : (فتح الرحمن في تفسير القرآن) و (موقف الإسلام من الأديان) و (عند الله وحده علم الساعة) رد على رشاد خليفة ، و(دراسة في الرد على البابا يوحنا بولس الثاني).

بحسب مطالبه وليس بترتيب سوره، وقد قدم فيها سبعة كتب هي بالترتيب : **(آيات الإيمان بالله)** و**(آيات الإيمان بالملائكة)** و**(آيات الإيمان بالكتب)** و**(آيات الإيمان بالرسل)** و**(آيات الإيمان بالآخرة)** و**(آيات الحجة على المشركين بالله)** و**(آيات الحجة على الكافرين بالملائكة)** .

وكذلك الدراسات في علوم القرآن، فلقد اهتم العلماء بموضوعات علوم القرآن فأشبعوها، ومن بين هذه الموضوعات والدراسات، لون ينصبُّ على دراسة وجمع الآيات التي لها رابطة واحدة، كآيات النسخ ، وآيات القسم، وآيات المشكل ، وآيات الجدل ، وآيات الأمثال وغير ذلك ، ومؤلفاتهم في ذلك يعز على الباحث حصرها.

ولشدة عناية الكاتبين بهذا الفن من التفسير قام جمع من الباحثين بخدمة هذا اللون من التفسير بوضع فهرسة للقرآن الكريم على حسب الموضوعات، ككتاب المستشرق «**جون لابوم**» والذي عنوانه «**تفصيل آيات القرآن الكريم**» [1]، وهو خطوة أولى في طريق طويل.

وليس بمستغرب أنه كلما طرأت مشكلة أو طرحت قضية، فيراد بحثها من آيات القرآن الكريم ، إلا ويرى جوانب معالجة الموضوع ودراسته في القرآن كافية وافية، ولكن الغريب حقاً أن تقترح موضوعاً فتلج إلى عالم القرآن، فتراه كأنما أنزل فيه ، فيدهشك أن الموضوع قد استوفيت جوانب دراسته في القرآن الكريم كأنما أنزل القرآن من أجله، وما أغزر الموضوعات التي طرقها القرآن الكريم وأشبعها دراسة وبحثاً.

---

(1) وقد ترجمه إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقي وترجم المستدرك الذي وضعه **(إدوار مونتيه)** وخرجا في كتاب واحد.

هذه الأنواع الثلاثة للتفسير الموضوعي يبدو أنه لا يزال هناك اختلافٌ حولها، وما يزال كل نوع منها يُعتمد مستقلاً عن الآخر، بحيث يعسر علينا العثور على تفسير واحد يجمع الأنواع الثلاثة مجتمعةً، وهو ما نراه الآن ضرورياً لمناهج التفسير، وبالتالي فنحن بأمسِّ الحاجة اليوم لإنشاء منهج يمزج الأنواع الثلاثة ، ويؤسس للعلاقة بينها، وطريقة عملها والأدوات العلمية اللازمة لكل منها.

يبقى أن أهم ما في التفسير الموضوعي هو اعتماده على الدراسة الداخلية للقرآن، أي الاعتماد على مبدأ تفسير القرآن بالقرآن، والاكتفاء به، وهو ما يوقعه في إشكالية غاية في الخطورة، وهو تحوله إلى تفسير مع وقف التنفيذ، ذلك أن هناك مصدراً آخر هو السنة النبوية الشريفة غير مأخوذة بالحسبان، وإذا كنا لا نرى دمجها مباشرة بالدراسة الموضوعية للقرآن التي أثبتت جدواها وأهميتها باعتمادها على القراءة الداخلية للقرآن، فإننا ننبه هنا إلى ضرورة اعتمادها كخطوة ثانية في التفسير الموضوعي، بحيث يتم المواءمة بين نتائج التفسير الموضوعي ونصوص السنة الشريفة بوصفها مُبيِّنة للقرآن وتابعة له في وقت واحد.

إنَّ مفهوم التفسير الموضوعي يدلنا على الأصول التاريخية لهذا المنهج الذي كان في أذهان بعض المفسرين رغم عدم وضوحه، وهذا المصطلح يشير إلى المحاولات النظرية التي تجعل لهذا المنهج قواعد علمية وأدوات وطرق بحث، وبذلك نجد أنفسنا بكل تأكيد أمام التاريخ المعاصر للعلوم الإسلامية لا الحديث أو القديم.

يبقى أن المنهج الوحيد الذي يمكننا وصمه بالأصالة الإسلامية في الفترة المعاصرة هو فقط التفسير الموضوعي، أمّا المناهج الأخرى فهي إما مختلطة مثل «**التفسير البياني**» أو«**الأدبي**» ، وإما غريبة غريبة مثل مناهج : « **القراءات المعاصرة** » .

فتبيَّن أن المنهج الجديد - فيما أسميناه بالفترة « **المعاصرة** » التي تمتد منذ منتصف الستينيات وحتى اليوم- هو « **التفسير الموضوعي** » .



المطلب الثاني

المناهج الغربية

وسنتوقف هنا عند «**المناهج الغربية**» التي استخدمت لتأويل القرآن وإعادة قراءته، ونؤكد ابتداءاً أن استخدام مناهج غربية بشكل كامل يعتبر ظاهرة جديدة كلياً، بالرغم من صلتها المتواضعة بالبحث «**الاستشراقي الفيللوجي**»[1].

ثانياً : المناهج الغربية :

طريقة طريفة في تقرير الوقائع ، يرى بعضهم فيها وسيلة كفيلة بإقناع الألوف من السذج ، وخطة لخداع الجمهور لكي يصلوا إلى الغاية المنشودة، ومنذ مطلع هذا القرن كشف «**خواجة كمال الدين**» هذه الخطة بقوله : (وإليك بيان الطريقة التي دأبوا عليها في نقد الديانات ؛ يشير أحدهم إلى فكرة من طرف خفي ، ويليه آخر فيقرر أن هذه الفكرة جائزة، ويأتي ثالث فيرفع هذا الجواز إلى مرتبة «**النظرية** » ، وهكذا تتطور الفكرة أربعة أطوار أو خمسة ، حتى ينتهي بها المطاف إلى أن تصبح حقيقة مقررة)[2].

ويذكر **شوقي أبو خليل** مثالاً على ذلك فيقول : (ادَّعى الدكتور **ألفونس منجانا**[3] أنه عثر على ترجمة سريانية للقرآن الكريم ، فيها أجزاء ليست

---

(1) **الفيللوجيا** : علم يدرس النصوص من خلال مقارنتها ببعض، ويعنى بشكل خاص بالنصوص التاريخية، ويهتم بشكل كبير بالتطور الدلالي للكلمات مقارنةً بين اللغات.

(2) خوجة كمال الدين ، المثل الأعلى في الأنبياء ، الطبعة العربية ، دار الفكر بدمشق : ٢٨.

(3) **الفونس منجانا** (١٨٨١م - ١٩٣٧م) مستشرق ، كان أبوه قسيساً من قساوسة الكنيسة الكلدانية المتحدة مع رومة ، وتعلم من ١٨٩٣م إلى ١٩٠٣م في المعهد السرياني

موجودة في النسخ العربية، يريد بذلك أن يوهم القارئ أنه ربما ضاع شيء من القرآن .. وجاء **دافيد صموئيل مرجليوث**[1] ليقول : وقد عثر الدكتور **منجانا** على نسخة سريانية عريقة في القدم ، ووصفها في نشرة مكتبة (جون رايلاند) ، فله فضل السبق في هذا الأمر ؛ فالأمر الذي شك به **منجانا** ، جار **مرجليوث** ليجعله عريقاً في القدم ، وبذلك يصبح رأيه حجة في التدليل على عدم صحة القرآن الكريم، هذا هو الأسلوب الذي يلجأ إليه هؤلاء الحذاق في استغلال سطحية الجماهير[2] .

إن ظاهرة اعتماد المناهج الغربية في دراسة القرآن الكريم وتأويله، فيما عرف بعد ذلك بـ «**القراءة المعاصرة** » هذه الظاهرة بدأت منذ ١٩٥٠م، عندما كتب المستشرق الياباني «**توشيهكو ايزوتسو**» دراسته بعنوان : «**بنية المصطلحات الأخلاقية في القرآن**» باللغة الإنكليزية، وما تزال مستمرة حتى اليوم [3] .

الكلداني للدعوة في الموصل ، سافر إلى لندن سنة ١٩١٠م ، وعمل في مكتبة جون رايلند الشهيرة بمخطوطاتها العربية والسريانية . اهـ .. موسوعة المستشرقين : ٣٩٨.

(1) **دافيد صموئيل مرجليوث** (١٨٥٨م ـ ١٩٤٠م) مُبشِّر مستشرق بريطاني ، له في لغته كتب عن الإسلام والمسلمين ، لم يكن فيها مخلصاً للعلم . اهـ[الأعلام للزركلي : ٣ / ٤].

(2) شوقي أبو خليل ، قراءة علمية للقراءات المعاصرة ، دار الفكر بدمشق ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م : ١٠.

(3) بحث لعبد الرحمن الحاج ابراهيم بعنوان "ظاهرة القراءة المعاصرة: أيديولوجيا الحداثة" مجلة الملتقى، العدد صفرين، بيروت، الملتقى الفكري للإبداع، على الشبكة العنكبوتية: http://www.almultaka.net/majalla0

ولكن لا بد من الإشارة إلى أن المناهج الغربية الحديثة التي استخدمت لتأويل القرآن كانت تعتمد على اللسانيات بدرجة أولى، وبدرجة ثانية على المنهج التاريخاني.

١ ـ المناهج اللسانية :

اللسانيات علم يدرس اللغة، ويحاول جعل البحث اللغوي معتمداً على التجريب تماماً كالبحث التطبيقي في العلوم الحسيّة البحتة .

نشأ هذا العلم في ظروفِ تمَدُّدِ المنهجية الوضعية الغربية وبسط نفوذها على العلوم الإنسانية لإخضاعها لمنطق الحس، (بالرغم من مفارقتها له)، ولذلك فإن هذا العلم «**اللسانيات**» علم يقوم على أرضية فلسفية وابستمولوجية «**أصول معرفية**» وضعية، وهو بذلك ليس علماً حيادياً، مما يجعل استعماله محفوفًا بالمخاطر خصوصاً إذا كان موضوع تطبيقه القرآن الكريم.

فاللسانيات علم يهدف إلى اكتشاف القوانين التي تحكم اللغة واستعمالاتها، وينزع إلى البحث عن القوانين التي تحكم لغات العالم جميعها في وقت واحد .

الغاية التي يسير إليها هذا العلم هو فهم المنطق الذي يحكم اللغات من أجل ضبط «**المعنى**» أو الدلالة، وهو هنا يتقاطع مع كل العلوم الإنسانية والعلوم التي تدرس النص، وبالخصوص علم «**أصول الفقه**» الإسلامي، العلم المتخصص بدراسة النص اللغوي، والعربي منه على وجه الخصوص.

ثم كتب عدد من المستشرقين الفرنسيين «**آلارد وآخرون**» دراسة طبق فيها علم الدلالة اللساني في كتاب «**تحليل مفهومي للقرآن** » عام ١٩٦٣م ، وفي عام ١٩٦٤م نشر معهد «**كيوتو**» للثقافة والدراسات اللسانية في طوكيو دراسة باللغة الإنكليزية للمستشرق الياباني المذكور آنفاً، بعنوان : « **الله والإنسان في القرآن: علم دلالة التصور القرآني للعالم** » .

في هذه الفترة كان علم اللسانيات ما زال في طور تبلوره، وخصوصاً علم الدلالة وعلم العلامات السيميائية.

وقد حاول «**ايزوتسو**» في دراسته أن يلحظ خصوصية القرآن ولغته التي تشير إلى المصدر الإلهي، والطابع الوضعي للسانيات، ولذلك حاول أن يطوّع النظريات اللسانية لتحليل القرآن الكريم؛ بهدف الكشف عن نظرته الكلية للكون والحياة والإنسان، وبذلك انتبه «**ايزوتسو**» إلى أخطر مشكلة تواجه تطبيق البحث اللساني على النصوص الدينية.

ولذلك (وبالرغم من أن **ايزوتسو** كان مستشرقاً) خلص إلى تصور لأكثر من (١٠٣) مفاهيم عقدية في القرآن، تكاد تطابق ما عليه جمهور المسلمين، حتى ليبدو أن كاتب هذه الدراسة هو واحد من المسلمين، وعلينا أن نؤكد على أن ذلك يرجع إلى أن «**ايزوتسو**» ياباني وليس مسيحيًّا أوروبيًّا أو أمريكيًّا، فهو لذلك لا يحمل عقدة نفسية تجاه المسلمين، وبالتالي استطاع في دراسته أن يكون موضوعياً حيادياً.

ومن جهة ثانية درس «**ايزوتسو**» اللغة العربية لمدة عامين كاملين في البلاد العربية لهذه الغاية، وحاول تفهم وجهة نظر المسلمين؛ مما سمح له أن يقترب أكثر من الموضوعية.

إنَّ الشيء الأكثر أهمية في دراسة «**ايزوتسو**» أنها تثبت أن الدراسة اللسانية للقرآن ليست دوماً ضد القرآن على النحو الذي سنشهده في التطبيقات العربية للسانيات على القرآن!.

وتعدُّ دراسة الباحث السوداني **محمد أبو القاسم حاج حمد** (العالمية الإسلامية الثانية عام ١٩٧٩م) أول هذه التطبيقات، حيث كانت تلك الفترة بداية لتسرب اللسانيات إلى كل حقول المعرفة الإنسانية، ودخولها العالم العربي.

ودشَّنت دراسة المهندس السوري **محمد شحرور** «الكتاب والقرآن» عام ١٩٩٠م مرحلة مهمة لهذا النوع من الدراسات، حيث تحوَّلت «القراءة المعاصرة» للقرآن منذ ذلك الوقت إلى ظاهرة واضحة ومتكررة.

فإن قيل: إذا كان من المفهوم لنا أن يطبق المستشرقون والباحثون الغربيون المناهج اللسانية الحديثة لكي يفهموا القرآن بدوافع معرفية وضعية وبدوافع «**استعمارية**»، أو بدوافع معرفية «**موضوعية**»، لأنهم يعتقدون أن في هذه العلوم تكمن القدرة السحرية لفهم الحقيقة على نحو لا يفهمها غيرهم فهي سقف المعرفة عندهم، فما الذي يدفع بالباحث العربي والمسلم للاعتماد على تلك المناهج رغم إشكاليتها وصبغتها الوضعية، وتوفر بديل تراثي غاية في الأهمية، أعني « **أصول الفقه** » وكأن هذه الأمة لا يكفيها ما يفعله الأعداء بها، حتى يكمل الأبناء باسم التجديد ما عجز عنه الأعداء ؟.

أقول: نصف الجواب بأن ذلك يندرج تحت التقليد العام للغرب (عقدة الغالب والمغلوب).

والجواب الكامل نجده في الباعث العقدي الذي يسوغ هذه الدراسات، والذي غالباً ما يكون ماركسياً أو علمانياً، ويمثل القاسم المشترك بين كل الدراسات التي طبقت البحث اللساني على القرآن الكريم، وما شأن أبناء الأمة الذين زعموا أن أزمة الأمة في فهمهم للكتاب والسنة، ما شأنهم مع أمتهم التي ربتهم وعلمتهم وثقفتهم إلا كما قال الشاعر العربي :

أعلمه الرماية كل يوم ... فلما اشتدَّ ساعده رماني
وكم علمته نظم القوافي ... فلما قال قافية هجاني

لقد كانت المناهج التراثية في التفسير تحول دوماً دون إقامة تأويل مذهبي علماني يستغرق كامل النص، مما جعل أصحاب هذه الاتجاهات العلمانية يجهدون أنفسهم للبحث عن مناهج تسهِّل لهم ليَّ أعناق النصوص القرآنية لاعتقاداتهم، وقد وجدوا في دراسة اللسانيات إمكانات كبيرة تسمح لهم بالتطبيق لكامل النص القرآني بشكل منظم ومتكامل ، ولكن ذلك لم يتم أيضاً إلاّ بنوع من التعسف والتجاوز لإشكاليات عديدة ، لكنه في كل الأحوال ليس مفضوحاً بسهولة.

قال **نصر حامد أبو زيد** : «فالنص القرآني مثلاً نصٌّ لغوي لا تمنع طبيعته الإلهية أن يدرس ويحلل بمنهج بشري ، وإلا تحول إلى نص مستغلق على فهم الإنسان العادي مقصد الوحي وغايته»[1].

إنَّ القرآن الكريم لم يكن يوماً ليستغلق على قلوب البشر ، إلا بعد أن أعملوا مناهجهم ووسائلهم في دراسة النص القرآني ، والقرآن الكريم ينبغي أن يدرس بمنهج من طبيعته ، وهذا المنهج هو منهج القرآن في فهم القرآن.

وها هم أصحاب القراءة المعاصرة يصفون منهجهم بأنه منهج صاعد ، ينسجم مع التطور المزعوم الذي يسير من الأدنى إلى الأعلى انطلاقاً من الواقع ، والمناهج الأخرى هي مناهج هابطة .

قال أحدهم : ويستعمل العلمانيون المنهج الصاعد ، ويعني البداية بالواقع والإحصاء والاستقراء وتحليل التجارب الفردية والاجتماعية ، ورصد حوادث التاريخ[1].

---

(1) نصر حامد أبو زيد ، نقد الخطاب الديني، دار سينا بالقاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٩٤م : ١٢ .

وليس هناك علاقة بين النص القرآني وبين هذا الكلام ، لأن القرآن الكريم آيات بينات «**بصائر**»، لكن هؤلاء يتناولون النص القرآني من موضع الشك ، وإلا ليس هناك من معنى كي يبدأ **أبو زيد** في منهجه مما سماه الحقائق والبديهيات ليصل إلى المجهول ، وما يكشف عنه عبر جملة من الافتراضات، كما ذكر ذلك فقال : وقد أتيح لي من خلال المشاركة في تدريس مادتي «القرآن والحديث» و«البلاغة العربية» أن أقوم مع الطلاب باختيار مجموعة من الفروض تدور كلها حول «القرآن» من جوانبه المختلفة [2].

لماذا ننطلق من مجموعة فروض ، ولا ننطلق من الحقائق ذاتها الواردة في القرآن الكريم ؟.. ألا يعني ذلك التشكيك بما ورد فيه من حقائق؟.

ومن هنا بدت بعض التطبيقات وكأنها قد حولت القرآن الكريم إلى ما يشبه **(حواشٍ ماركسية)** كما نشهده في كتاب **محمد شحرور**.

وهكذا اكتسبت اللسانيات سمعة سيئة جداً في الأوساط العلمية الإسلامية؛ إذ اقترنت مع التوجهات العلمانية لدلالات القرآن الكريم.

وهنا تبدو المفارقة، فبينما كان الاستشراق ينحو نحو الموضوعية والحيادية باستخدامه للبحث اللساني، كان الدارسون العرب يستخدمونه لتأكيد صحة اعتقاداتهم العلمانية لا لغاية البحث العلمي.

وعلينا أن نعلم أن سوء استعمال البعض لهذا العلم لا يعني أن هذا العلم برمته سيئ، لا يمكننا الاستفادة منه، فالمسلمون يعتقدون أن العلم والقرآن كلاهما من الله تعالى، وبالتالي فهما لا يتصادمان، وسوء الاستخدام وحده هو الذي يجب استنكاره.

---

(1) حسن حنفي ، في الثقافة السياسية : ٢٥٢.

(2) نصر حامد أبو زيد ، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن : ٥.

٢ ـ المنهج التاريخاني :

وهو الذي يعتبر أن تفسير النص يجب أن يكون مرهوناً بتاريخه، ويجب أن يكون ساكناً هناك لحظة ميلاده، فلا يمكن فصل أي نص عن تاريخه، هذا المنهج يصدر عن نزعة مادية وضعية لا تؤمن بأن الأديان هي من صنع الله تعالى، ويعتبرها إنشاء إنسانيًّا، وذلك لأن الإنسان يتحكم به التاريخ بشكل كامل، والله مطلق منزه عن ذلك.

حاول بعضهم بناءً على مقولة «**المنهج التاريخاني**» إلصاق النص بالتاريخ لتسويغ التخلي عنه، وبالرغم من أن **محمد أركون** كان سباقاً منذ الثمانينيات إلى هذا المنهج، فقد اشتهر به **نصر حامد أبو زيد** في منتصف التسعينيات.

وبينما كان **محمد أركون** يصدر عن عقيدة علمانية ليبرالية، كان **نصر حامد أبو زيد** يصدر عن عقيدة ماركسية ، وفي كلا الحالتين كان يراد من المنهج التاريخاني تأمين انسلاخ جماعي للمسلمين من كتابهم الكريم ، والدخول في الحداثة الغربية المادية بحسن نيّة وبسوئها.

لم يُنجز في هذا الإطار كثير، لكننا نشير إلى آخر دراسة عام ١٩٩٨م بالفرنسية لتلميذة **محمد أركون**[1] في أطروحتها للدكتوراه في جامعة السوربون.

واعتبر **طه جابر العلواني**[2] السنة النبوية الصادرة عن المعصوم ﷺ تطبيقاً

---

(1) تلميذة محمد أركون هي جاكلين الشابي في أطروحتها للدكتوراه في جامعة السوربون عام ١٩٩٨م وكتابها ما يزال بالفرنسية.

(2) **طه جابر العلواني**: (١٣٥٤هـ/ 1935م) من مواليد العراق.دكتوراه في أصول الفقه، كلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر عام ١٣٩٢هـ، ١٩٧٣م ،أستاذ الفقه وأصوله، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض من عام ١٩٧٥ـ ١٩٨٥م ، شارك في تأسيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الولايات لمتحدة عام ١٩٨١م ، عضو

لقيم القرآن وتنزيلاً لها في واقع معين[1] .

وطالما أن السنة تطبيق للقرآن في واقع معين و محدد ، وقد تغير الواقع اليوم عن حاله بالأمس ، لذا اعتبر **شحرور** أن كل الأحاديث المتعلقة بالحلال والحرام والحدود التي لم يرد نص فيها في الكتاب على أنها أحاديث مرحلية [2].

ويقول الصادق النيهوم تحت عنوان **(بيادق الشطرنج)** : « الثابت أن القرآن لا يتردد في القول بأن ركن الإسلام الأول ليس هو الصلاة والزكاة وأداء الشعائر، كما تزعم **نظرية القواعد الخمس**[3] ، بل هو مبدأ الأمر بالمعروف

المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، عضو مجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدة ، رئيس المجلس الفقهي لأمريكا الشمالية ، رئيس جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية ."SISS" حقق كتاب "المحصول في علم أصول الفقه" للإمام فخر الدين الرازي في ستة مجلدات. أهم المؤلفات: الاجتهاد والتقليد في الإسلام ، أدب الاختلاف في الإسلام ، أصول الفقه الإسلامي: منهج بحث ومعرفة ، إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم ،التعددية: أصول ومراجعات بين الاستتباع والإبداع ، حاكمية القرآن، الأزمة الفكرية ومناهج التغيير.

(1) مجلة إسلامية المعرفة ، العدد ١٩ ، شتاء ١٣٢٠هـ ١٩٩٩م ، مقال لطه جابر العلواني : ١٥.

(2) محمد شحرور ، الكتاب والقرآن قراءة معاصرة : ٥٧٢.

(3) هذا الاصطلاح (**نظرية القواعد الخمس**) لمالك بن نبي ، ومضمون هذه النظرية لمحمد شحرور والصادق النيهوم ، إشارة إلى الحديث التالي : عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ **(بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ،وَإِقَامِ الصَّلاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالْحَجِّ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)**.اهـ رواه البخاري في كتاب الإيمان باب بني الإسلام على خمس رقم الحديث : ٧ .

والنهي عن المنكر، الذي لا يمكن تطبيقه إلا في مجتمع قائم على سلطة الأغلبية»[1].

ويرى **فضل الرحمن**[2] : أن المنهج التفسيري القادر على إحداث تغيير في البناء الثقافي الإسلامي ، لا يمكن إلا أن يكون تاريخياً ، ذلك أن النص القرآني وتكوّن الأمة الإسلامية قد تمّا على خلفية الوضع التاريخي الاجتماعي ، فما القرآن سوى الرد على هذه الوضعية ، وهو في الجزء الأكبر منه يتألف من تعاليم أخلاقية دينية اجتماعية تجيب على معضلات معيّنة تمت مجابهتها في وضعيات تاريخية ملموسة[3] .

ومثل هذا التصور يقتضي فهم النص في الزمان القرآني الذي شهد نزوله ، وهذا الفهم يتطلب دراسة وضعيات المجتمع القديم ومعتقداته وأعرافه ومؤسساته ، ليفهم إجاباته عن المعضلات التي كانت ترهق المجتمع آنذاك « الشرك ، استغلال الفقراء، فساد التجارة ... » بعد ذلك ينبغي على المفسر أن

---

(1) الصادق النيهوم ، إسلام ضد الإسلام ، رياض الريس للكتب والنشر، لندن ، قبرص عام ١٩٩٤م : ١٥.

(2) **فضل الرحمن** (١٩١٩م ـ ١٩٨٨م) : باحث باكستاني ، ومدير سابق لمركز الدراسات الإسلامية بإسلام آباد ، ومدرس الفكر الإسلامي في قسم لغات الشرق الأدنى، بجامعة شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية ، له عدة مؤلفات منها : (الإسلام) ، و(النبوة في الإسلام: الفلسفة والسلفية) وهي من منشورات جامعة شيكاغو ، ترجم له مؤخراً كتاب (الإسلام وضرورة التحديث : نحو إحداث تغيير في التقاليد الثقافية).

(3) فضل الرحمن : الإسلام وضرورة التحديث : نحو إحداث تغيير في التقاليد الثقافية ، ترجمة : ابراهيم العريس ، دار الساقي ، لندن ، الطبعة الأولى ١٩٩٣م : ١٦.

يعود للزمن الراهن مزوداً بما يتيح له صياغة تعاليم القرآن ومنطقه بشكل حي وفعال[1].

ويرى **طه جابر العلواني** وجوب الإقرار بأن فقهنا الموروث ليس مرجعاً للفتوى أو صياغة الحكم في مثل هذه الأمور[2]ـ يقصد فقه الأقليات ـ وهذا الكلام ينذرج في إطار الحملة على الفكر الإسلامي الأصيل.

ويبقى أن تجربة المناهج الغربية في تأويل القرآن الكريم كانت غالباً فاشلة؛ لكن فشلها لا ينبع دوماً من الإمكانات المعرفية لتلك المناهج، بل بسبب الخلفيات الاعتقادية التي جعلت من تلك المناهج مجرّد أدوات للدعوة إليها، فأساءت لها كثيراً، وحجبت المسلمين عن الاستفادة منها، ومن الطبيعي ألا يهمها حجم الخسائر العلمية، فهي مهووسة بعقائدها العلمانية المتطرفة.

لذلك كان تقييم « **المناهج الغربية** » وجدواها في دراسة القرآن الكريم دائماً غير موضوعي، لأنه كان يرتبط بالنتائج لتلك الدراسات، وهذا ما يبرر الخوف الدائم والمستمر من استخدام تلك المناهج في دراسة القرآن الكريم؛ إذ يُنظر إليها تلقائياً بأنها رغبة علمانية وليست علمية!.

حتى قال **علي أومليل** : « تعثر عملية التحديث عندنا راجع إلى عدم الثقة التاريخية بين الغرب والعالم الإسلامي »[3].

---

(1) احميدة بن المأمون النيفر : الإنسان والقرآن وجهاً لوجه (التفاسير القرآنية المعاصرة) قراءة في المنهج (سلسلة نقد العقل المعاصر)، دار الفكر بدمشق ٢٠٠٠م : ١٥٤.

(2) مجلة إسلامية المعرفة: العدد ١٩، شتاء ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، مقال لطه جابر العلواني : ١٩.

(3) قطب مصطفى سانو، القراءة الجديدة للقرآن والنصوص الدينية، رؤية منهجية، بحث مقدم إلى مؤتمر مجمع الفقه الإسلامي ، الدورة السادسة عشرة في دبي : ٢٥.



الفصل الثاني

طرق التأويل

ويشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول : التأويل الزمني.

المبحث الثاني : التأويل اللغوي.

المبحث الثالث : التأويل المقاصدي .

المبحث الرابع : التأويل العلمي.



المبحث الأول
التأويل الزمني

- طرق التأويل في القراءة الجديدة :

لقد اتخذ تأويل النص الديني عند هؤلاء المؤولة مسارات عدة تختلف في أشكالها وتلتقي في نتائجها، ولعل أهم المسارات الأساسية هي :

١ - التأويل الزمني :

وهذا المسار هو الأعلى الذي يدندن عليه المؤولة الجدد ، ودعوناه بالتأويل الزمني لأن عنصر الزمن يعتبر فيه عاملاً حاسماً في تحديد معاني النص الديني، وفي صرفها عن مدلولها الظاهري إلى مدلولات أخرى يقتضيها الزمن الذي يعيش فيه المخاطَب بذلك النص ، والمقصود بالزمن : هنا هو الحال التي يكون عليها المخاطبون ، والأوضاع التي تتشكل عليها حياتهم الروحية والثقافية والاجتماعية، والتي تتغير بعامل الزمن، وذلك سواء فيما يتعلق بالسيرورة الزمنية الجماعية أو السيرورة الزمنية الفردية :

- التأويل الزمني بالحال الجماعية :

وعرف هذا التأويل باسم تاريخية النص الديني ، ومعناه أن كثيراً مما تضمنه النص الديني من مطلوبات ومنهيات إنما هو متجه إلى مخاطبين في زمن معين حينما يكونون في وضع من الحياة معين ، أما الآخرون في غير ذلك الزمن وفي غير ذلك الوضع فإنهم غير مشمولين بهذا الخطاب النصي، لذلك يجب عليهم أن يفهموا النص على غير ما يقتضيه ظاهر الخطاب المتجه إلى آخرين في زمن غير زمنهم وفي أوضاع غير أوضاعهم، ويقتضي هذا المبدأ التأويلي أن النص الديني قرآناً وحديثاً فيما تضمنه من الأحكام يخاطب الموجودين زمن

نزوله ، أما حينما تغيرت أوضاع الناس في مجمل حياتهم كما هو الأمر في حياة الناس اليوم فإن تلك الأحكام ليست متعلقة بهم أمراً ونهياً ، ويعتبر أحدهم أن الخطاب القرآني بصيغة يا أيها الناس ، أن المقصود بالناس هنا الجماعة الأولى التي كانت تحيط بالنبي ، والتي سمعت القرآن من فمه لأول مرة (1) .

فأحكام الحدود على سبيل المثال كما وردت في القرآن الكريم إنما أملتها الظروف التي كان عليها المجتمع الذي نزل فيه ، حيث كان ذلك المجتمع بدائياً لا تقوم فيه دولة تقوم على استتباب الأمن ، وإنما يتواثب الناس فيه على بعضهم للانتقام في حلقات متتالية غير متناهية ، فتكون إقامة الحدود إذن أقل الحلول شراً ، وأدناها مضرة ، لأنها على ما فيها من وحشية تمثّل وقاية لمجتمع تلك الفترة مما هو أسوأ وأعنف وأكثر فظاعة ، ولهذا السبب فإن القرآن لم ينص آنذاك على جرائم تقام فيها الحدود إلى جانب مخالفات أخرى يعاقب عليها بالسجن ، وإنما اقتصر القرآن على ذكر الحدود لعدم وجود السجن في الجزيرة آنذاك كما أسلفنا (2) .

وهذا يعني أنه إذا تغيرت أحوال المجتمع ، ووجدت الدولة التي تضبط الأمن ، وتوفرت السجون كإحدى آليات ذلك الضبط، أصبحت أحكام الحدود التي تضمنها القرآن غير ملزمة للمخاطبين بهذا النص القرآني .

ويقول **عبد المجيد الشرفي** : « لا ينبغي أن يكون تنفيذ عقوبة معينة كما هو الشأن في القصاص والسرقة وغيرهما محسوباً على الخضوع لأوامر إلهية لا صلة لها بالزمان والمكان بل هي مما اقتضته ضرورات الاجتماع والأخلاق ،

(1) محمد أركون : الفكر الأصولي واستحالة التأصيل : ٣٠ .

(2) محمد الشرفي : الإسلام والحرية ، الالتباس التاريخي : ٨٩ .

وهي أمور متغيرة وغير مستقرة ، تتأثر بعوامل عديدة منها الثقافي ومنها الاقتصادي والسياسي»[1] .

وهذا يعني أنه إذا تغيرت ضرورات المجتمع وأخلاقه عما كان عليه الأمر زمن نزول القرآن بأحكام العقوبات فإنه يصبح في حل منها ، وذلك بقراءته على ضوء الواقع الجديد .

وعن نظرية الحدود يقول أحد المؤولة الجدد : ما ورد في القرآن من آيات التشريع ، هي حدود للأحكام وليست أحكاماً .. وكلمة «**حدود**» بالجمع تعني حصراً : النهايات العليا والدنيا للأفعال والعقوبات المسموح بها في التشريع ، وكلمة «**الحَنَف**»: الميل والانحراف .. لقد أعطانا الله عز وجل في أم الكتاب الحدود فقط ، ونحن نحنف ضمنها ، فآيات المواريث لا تمثل أحكاماً بعينها ، إنما هي حدود فقط ، نحنف بينها ، فقوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[2] لا تعني بالضرورة، أن حصة الذكر هي ضعف حصة الأنثى ، فبالإمكان أن ننقص من حظ هذا ، ونزيد في حظ تلك حسب الظروف[3] .

وإذا جرينا وراء هؤلاء المنظرين لمفاهيم جديدة ، نكون كمن يطلب الماء من سراب بقيعة ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، فعندما يفسرون قول الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[4] .

---

(1) عبد المجيد الشرفي : الإسلام بين الرسالة والتاريخ : ٨٥ .

(2) سورة النساء : ١١ .

(3) محمد شحرور ، الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، طبعة الأهالي ١٩٩٠م ، دمشق : ٤٥١ .

(4) سورة المائدة : ٣٨.

يقولون : الفهم السابق بأن قطع اليد هو الجزاء الرادع ؛ فهمٌ إنساني أملته الظروف في القرن السابع في جزيرة العرب ، أو أملته اللغة التي ورثت بعض مفهوماتٍ مفرداتٍ من الجاهلية لم يكن لدى الرسول وقت كاف لزحزحتهم عنها ، فوافقهم فيها ، بل قام بقطع يد المرأة المخزومية التي سرقت [1]، ولم يقبل شفاعة أحب الناس إليه .

نعم لو وقعت هذه الحادثة في زماننا لوجدت المرأة المخزومية فتوى معاصرة بأن الشريف يرتدع بعقوبة أخف مما يردع به غيره ، وطالما أن الحنيفية تجيز لنا التذبذب (أن نحنف) ، فلنكتف بتوبيخها أو التشهير بها، ونحكم عليها بردّ المسروق مع تعويض عطل وضرر !! [2] .

ويتمادى **حسن حنفي** في جرأته على النص القرآني قائلاً: « البداية بقوانين

---

(1) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ ؛ فَقَالُوا وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَأَيْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا .اهـ [رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الغار ، رقم الحديث (٣٢١٦) ، ومسلم في كتاب الحدود باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة رقم الحديث (٣١٩٦)].

(2) مأمون الجويجاتي ، مغالطات المعاصرة ، في الرد على كتاب : دراسات دينية معاصرة في الدولة والمجتمع ، طبعة الجفان والجابي، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م : ٢٧، ومنير محمد طاهر الشواف ، تهافت القراءة المعاصرة ، الشواف للنشر والدراسات ، الطبعة الأولى ١٩٩٣م : ٥٣٥.

العقاب أو تطبيق الحدود، وكأن الإسلام يأتي بالرجم والقتل وقطع اليد»[1].

ويقصد حنفي بقوله: قوانين العقاب، قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[4].

فهذه آيات بينات (**بصائر**) إلا أنها لا تعجب أستاذ الفلسفة **حسن حنفي**، بل هي في زعمه سبب فشل تغيير الواقع عن طريق القديم!! أي عن طريق النص القرآني بمعنى أن الشريعة الإسلامية في نظره لا تصلح للواقع، ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾[5].

وما يقال عن الحدود يقال أيضاً عن **العبادات** بل يمكنهم أن يأتوا من هذه العبادات بما يلائم ظروفهم الجديدة، فإذا كان النبي ﷺ على سبيل المثال

---

(1) حسن حنفي، التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ٢٠٠١م الطبعة الخامسة: ٤٢.

(2) سورة المائدة: ٣٣.

(3) سورة النور: ٢.

(4) سورة المائدة: ٣٨.

(5) سورة الكهف: ٥.

يؤدي صلاته على نحو معين فكان المسلمون يقتدون به ، إلا أن ذلك لا يعني أن المسلمين مضطرون في كل الأماكن والأزمنة والظروف للالتزام بذلك النحو[1].

ويندرج تحت هذا التأويل ما ذهب إليه أحدهم من أن الإسلام جاء على رسالتين:

رسالة أولى نزلت بمكة ، وهي الرسالة الأصل ،الباقية الخالدة التي لا تتغير بالزمن، وهي التي تشمل على مبادئ العقيدة ومثل الأخلاق ، **ورسالة ثانية** نزلت بالمدينة تضمنت الفروع من الأحكام المتعلقة بتنظيم الحياة ، وهذه الرسالة الثانية إنما جاءت لتعالج المشاكل السائدة وقت نزولها ، أما إذا تغيرت الظروف فإنها تصبح لاغية في حق من تغيرت ظروفهم ، وينبغي حينئذ التمسك بالرسالة الأولى الثابتة الدائمة ، فللقرن السابع آيات الفروع [وهي الآيات المدنية] ، وللقرن العشرين آيات الأصول [وهي الآيات المكية] .... هذا هو معنى تطوير التشريع، فإنما هو انتقال من نص خدم غرضه [وهو النص المدني] خدمه حتى استنفده إلى نص كان مدخراً يومئذ إلى أن يحين حينه [وهو النص المكي][2] .

ومقتضى هذا الكلام أن الأحكام التي تضمنها القرآن المدني أصبحت اليوم غير ملزمة للمسلمين ، لأنها متعلقة بظرفها الزمني دون غيره من الأزمان ،

---

(1) عبد المجيد الشرفي : الإسلام بين الرسالة والتاريخ : ٦٢.

(2) محمود محمد طه : الرسالة الثانية من الإسلام : ١٠ ، هذا الكتاب أنجز ضمن مشروع يسمي نفسه مشروع (**الإسلام والإنسانية**) ، وهو مشروع عالمي مشبوه الأهداف ، وقد نشر بمساهمة القسم الثقافي للسفارة الفرنسية بالمغرب، وراجع في ذلك عرضاً وتحليلاً في : عبد المجيد الشرفي : الإسلام والحداثة : ١٠٦ .

والملزم إنما هو في التكاليف الواردة في القرآن المكي بما تضمنته من أصول عقدية وأخلاقية.

. التأويل الزمني بالحال الفردية :

هذه الحال التأويلية شبيهة بما قبلها إلا أن التأويل الزمني فيها يتعلق بما يحدثه الزمن من تغيير في حال الفرد وليس في أوضاع الجماعة أو الأمة ، فغاية الدين عند القائلين بهذا التأويل هي أن يترقى الإنسان بتديُّنه روحياً في اتجاه مثاله الأعلى وهو الله سبحانه وتعالى ، فإذا وصل إلى الدرجات المبتغاة من الرقي أصبحت الأوامر النصية بالعبادات لاغية في حقه ، لأنها استنفدت أغراضها ، فيصبح إذن في حل منها ، ويصبح متأوّلاً للنص على هذا الأساس.

هذه القراءة للنص الديني هي التي شرحها أحد المتأولة فيما يتعلق بالنص الآمر بعبادة الصلاة فقال: « إن الصلاة في حقه [أي المسلم في مراحله الأولى] فرضٌ ، له أوقات يؤدى فيها ، فإذا ارتقى بحسن أدائها بتجويد تقليد المعصوم، حتى ارتقى في مراقي الإيقان .. طالعه المعنى البعيد لكلمة (مَّوۡقُوتٗا) في الآية ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾، وذلك المعنى في حقه هو أن الصلاة الشرعية فرضٌ ، له وقت ينتهي فيه .. فيتهيأ ليأخذ صلاته الفردية من ربه بلا واسطة.. وبذلك يستطيع أن يعيش فوق قوانين الجماعة»[1].

***

(1) عبد المجيد النجار ، القراءة الجديدة للنص الديني ، عرض ونقد ، بحث مقدم إلى مؤتمر مجمع الفقه الإسلامي بدبي الدورة السادسة عشرة : ٢٤ .

المبحث الثاني

التأويل اللغوي

٢ ـ التأويل اللغوي :

اعتمد بعضهم في تأويلهم للنص الديني على فلسفة لغوية وجدوا فيها مدخلاً لذلك التأويل ، وهذه الفلسفة تقوم على تحليل طبيعة اللغة في دلالتها على المعاني، وعناصر هذه الفلسفة اللغوية بعضها قديم وبعضها حديث .

واعتمد بعضهم فكرة فلسفية تنسب إلى الفيلسوف اللغوي النمساوي (فرناند دي سوسير) مؤداها أن اللغة لا تحمل معنى موضوعياً خارج المتلقي لها ، بحيث يمكن أن يحصِّله كل قارئ أو مستمع لها ، وإنما مدلول اللغة هو ما تثيره في ذهن المتلقي من معنى بحسب تكوّنها الثقافي ، وليس بحسب ما تحمله اللغة من مدلولية موضوعية خارج ذهن المتلقي لها.

والوعي الثقافي يختلف بحسب الأجيال والأزمان ، بل قد يختلف باختلاف الأفراد في الزمن الواحد وفي الجيل الواحد، تبعاً لاختلاف الوعي الثقافي بينهما[1] .

هذه الفكرة طبَّقها بعض المؤولة الجدد على النص الديني قرآناً وحديثاً ، وبما أن ثقافة المتلقي للنص القرآني تتغيَّر من زمن إلى زمن فإن المعنى القرآني الذي يحصل في أذهان أهل زمن مَّا من ذوي ثقافة معينة ليس هو المعنى الذي يحصل منه في أذهان أهل زمن آخر من ذوي ثقافة أخرى ، وذلك ما يسمح بتعدد المعاني القرآنية بحسب تعدد الثقافات والأزمان.

---

(1) راجع تقرير هذه الفكرة الفلسفية وشرحها في كتاب : نصر حامد أبو زيد : النص، السلطة، الحقيقة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ١٩٩٥م: ٨٠ وما بعدها.

وهذا التأويل اللغوي يهدر كثيراً من الأحكام الدينية ، لأن هذه الأحكام بمقتضى هذه الفلسفة اللغوية لا يكون لها معنى ثابت ، فما هو مطلوب عند أهل زمن يمكن أن يكون غير مطلوب عند غيرهم من أهل زمن آخر، وما هو منهي عنه يصبح عند غيرهم مباحاً نتيجة تغير الثقافات بين الأزمان.

قال **نصر حامد أبو زيد** : « وفي تقديرنا أن العودة للسياق الاجتماعي الخارجي ، السياق المنتج للأحكام والقوانين ، وتحديد أحكام النص على ضوئها ، يمكن أن يمثل دليلاً هادياً لا لفهم الأحكام فقط ، بل يفتح باب الاجتهاد لتطويرها على أساس تأويلي منتج .. فربما قادتنا هذه القراءة إلى إسقاط كثير من تلك الأحكام بوصفها أحكاماً تاريخية ، كانت تصف واقعاً أكثر مما تضع تشريعاً »[1] .

❊ ❊ ❊

(1) نصر حامد أبو زيد : النص، السلطة، الحقيقة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ١٩٩٥م: ١٣٩.

المبحث الثالث
التأويل المقاصدي

٣ ـ التأويل المقاصدي :

تهدف أحكام الدين بما تضمنته من تفاصيل وحدود وضوابط إلى تحقيق مقاصد معينة هي المعروفة بمقاصد الشريعة ، أما المؤولة الجدد فإنهم انتهجوا مساراً تأويلياً للنص الديني سموه بـ «**التأويل المقاصدي**» وهو تأويل ينتهي بالنص الديني إلى إهدار الأحكام المتعلقة بضبط الأفعال من حيث الأمر والنهي، ويعتبر فقط المقاصد من تلك الأحكام ، بحيث إذا تحققت المقاصد بدون ضوابطها وتفاصيلها أصبحت هذه الضوابط لاغية في القراءة التأويلية .

يقول **محمد الشرفي** : « إن التأويل المقاصدي هو التأويل الأنسب من الوجهة الدينية ، وينبغي ألا يطول البحث في تحليل الكلمات ، بل لا بد من البحث وراء المعاني الحرفية عن روح القرآن ، وتناول كل مسألة حسب وضعها ضمن المقاصد الإلهية الشاملة »[1] .

وتقوم هذه القراءة على اعتبار أن أحكام الشريعة لم تشرَّع إلا لتحقيق مقاصدها، فأحكام الحدود لم تشرَّع إلا لردع مقترفي المعاصي ، ومنع الربا لم يشرَّع إلا لتحقيق مقصد العدالة ومنع استغلال القوي للضعيف ، وهكذا الأمر في كل حكم شرعي ، فلا تحمل هذه الأحكام قيمة في ذاتها بل في مقاصدها فقط ، فإذا ما حقق حكم من الأحكام مقصده ، فإنه يكون قد استنفد أغراضه ، فلا يبقى إذن مبرر لبقائه ملزماً ، وهكذا ينبغي أن تقرأ النصوص الدينية على هذا النحو من التأويل.

---

(1) محمد الشرفي : الإسلام والحرية ، الالتباس التاريخي : ١٣٨ .

ولقد استحوذ موضوع **الربا** على كثير من ذوي القراءات الجديدة الذين راموا استساغة الأوضاع السائدة التي تنشط فيها البنوك الربوية ، وجاءوا بالمبررات لنفي حكم التحريم .

ومن هؤلاء **الصادق بلعيد**[1] الذي قال : « لا شك في أن هذه المسألة اقتصادية في صميمها ، وأن لها انعكاسات عميقة على الحياة الاقتصادية والمصير الاقتصادي للمجموعة الإسلامية إلا أن المدهش أن الفقهاء لم يتعرضوا لهذا الوجه الهام من المشكلة ، وإنما اقتصروا فيها على تطبيق بعض الآليات التفسيرية مثقلة بالمسلمات التأويلية الموضوعة بصفة دغمائية »[2] .

ويذهب **بلعيد** إلى أن الآية القرآنية : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[3] لا تعني إلا ربا الجاهلية ، فهو المحرم دون سواه .

أما **جمال الدين الأفغاني** ، فإنه يفسر الآية فيقول بجواز الربا المعقول ، الذي لا يثقل كاهل المديون ، ولا يتجاوز في برهة من الزمن رأس المال ، ويصير أضعافاً مضاعفة ، والله تعالى حرم الربا قليله وكثيره على حدٍّ سواء[4] .

---

(1) **الصادق بلعيد** : أستاذ قانون أكاديمي، تونسي معاصر وعميد كلية الحقوق والعلوم السياسية بتونس سابقاً، ورئيس الجامعة الحرة بتونس ، المنبثقة عن مجمع (INTAC) الذي أنشئ منذ عام ١٩٧٣م.

(2) **الدغمائية** : التصلب والتزمت وفرض الرأي بالقوة وليس عن طريق الإقناع والحجة والدليل.

(3) سورة آل عمران : ١٣٠ .

(4) انظر: محمود أبو رية ، جمال الدين الأفغاني: ٩٨ ، وخالد العك في الفرقان والقرآن : ٧٠٨ ، و محمد محمود كالو ، مسيرة التفسير بين الانحراف والاختلاف ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م : ٣٠.

ويقول الصادق بلعيد : « لم يتردد الفقهاء القدامى في إهمال أجزاء من النص القرآني لتكييف أحكامه مع ما يلائم آراءهم ، فهم لم يتحرجوا من فصل قسم من الآية القرآنية عن سياقها، ليقولوها أكثر مما تقول »[1].

وتتطابق هذه القراءة مع قراءة محمد شحرور الذي رأى أنه لا يحرم إلا ما زاد على ضعف رأس المال في السنة الواحدة .

أقول : إن الربا ورد في القرآن الكريم في سور أربع :

- في سورة **الروم** قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾[2] .

- وفي سورة **النساء** قال الله تعالى : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾[3] .

- وفي سورة **آل عمران** قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[4] .

- وفي سورة **البقرة** قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ

---

(1) عبد الستار فتح الله سعيد ، القراءة الجديدة للقرآن والنصوص الدينية ، بحث مقدم لمؤتمر مجمع الفقه الإسلامي، الدورة السادسة عشرة : ٤٥.

(2) سورة الروم : ٣٩.

(3) سورة النساء : ١٦٠ ـ ١٦١.

(4) سورة آل عمران : ١٣٠ .

مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ ﴾ إلى آخر **الآيات** الست من (٢٧٥ إلى ٢٨١).

فأما آية سورة الروم فهي مكية ، وقد ذهب كثير من المفسرين إلى أنها ليست في بيان حكم الربا في المعاوضات وإنما هي في الهبات والصدقات ، فالله تعالى حث المتصدقين على أن يريدوا بعطياتهم وجه الله وثوابه ، لا جزاء دنيوياً ولا عوضاً مالياً من الناس ، ويؤيده استعمال لفظ «**آتيتم**» والتعبير المعهود في القرآن : لا تأكلوا الربا ، من هنا يتبين أن هذه الآية ليست في الربا ، وإنما في العطايا والهدايا ، ولفظ «**الربا**» فيها مراد به معناه اللغوي أي الفضل .

وأما آية سورة النساء فهي مدنية ، وهي في بيان أن الله تعالى حرم على اليهود كثيراً من الطيب الحلال ؛ بسبب ظلمهم وصدهم عن سبيل الله كثيراً ، وأخذهم الربا وقد نهوا عنه ، وأكلهم أموال الناس بالباطل ، فهي تدل على أن الله تعالى نهى اليهود عن الربا؛ فلم يجتنبوا ما نهاهم الله عنه وأخذوا الربا وأكلوه ، فحرم الله عليهم طيباتٍ أحلت لهم ، فهي آية للعبرة ولفت أنظار المسلمين إلى أنهم إن فعلوا ما فعل اليهود ، نالهم ما نالهم ، فهي عظة من تاريخ الأمم.

وأما آية سورة آل عمران والآيات الست من **سورة البقرة** فهي آيات مدنية ، وهي الأسس التشريعية لأحكام الربا ، وذهب كثير من المفسرين إلى أن آيات سورة البقرة آخر ما نزل من القرآن في شأن الربا.

فآية سورة آل عمران نهى المؤمنين عن أن يأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة ، والنهي يقتضي التحريم ، فهي تدل على أن أكل الربا أضعافاً مضاعفة حرام ،

وآيات سورة البقرة تصريح بأن الله تعالى أحل البيع وحرم الربا ، وتبيين سوء عاقبة الذين يأكلون الربا بأنهم لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، فآية سورة آل عمران وآيات سورة البقرة متفقة في تحريم الربا .

ولكن ربما يتوهم متوهم كما توهم بعض أصحاب القراءة الجديدة أن آية سورة آل عمران يعارض ظاهرها آيات سورة البقرة ، لأن آية سورة آل عمران فيها النهي عن أكل الربا أضعافاً مضاعفة ، وآيات سورة البقرة فيها تحريم الربا مطلقاً، سواء أكان أضعافاً مضاعفة أو غير أضعاف مضاعفة، والتحريم المقيد بقيد يعارض التحريم المطلق عن القيد .

وقالوا: إن المقرر في علم أصول الفقه أنه إذا ورد في نصٍّ الحكم على شيء مطلقاً، وورد في نص آخر هذا الحكم نفسه مقيداً، يراد بالمطلق المقيد ، ولهذا لما جاء تحريم الدم مطلقاً في قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ ﴾[1] .

وجاء مقيداً في قوله تعالى : ﴿ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا ﴾[2] .

أريد بالدم في آية سورة المائدة الدم المسفوح ، فكذلك الحال هنا يراد بالربا المحرم في سورة البقرة الربا المضاعف المبين في سورة آل عمران.

واستخلص أصحاب القراءة الجديدة من هذا أن الأضعاف المضاعفة كناية عن الكثرة ، أو بعبارة أخرى عن الربح الفاحش ، وأن الربح القليل أو الفائدة القليلة ليست محرمة.

---

(1) سورة المائدة : ٣.

(2) سورة الأنعام : ١٤٥.

ودفعاً لهذا التوهم أقول : إن آية سورة آل عمران لا تعارض آيات سورة البقرة لأن قوله تعالى : ﴿لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾[1].

ليست نهياً عن أكل الربا في حال المضاعفة خاصة فيدل على إباحته في غيرها ، وإنما هو نهي عن الربا الذي كان فاشياً فيهم ويتعاملون به في أكثر حالاتهم ، فالتقييد بالأضعاف المضاعفة ليس للتخصيص والاحتراز عما عداه ، وإنما هو لمراعاة الواقع الغالب فيهم ، مثل قوله تعالى : ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم﴾[2] .

فقوله : (ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم) ليس للاحتراز عن الربيبة التي ليست في حجر زوج أمها ، وإنما هو لمراعاة الواقع الغالب ، وفيه إشارة إلى حكمة التحريم، لأن وجودها في حجره يجعلها في منزلة ابنته ، كما أن في ذكر أضعافاً مضاعفة إشارة إلى حكمة التحريم ، لأن في المضاعفة قسوة وجشعاً وابتزاز أموال الناس ، وفيه توبيخ ما كانوا عليه من تضعيف ، وهي صورة من أبشع صور الربا التي كانت فاشية فيهم.

وأما ما يتعلق **بحد السرقة** فلا حرج ألبتة في التخلي عنه عند أصحاب القراءات الجديدة، واستبداله بعقوبات أخرى تتماشى والأوضاع التي تعيشها المجتمعات الإسلامية الحديثة ، طالما يمكن تحقيق الغرض منه بوسائل أخرى.

فمن ذوي القراءات الجديدة من قرأ قوله تعالى : ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ

---

(1) سورة آل عمران : ١٣٠.

(2) سورة النساء : ٢٣.

﴿ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾[1] .

وفسَّر قوله (فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا) بتوفير سبيل العمل.

ويرى **عبد المجيد الشرفي** : أنه حد مناف للقيم الحديثة ولهذا تواصل البحث عن تعليلات مختلفة لتحاشي إقامته ، ويذكر أن الأصوات المنادية بالعدول عنه تعددت ، لمنافاته لحقوق الإنسان ، وقد حسمت القوانين الوضعية السائدة في البلاد الإسلامية هذا العدول عنه[2] .

أما **الصادق بلعيد** فتذهب قراءته إلى درء عقاب القطع ودرء حد الحرابة أيضاً بآيات التوبة ، فآية الحرابة جاء في آخرها : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[3] فهي منسوخة بذلك ، وآية السرقة جاء بعدها : ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾[4]

وإني لأعجب من قراءة **الصادق بلعيد** حينما يعد النسخ مشكلة متشعبة ، وهو نفسه يقول بأن آية الحرابة منسوخة .

النسخ مشكلة متشعبة للغاية لصعوبة القطع فيما هو ناسخ وما هو منسوخ ، وكذلك لصعوبة تحديد مدى المفعول النسخي لتلك الآية أو تلك الأخرى .

---

(1) سورة المائدة : ٣٨.

(2) عبد الستار فتح الله سعيد ، القراءة الجديدة للقرآن والنصوص الدينية ، بحث مقدم لمؤتمر مجمع الفقه الإسلامي، الدورة السادسة عشرة : ٦٧ .

(3) سورة المائدة : ٣٤.

(4) سورة المائدة : ٣٩.

ويستشهد بما ذهب إليه **محمد سعيد العشماوي**[1] من أن النسخ قد طال أغلب آيات الأحكام، حتى لم يبق منها ساري المفعول إلا ثمانون آية فقط [2] .

وهناك من عارض النسخ بالنسبة لكثير من النصوص، أما **جمال البنا** فقد أنكره تماماً، وقال : نحن لا نأخذ بالنسخ ، ولا بأسباب النزول ، ولا غيرهما مما يفتات على القرآن [3] .

وكأن القضية في التعامل مع القرآن الكريم قضية هوى ، ماذا نأخذ وماذا ندع ؟ وإذا كان لا يأخذ بالنسخ فهل له أن يفتي الناس بشرب الخمر في غير أوقات الصلاة ؟ لأن الله تعالى قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾[4] .

فإذا لم تكن هذه الآية منسوخة ، فإن شرب الخمر في غير أوقات الصلاة يكون مباحاً، وإذا كان لا يأخذ بأسباب النزول فكيف يفسر قصة الإفك ، وسورة المسد ، والمجادلة ؟.

ويقول **سامر إسلامبولي** : من المعلوم أن النسخ لم يقع قط في الرسالة الواحدة وإنما كان يقع بين رسالتين ، لأن النسخ في الرسالة الواحدة باطل وعبث ، لما يترتب عليه من اتصاف المرسِل من تناقض وجهل بالجهة

---

(1) **محمد سعيد العشماوي** : معاصر مستشار علماني مصري ، له عدة كتب منها : (معالم الإسلام) وكتاب (أصول الشريعة) و(الخلافة الإسلامية) و (الحجاب) .

(2) عبد الستار فتح الله سعيد ، القراءة الجديدة للقرآن والنصوص الدينية ، بحث مقدم لمؤتمر مجمع الفقه الإسلامي، الدورة السادسة عشرة : ٦١.

(3) جمال البنا ، ما بعد الإخوان المسلمين ، الناشر دار الفكر الإسلامي ، القاهرة ١٩٩٦م : ١٤٦ .

(4) سورة النساء : ٤٣.

المرسَل إليها ، فضلاً عن أن صفة النسخ لو وجدت بالرسالة الواحدة لانتقضت الرسالة نفسها ، وثبت بطلانها .. ولو حصل نسخ لأحد الأحكام ، فمعنى ذلك أن هذا النص المنسوخ عندما نزل لم يكن يتصف بالخاتمية ؛ لذا يجب حذف هذه المسألة من بحث علوم القرآن ، وعدم تدريسها [1] .

بينما نجد **الطاهر الحداد** يدعم فكره في التطور بالنسخ وأسباب النزول، حيث تتغير الأحكام بتغير الظروف التاريخية [2] .

فهل يصدر هذا من دارس منهج الأصوليين في فهم النصوص واستثمارها .

إنه لا يصدر إلا من جاهل أو مخطئ في تطبيقه.

أما **محمد الغزالي المصري** فإنه قال : فقصة النسخ ، أو الحكم بتحنيط بعض الآيات، فهي موجودة ولكن لا تعمل، هذا باطل ، وليس في القرآن أبداً آية يمكن أن يقال إنها عطلت عن العمل وحكم عليها بالموت .. هذا باطل .. كل آية يمكن أن تعمل، ولكن الحكيم هو الذي يعرف الظروف التي يمكن أن تعمل فيها الآية، وبذلك توزع آيات القرآن على أحوال البشر بالحكمة والموعظة الحسنة [3] .

---

(1) سامر إسلامبولي ، ظاهرة النص القرآني تاريخ ومعاصرة ، رد على كتاب : النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة لطيب تيزيني، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م : ١٢٥ـ١٢٧.

(2) راجع : الطاهر الحداد ، امرأتنا في الشريعة والمجتمع ، صدر عام ١٩٣٠م .

(3) محمد الغزالي ، كيف نتعامل مع القرآن ، في مدارسة أجراها عمر عبيد حسنة ، من مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الكتاب الخامس من سلسلة قضايا الفكر الإسلامي ، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ ١٩٩٢م : ٨٣.

أقول : إنَّ النسخ ثابت في القرآن الكريم والسنة النبوية ، وقد قال علي كرم الله وجهه لقاض : أتعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال : لا .. قال : هلكت وأهلكت[1] .

لأن التغيير الجذري كان في عصر الرسالة ، فلا بد من مراعاة هذه الظروف الصعبة للانتقال من حال إلى حال، وخاصة إذا كان الأمر يتعلق بالعقيدة والتقاليد المستحكمة بالنفوس، حيث يصعب على المرء أن تتزعزع عقيدته بسهولة، فالتطور والتدرج في الأحكام أدعى إلى القبول، وكان هذا التطور بطريق النسخ أو تخصيص العام تارة ، أو بتقييد مطلق أو تفصيل مجمل تارة أخرى، لذلك لا يمكن لنا أن نخاطب بالإسلام مجتمعات غير إسلامية أصلاً بالحكم النهائي في الإسلام ، دون تمريرها بمراحل التهيؤ ؟ .

وإن عامة أهل الشريعة أثبتوا في القرآن والسنة الناسخ والمنسوخ على الجملة ، وحذروا من الجهل به والخطأ فيه .

وفي النسخ سر من أسرار تطور التشريع ، وفيه نفي للاختلاف في دين الله، لأنه يكون فيما بين دليلين يتعارضان بحيث لا يصلح اجتماعهما بحال، فبالنسخ يكون أحدهما قاطعاً وتثبت الفائدة ، وبنفي النسخ يبقى التعارض ولا تجنى من الكلام ثمرة ، بل يؤدي تعارض النصين إلى التكليف بما لا يطاق ، وكل ذلك باطل بإجماع[2] .

وتتطابق قراءة **الصادق بلعيد** مع قراءة **مصطفى محمود** بالنسبة لحد السرقة حيث يقول الأخير : إن الآية (**وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ**) تفسح المجال للعفو عن

---

(1) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، دار الندوة الجديدة ، بيروت : ٢ / ٢٠.

(2) إبراهيم بن موسى الشاطبي : الموافقات في أصول الفقه : ٤ / ١٢٠ ـ ١٢١.

التائب ، فمن سرق ويقول صادقاً : تبت ولن أسرق بعد الآن ، يعطي لولي الأمر مجالاً لرفع الحد عنه [1].

ويدعو بعضهم إلى قلب القاعدة الراسخة في الوجدان الإسلامي منذ القرن الثاني للهجرة وهي «**العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب**» لتصبح لا بهذا ولا بذاك بل فيما وراء السبب الخاص واللفظ المستعمل له يتعين البحث عن الغاية والمقصد[2] .

إنَّ هذه القراءة التأويلية المقاصدية للنص الديني هي قراءة كفيلة بأن تغير الأفهام في استخلاص معاني الأحكام من نصوصها ليصبح الأمر نهياً والنهي أمراً إذا ما تبين للقارئ أن مقصد الحكم لا يتحقق به بل يتحقق بحكم غيره ، فيصبح غير الحكم هو المطلوب خلافاً لما يقتضيه ظاهر النص، وهو ما يقتضي على سبيل المثال إمكان أن يفهم من النص القرآني حلّية الربا بدلاً من حرمته، وأن يفهم بطلان عقوبات الحدود بدلاً من وجوبها ، بل يصل الأمر إلى إلغاء العبادات من صلاة وصيام وحج وزكاة على النحو الذي هي محددة به ، وذلك إذا تحققت مقاصدها بأشكال أخرى.

وفي الحقيقة لا يمكن لهذه العبادات أن تؤول على هذا النحو ، والحال أن الأمة قد تناقلتها كلها بصفة عملية جيلاً بعد جيل إلى يومنا هذا.

***

---

(1) مصطفى محمود : القرآن ، محاولة لفهم عصري للقرآن : ٢٢٤.

(2) عبد المجيد الشرفي : الإسلام بين الرسالة والتاريخ : ٨٠ .

المبحث الرابع
التأويل العلمي

٤ ـ التأويل العلمي[1] :

وهو ضرب من التأويل للنص الديني ينسب إلى العلم بمعنى العلوم الحديثة طبيعية ورياضية ، فيقع تأويل النص على أساس بعض القوانين الطبيعية والرياضية لتصرف معانيه عن ظواهر دلالتها اللغوية المتعارف عليها ، وتحمل مدلولات أخرى مخالفة لما تقتضيه ظواهر اللغة وما استقرت عليه أفهام المسلمين منذ نزول الدين إلى اليوم .

والمثال الأبرز لهذا التأويل الرياضي ما شرحه أحد المؤولة الجدد من أن كل أوامر الله تعالى ونواهيه تنحصر بين حدَّيْن :

حد أعلى لا يمكن الصعود فوقه كأحكام السرقة والقتل ، وهو ما لا يمكن الصعود فوقه بالتشديد.

وحد أدنى لا يمكن النزول تحته ، كتحريم النكاح من المحارم المنصوص عليها، وهو مالا يمكن النزول تحته بالتساهل تحليلاً لبعض هذه المحارم ، ولكن يمكن الصعود فوقه بمنع الزواج من بعض الأقارب غير المعدودين من المحارم كبنات العم والعمة والخالة إذا بيَّن علم الطب أن لذلك آثاراً سلبية

---

(1) القول **بالتأويل العلمي** ، أفضل من القول : **بالإعجاز العلمي** في القرآن، لأن الحقائق العلمية يمكن لها أن تعطينا بعض الإشارات التي تجعل الآية أكثر إدراكاً وفهماً ، من خلال قوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [سورة فصلت: ٥٣].. أما الإعجاز فإنه يعني استمرارية المعجزة وخلودها، وأظن أن ذلك يحمل كثيراً من المجازفة، وإن كان معجزاً في وقته.

على النسل ، أو بيَّن علم الاقتصاد أن له آثاراً سلبية على توزيع الثروة ، ولا يكون في ذلك تجاوز لحدود الله لأنه ليس فيه نزول تحت الحد الأدنى.

لقد اكتشف **إسحاق نيوتن**[1] قانوناً رياضياً يتعلق بالنهايات أو الحدود فيما يعرف بالتوابع المستمرة أو رياضيات نيوتن ، وهو قانون يبين مجال الحركة بين الحدّيْن الأعلى والأدنى، ويضبط الأوضاع بما يعصم من تجاوزهما إلى الأعلى أو إلى الأدنى، ويسمح بالانتقال فيما بينهما، وهذا القانون الرياضي حسب مفهوم هذا المؤول الجديد يمكن استثماره في فهم النص الديني وما يتضمنه من أحكام شرعية مترددة بين الحدود العليا والدنيا، بحسب الأوامر والنواهي الواردة في النص الديني، وبحسب تغيُّر الأوضاع التي يكون عليها الناس ، وبما يسهم في حل المشاكل التي تعترضهم ، وإذا كان السلف لم يفهموا الحدود هذا الفهم المعاصر فإننا لا نستطيع لومهم لأن المفهوم الرياضي للحدود ظهر منذ إسحاق نيوتن فلم يكن لهم به علم[2] .

***

(1) **إسحاق نيوتن** : (١٦٤٣م - ١٧٢٧م) : رياضي وفيزيائي إنكليزي ، يعتبر من أبرز وجوه الثورة العلمية في القرن السابع عشر ، وأحد أعظم العباقرة في تاريخ العلم الحديث ، وضع النظرية الجسيمية في الضوء ، وقانون الجاذبية العام ، وقوانين الحركة .

(2) راجع شرح هذه الآراء من قبل صاحبها محمد شحرور في كتابه : الكتاب والقرآن : ٤٥٠ وما بعدها ، وراجع عرضاً نقدياً لها : نصر حامد أبو زيد : النص، السلطة، الحقيقة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ١٩٩٥م: ١٣٧ وما بعدها.

الفصل الثالث

نتائج التأويل في القراءات المعاصرة

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : نزع الثقة والموضوعية بمصدر الدين.

المبحث الثاني : إلغاء الفهم السائد والتشريع لدين جديد.

المبحث الثالث : إلغاء الأحكام والحدود.

المبحث الأول

نزع الثقة والموضوعية بمصدر الدين

ولعل أهم النتائج التي توصلت إليها هذه القراءة تتمثل فيما يلي :

١. نزع الثقة بمصدر الدين :

إن هذه القراءة الجديدة للنص الديني تفضي إلى نزع الثقة بمصدر الدين قرآناً وحديثاً ، فلقد قامت في مجملها على عدم الموثوقية بهذا النص أن يكون هو الذي بلغه النبي ﷺ للناس ، فالحديث الشريف هو عند الأغلب من أصحاب هذه القراءة غير معترف به مصدراً للدين لعدم الوثوق به في الجملة ، والقرآن الكريم كما وصلنا مدوناً في المصحف تحيط به هو أيضاً شكوك من حيث كونه مطابقاً مطابقة مطلقة للقرآن الذي بلغه النبي ﷺ للناس لما أحاط بجمعه وتدوينه من ملابسات[1] .

٢ . نزع صفة الموضوعية عن الدين :

إننا بإزاء قراءة للنص الديني تثمر ديناً ليس له حقيقة موضوعية يلتقي عليها الناس، وإنما هو دين ذاتي فردي ، يمكن أن تتعدد صوره بتعدد الأجيال ، بل ربما تتعدد بتعدد الأفراد ، وهو بذلك يصبح أشبه ما يكون بالخواطر والانطباعات الذاتية التي تخص كل فرد بعينه.

فهذا النص ظني كله أو يكاد ، وأحكامه كلها توشك أن تكون قابلة للتغير حسب ظروف الزمان والمكان ، أو بحسب ما ينطبع في الذهن من معانيها تفاعلاً مع الوعي الثقافي للأفراد والأمم والشعوب ، ثم إن هذا الدين في

---

(1) راجع محمد أركون : الفكر الأصولي واستحالة التأصيل : ٤١، والفكر الإسلامي نقد واجتهاد : ٨٥ ، وعبد المجيد الشرفي : الإسلام بين الرسالة والتاريخ : ٤٥ و ٤٩ .

تصور حقيقته والعمل به مسؤولية فردية متروكة لضمير المتديّن أن يتديَّن به اعتقاداً وسلوكاً كما يشاء، بل إن قيمته العليا هي في ترك الحرية للمسلم يتعبد بالصيغة التي يراها أنسب وأفضل، فظروف الاجتماع في ذلك العصر «العصر الذي استقر فيه المفهوم العام للإسلام» ما كان يُنظر فيها إلى التنوّع والاختلاف بل إنه عنصر ثراء لا نكهة للحياة ولا استمرار لها إلا به[1].

* * *

---

(1) عبد المجيد الشرفي : الإسلام بين الرسالة والتاريخ : ١٢١ .

المبحث الثاني

إلغاء الفهم السائد والتشريع لدين جديد

٣ - إلغاء الفهم السائد للدين :

مهما يكن من تعدد في الفِرَق الإسلامية فإنها تجتمع كلها على مفهوم جامع للدين في عقائده وشرائعه وأخلاقياته ، وهو المعبر عنه اصطلاحاً .

ما علم من الدين بالضرورة .

والقراءة الجديدة للنص الديني هي قراءة ناسخة للدين السائد الذي تناقلته أجيال الأمة من العهد النبوي وإلى الآن.

وقد آن الأوان لفهم جديد للدين يصحح الفهم القديم الخاطئ ، فالمصدر الذي اعتمده القدماء لفهم الدين منه كان مصدراً مشكوكاً غير موثوق به ، فيما يتعلق منه بالحديث النبوي على وجه الخصوص ، والعلماء والفقهاء بما فيهم الجيل الأول لم يفهموا الدين من نصوصه حق الفهم ، فقد كانت تطغى عليهم إرادة جمع الكافة على نسق ديني واحد على حساب حقيقة الدين نفسه ، وقد كان للأهواء السياسية وشهوات الجاه والمال والرفاه نصيب وافر في ذلك ، وإذن فإن فهماً للدين نشأ بمقتضى هذه الملابسات لحريٌّ بالقراءة الجديدة أن تأتي عليه بالشطب لِتُحِلَّ محلّه فهماً جديداً هو في حقيقته دين جديد [1] .

وقد وصل الأمر **بمحمد أركون** إلى اتهام الفقهاء بالتلاعب بالآيات القرآنية من أجل تشكيل علم للتوريث يتناسب مع الإكراهات والقيود الاجتماعية [2] .

---

(1) محمد الشرفي : الإسلام والحرية ، الالتباس التاريخي : ١١١ ، وراجع محمد أركون : الفكر الإسلامي نقد واجتهاد : ٢٠٢ ، وكرّس عبد المجيد الشرفي كتابه : الإسلام بين الرسالة والتاريخ لتسفيه الفهم السائد للدين ، والعنوان ذاته يوحي بذلك ، وفكرة محمود محمد طه فيما ذهب إليه من القول بالرسالة الثانية تندرج ضمن هذه النتيجة للقراءة المعاصرة.

(2) محمد أركون : الفكر الإسلامي نقد واجتهاد : ٦٦ - ٦٨

ووصل الأمر بعبد المجيد الشرفي أن يدعي حصول تضامن عضوي بين العلماء والحكام لانتسابهما إلى نفس الفئة الاجتماعية المستأثرة بالمعرفة والنفوذ، في حين تقصي عنهما النساء والعبيد والعامة أوفر الأصناف عدداً.

ويدعي آحدهم: أن الفقهاء والمحدثين والمفسرين لعبوا دور السلطة الكنيسية وأوكلوا لأنفسهم الكلام باسم الله، وأسبغوا على آرائهم ومقالاتهم صفة القداسة، فاعتبروا القوانين التي سنوها أحكاماً إلهية، لأنها مستنبطة من الأصول الإسلامية[1].

ومن أقوال عبد المجيد الشرفي المباشرة في ذلك: إن التاريخ لأحداث القرن الأول للهجرة يستلزم إعادة النظر في أكثر من مسلَّمة، ولا سيما فيما يتعلق بوفاء الأجيال الإسلامية الأولى لمبادئ الرسالة، وهي التي كانت مدعوة إلى تجسيدها[2]

٤ ـ التشريع لدين جديد:

تشطب القراءة الجديدة الدين السائد إما باعتباره فهماً خاطئاً من أساسه، أو باعتباره كان حقاً في الزمن الماضي ولم يعُد كذلك لتغير الزمن، وذلك لتؤسس لفهم جديد من خلال النص الديني، وهو فهم يشبه في حقيقته ديناً جديداً.

وقد اعتمد بعض هؤلاء المؤولة تعبيراً عن الفهم الجديد للدين مصطلح «**الرسالة الثانية للإسلام**» أو «**الوجه الثاني لرسالة الإسلام**» إشارة إلى أن

---

(1) عبد المجيد الشرفي: الإسلام بين الرسالة والتاريخ: ١٥ ـ ١٦.

(2) المصدر السابق: ١٣٨، وقال في الصفحة ٩٨: لم لم يتبنَّ الصحابة والتابعون ثم الأجيال المتعاقبة السائرة على خطاهم سوى الحلول التي تتجلى لنا اليوم منقوصة، غير مرضية، إن لم نقل مزيّفة؟.

الرسالة الأولى هي التي استقرَّ عليها فهم الأمة للإسلام ، والرسالة الثانية هي الرسالة الحقيقية التي لم تُفهم والتي آن أوان فهمها لتكون هي الدين الحق الذي تبشر به القراءة الجديدة [1].

إن الفهم الجديد للدين الذي تنتجه هذه القراءة هو فهم ينتهي من حيث المبدأ إلى مخالفة كل ما هو سائد من فهم سواء ما يتعلق بالمرتكزات العقدية أو الشرائع أو الأخلاق.

قال **نصر حامد أبو زيد**: لا اجتهاد في مجال العقيدة ، هذا ما يعلنه الخطاب الديني متجاهلاً أن العقائد تصورات مرتهنة بمستوى الوعي وبتطور مستوى المعرفة في كل عصر[2] .

وعلى هذا الأساس من الفهم الجديد ألغت هذه القراءة الجديدة قسماً من المعتقدات كوجود الملائكة والجن والسجلات التي تدوَّن فيها الأعمال ، وصور الثواب والعقاب ، وعذاب القبر ونعيمه ، ومشاهد القيامة ، والسير على الصراط واعتبرت ذلك كله تصورات أسطورية [3].

وقرأوا قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ

---

(1) عنون **محمود محمد طه** كتابه الذي شرح فيه فهمه الجديد للدين بـ (**الرسالة الثانية في الإسلام**) ، وتردد عند عبد المجيد الشرفي مصطلح (**الوجه الثاني للرسالة**)، ومما قاله في ذلك ـ الإسلام بين الرسالة والتاريخ ص ٨٧ : (يتعين الرجوع إلى **وجه الرسالة الثانية** ، ذلك الذي طمسه التاريخ ، وأنكر طاقاته الإبداعية ، فلم يتعوّد المسلمون كشفه والتنقيب عن خفاياه وأسراره ودلالاته ، ولم يتفطنوا في الأغلب حتى إلى وجوده ذاته).

(2) نصر حامد أبو زيد : النص، السلطة، الحقيقة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ١٩٩٥م: ١٣٤ .

(3) المصدر السابق : ١٣٥.

﴿ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1] ونظائرها من الآيات المتعلقة بقصة إبليس وإبائه السجود لآدم عليه السلام ، ومع وضوح الآيات الكريمة ، وإجماع المفسرين على المعنى المفهوم ، من بيان فضيلة آدم عليه السلام وتشريفه وتكريمه ، وطاعة الملائكة الكرام لربهم عز وجل، واستجابتهم لأمره ، وكبر إبليس وعناده، وإبائه السجود وكفره ، مع هذا التفسير الذي لم يختلف فيه اثنان من مفسري القرآن الكريم عبر قرون عديدة ، تظهر دعوى يقول صاحبها : (أريد أن أبين أن هدف هذه الدراسة هو إعادة النظر في قصة إبليس ودراسة شخصيته وموقفه ومسؤوليته ومصيره على ضوء جديد يختلف عما عهدناه من عقائد وأفكار سيطرت على تصورنا لهذا المخلوق ، أما المراجع التي سأعتمد عليها فهي الآيات القرآنية التي تروي لنا قصة إبليس وسيرته ... إلخ)[2] .

فخرجت هذه القراءة الجديدة بفهم جديد ، لولا الاضطرار لضَرْبِ مثَلٍ على ما نحن بصدده لما سوَّغنا لأنفسنا أن نذكره ، لما فيه من سوء فهم وبشاعة رأي وسوء قصد ، وإن أُلبست ثوب البحث العلمي ، و محاولة الفهم الجديد زوراً وبهتاناً !!

قال **صادق جلال العظم**[3] : إن إبليس برر رفضه السجود لآدم تبريراً منطقياً

---

(1) سورة البقرة : ٣٤ .

(2) صادق جلال العظم : نقد الفكر الديني : ٨٣.

(3) **جلال صادق العظم** : (١٩٣٤ م ـ ......) معاصر شيوعي سوري من أصل تركي ، ولد في دمشق من أب معجب بالعلمانية ، وزوجته فوز طوقان (عمها الشاعر إبراهيم طوقان وعمتها الشاعرة فدوى طوقان) يحمل درجة الدكتوراه في الفلسفة ، وكانت رسالته عن الفيلسوف (كانط) ، عمل في الجامعة الأمريكية في بيروت ، ثم أستاذاً بجامعة عمان ١٩٦٨م ، ثم باحثاً في مركز الأبحاث الفلسطيني، ثم عاد إلى دمشق وتولى رئاسة قسم الفلسفة بجامعة دمشق ، اعتنق الفكر الشيوعي وجهر بإلحاده في كتابه الموسوم (نقد الفكر الديني) ١٩٦٩ م ، خلاصته أن الإسلام يناقض العلم الحديث ! ، ومما يثير العجب أنه رغم إلحاده عقد فصلاً خاصاً فيه يدافع عن إبليس سماه " مأساة إبليس "، ردَّ عليه كثير من العلماء وله : (ما بعد ذهنية التحريم) الذي دافع فيه عن سلمان رشدي ، وكتاب : (السادات وبؤس السلام العادل) .

واضحاً ، إذ قال : ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾[1] !!.

ثم يقول بعد إمعان النظر بحجة إبليس التي تتألف من مفاضلته بين جوهره «**النار**» وجوهر آدم «**الصلصال**» : نجد أنها لم تكن استكباراً وفخاراً بقدر ما كانت استذكاراً لحقيقة أساسية شاءها الله وأوجدها على ما هي عليه)[2] .

وبعد مناقشة **عباس محمود العقاد** في كتابه «**إبليس**» يخلص إلى :

أنَّ دعوى العقاد القائلة بأنه كان يجب على إبليس أن يسجد لآدم لأنه أفضل من الملائكة ، دعوى فاسدة مردودة[3] .

ونسي أو تناسى أن الأغاليط التي حفل بها كتابه لا تنطلي إلا على السذج الدهماء من أنصاف المتعلمين[4] .

إنَّ الله تعالى أمر ملائكته بالسجود لآدم تكريماً لصنعته سبحانه ، فإذا سجد الملائكة فقد أطاعوا ربهم كما يطيع البشر ربهم بالسجود للكعبة ، وآدم إنما هو قبلة السجود بالنسبة للملائكة وإبليس ، وليس هو المسجود له ، كما أن الكعبة هي قبلة السجود بالنسبة للبشر ، وليست هي المسجود لها ، كما أن السماء هي قبلة الدعاء وليس الله في السماء ولا في غيرها .

فما هي علة عدم سجود إبليس ؟ .

---

(1) سورة الأعراف : ١٢ .

(2) صادق جلال العظم : نقد الفكر الديني : ٩١، ومحمد شحرور، الكتاب والقرآن قراءة معاصرة : ٣١٣.

(3) المصدر السابق : ٩٦ ، وعباس محمود العقاد : إبليس : ١٢٧ .

(4) وقد ردَّ عليه عبد الرحمن حبنكة الميداني في كتابه : (صراع مع الملاحدة حتى العظم) ، ومحمد حسن آل ياسين في كتابه : (هوامش على نقد الفكر الديني) ، وأيضاً محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه : (نقض أوهام المادية الجدلية).

إنَّ العلة تكمن في تكبره وإعجابه بنفسه حين قال محتجاً على الله: ﴿ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾[1] ، وكان هذا الكبر والعجب موجبَيْن لطرده وخذلانه ، وليس هناك غير هذه العلة إطلاقاً، فشأن إبليس كشأن كل كافر جاحد حين يؤمر بالسجود إلى قبلة الصلاة وهي الكعبة فيحتج قائلاً : إن الكعبة من حجارة وجماد وأنا من لحم ودم فأنا خير منها ، فهل يكون مقصوده بهذا الكلام غير الامتناع عن طريق الكبرياء ، وآية ذلك قول إبليس ﴿ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ فهذه الكلمة قرينة قطعية تفيد إبعاد معنى علة التنزيه عن إبليس واعتقاد علة الكبر والعجب مانعة له من السجود لآدم دون غيرها[2] .

هكذا تفرز القراءة الجديدة عندما تكون في حلٍّ من الأصول والضوابط ، وتحلُّل من الثوابت والمسلمات ، تفرز فهماً جديداً يقول : إن الله عز وجل عندما أمر الملائكة بالسجود لآدم ، إنما كان يمتحن صدق إيمانهم، فسقطوا بالامتحان جميعاً، إلا إبليس الذي وعى ذلك ، فأبى أن يسجد بدعوى أن السجود لا يجوز إلا لله [3] !!.

هذا تسفيه للملائكة الكرام، وتبرير لإبليس الذي قال الله تعالى فيه : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾[4] اللهم إلا أن تكشف لنا القراءة الجديدة عن معنى لغوي جديد للعنة كأن تكون بمعنى الرحمة ـ مثلاً ـ أو الكرامة أو نحوها من الألفاظ المضادة لمعنى الطرد والإبعاد !!

---

(1) سورة الأعراف : ١٢.

(2) عبد اللطيف فرفور ، تهافت الفكر الجدلي وقضايا معاصرة ، دار المعرفة بدمشق ، الطبعة الأولى ١٩٨٨م : ١٩ـ ٢٠.

(3) انظر: محمد شحرور، الكتاب والقرآن قراءة معاصرة : ٣١٣ ، ومحمد صياح المعراوي : الماركسلامية والقرآن : ٣٣.

(4) سورة الحجر : ٣٥ .

والقرآن لا يجعل من السجود الذي أمر الله إبليس به لآدم سجود عبادة من إبليس لآدم حتى تتم لإبليس حجة على الله بقوله: « إنك نهيتني عن السجود لغيرك ثم أمرتني بالسجود لآدم فلن أسجد له تنزيهاً لك !! .. فهذه حجة داحضة أصلاً ، لأن هذا السجود الذي أُمر به إبليس والملائكة إنما هو سجود تحية وتكريم لا سجود عبادة وشرك !!.

وسوء الفهم ناتج من تفكيك النص من جهة ، ومن فك ارتباطه بالنصوص المشابهة من جهة أخرى، وعدم الاحتكام إلى اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، والمصطلحات التي استعملها، والبيئة التي نزل فيها [1] ، وسلوك مسلك السفسطة في الاستنتاج ، فإن الله تعالى أثبت كفر إبليس في النص نفسه ، وأقر ما كان من الملائكة الكرام، والآيات المشابهة تكشف عن المراد بجلاء ـ والقرآن كما قيل يفسر بعضه بعضاً ـ قال الله تعالى :﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[2] .

إذن فهو الكبر وليس وعي الخطاب الإلهي ، والتبرير المنطقي الواضح ، لذلك كان قياس إبليس فاسداً ، وكان خروجه عن أمر ربه بالاستناد إلى هذا القياس سبب سقوطه الأبدي في الكفر » [3].

---

(1) انظر : ما ذكره محمد سعيد رمضان البوطي في بحثه : جنون القراءة المعاصرة من أين وإلى أين ؟ ، وما نقله عن ابن جني في كتابه : الخصائص : ١ / ٢٥٤ .

(2) سورة الأعراف : ١٢ ـ ١٣ .

(3) أحمد عمران : القراءة المعاصرة للقرآن في الميزان ، دار النفائس بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ١٩٩٥م: ٣٨٩.

إن التحلل من الضوابط وإغفال اللغة العربية التي نـزل بها القرآن وإهمال المأثور في تفسير النصوص ، أوصل القراءة الجديدة بشأن إبليس أيضاً إلى متاهات لا أطيل بذكرها ، ويكفي الوقوف في ذلك على ما أفرزته عند قراءة قوله تعالى : ﴿ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا ﴾[1] من أن : الآية هنا لا تعني ظهور الأعضاء التناسلية بل بدا لهما سوء عملهما، فتصرفا تصرف من يمر في مرحلة بدائية من مراحل وجود الضمير، والتصرف البدائي الطفولي لردة الفعل للضمير الإنساني الذي بدأ يتشكل[2] .

ومما تقدم يتبين أن عودة **محمد شحرور** بكلمة «سوأة» إلى معنى «سيئة» تدليلاً على افتراض «**الاختباء**» الذي قام به **آدم وحواء** عن عين الله، وهو خطأ من وجوه :

أولها : خالف فيه اللغة ، التي فرقت بين السيئة والسوأة.

والثاني : أن الاختباء عن عين الله عبث ومحال ، لأنه لا يخفى عليه شيء[3] .

الثالث : اتفقت أقوال السلف والخلف على أن معنى (سوءاتهما : أي عوراتهما).

الرابع : أن السياق - في السباق واللحاق - يقتضي ذلك ، أما في السباق فقوله تعالى : ﴿ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا ﴾[4] ظاهر في أن إبليس إنما أراد أن يكشف ما ستر من عوراتهما ليسوءهما بذلك.

---

(1) سورة الأعراف : ٢٢ .

(2) أحمد عمران : القراءة المعاصرة للقرآن في الميزان ، دار النفائس بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ١٩٩٥م: ٣٩٠ ، ومحمد شحرور : الكتاب والقرآن قراءة معاصرة : ٣١٥.

(3) المصدر السابق ، ص ٣٩١.

(4) سورة الأعراف : ٢٠.

وأما في اللحاق فقوله تعالى : ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾[1] ظاهر أيضاً في أن المراد أنهما شرعاً في ضم ورقة على ورقة وإلصاقهما بجسديهما لستر ما كشف لهما من عوراتهما ، وأن أي قراءة سليمة للنص الديني لا تفيد إلا ذلك ، فكيف يستقيم النص بعد هذا أن سوءاتهما : سيئاتهما ؟ .

الخامس : لو كانت سوءاتهما تعني سيئاتهما لاقتضى ذلك أنهما جمعا سيئات كثيرة لا سيئة واحدة[2] .

وحول الإنسان الأول « آدم » عليه السلام تأكيداً لنظرية التطور التي جاء بها **داروين** ، قال أحدهم : إن البشر وجد على الأرض نتيجة تطور استمر ملايين السنين : البث ، حيث إن المخلوقات الحية بث بعضها من بعض طبقاً للقانون الأول للجدل، وتكيفت مع الطبيعة ، وبعضها مع بعض طبقاً للقانون الثاني للجدل ، وقد وجد البشر وانتشر في مناطق حارة مغطاة بالغابات ، حيث يوجد في هذه الغابات مخلوقات حية أخرى كان يفترسها البشر[3] .

وفي الإطار نفسه يقول **محمد أبو القاسم حاج حمد**[4] في كتابه العالمية الإسلامية الثانية : ليس المهم إذن تحقيقات دارون نفسها ، ولكن المهم هو ما

---

(1) سورة الأعراف : ٢٢.

(2) جواد عفانة : القرآن وأوهام القراءة المعاصرة ، دار البشير ، عمان الأردن الطبعة الأولى ١٤١٥هـ١٩٩٤م : ٢٢٠ ، وانظر في الرد أيضاً : أحمد عمران : القراءة المعاصرة للقرآن في الميزان ، دار النفائس بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ١٩٩٥م : ٣٩١.

(3) محمد شحرور : الكتاب والقرآن قراءة معاصرة : ٢٩٠.

(4) **محمد أبو القاسم حاج حمد** (١٩٤١م - ٢٠٠٤م) ولد في الخرطوم لعائلة ميسورة تنتسب للطريقة الصوفية الختمية، وساهم في الثورة الإريترية ضد الاحتلال الإثيوبي، قيل إنه انتسب لحزب البعث العربي، وكان منظّراً لمشروع سياسي أطلق عليه (القرن الإفريقي الكبير)،

أصبح عبر العلم منظوراً أو مسلمة أي التحول والخلق عبر التطور ، هذه الخلفية تشكل خلفية للذهنية المعاصرة ، وبالتالي فيمكن لأي عقل معاصر أن يقبل بمفهوم ألا يكون الإنسان مخلوقاً في كماله منذ اليوم الأول ، ولكنه متطور إلى شكله الراهن عبر هذه الملايين من السنين، مثله مثل الكائنات الأخرى[1].

ويقدم **الصادق النيهوم** نظرية **داروين** على أنها حقيقة علمية تحت عنوان (وجهان ومواطن واحد) فيقول : في درس التفسير ، يقال للطالب أن مبدأ النشوء والارتقاء ، ليس حقيقة علمية ، وأن الله قد صنع آدم وحواء ، مثل تمثالين من الطين ، ونفخ فيهما الروح ، ثم وضعهما في الجنة ، وهي قصة

وشارك في عدد من التظيمات والأحزاب السياسية السودانية، منها (حزب الشعب)، الذي كان يلقب فيه (الشيخ الأحمر) بسبب ميوله الثورية اليسارية وتمسكه الإسلامي في وقت واحد ، وكان مستشاراً للخارجية في أبو ظبي، ومستشاراً لعدد من كبار الأمراء السعوديين، ومستشاراً للرئيس الإريتري أسياس أفورقي، وبقي مدَّة مستشاراً للمعهد العالمي للفكر الإسلامي في واشنطن، أصدر أول كتاب له بعنوان (الوجود القومي) عام ١٩٦٤ ، ثم عام ١٩٧٠ أصدر دراسة صغيرة بعنوان (الثورة والثورة المضادة في السودان)، وفي عام ١٩٧٤ أصدر كتابه (الأبعاد الكونية لمعركة إريتريا)، وهي في مجملها موضوعات سياسية، ثم أصدر دراسته المثيرة للجدل (العالمية الإسلامية الثانية ـ جدل الغيب والإنسان والطبيعة) عام ١٩٧٩، وظنَّ وقتها أنها بتأثير الثورة الإيرانية، غير أنه نفى ذلك مراراً، وحظيت أطروحاته في الكتاب باهتمام واسع لدى بعض الحركات والجمعيات ، وقد قدمت عنه في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا أطروحة جامعية بدرجة الماجستير، وفي تونس قدمت فيه أطروحة دكتوراه ، ومن مؤلفاته : منهجية القرآن المعرفية ،وكتاب الإسلام ومنعطف التجديد ٢٠٠٣م.

(1) محمد أبو القاسم حاج حمد : العالمية الإسلامية الثانية ، دار المسيرة ، بيروت : ٢٩٧.

يرويها القرآن من باب الوعظ ، لكن الشيخ المفسِّر يرويها من باب المعرفة بتفاصيل التاريخ .. في درس الأحياء يكتشف الطالب مدى جهل المفسرين بمبدأ النشوء والارتقاء، ويعرف من الحفريات أن الله لا يصنع التماثيل، وأن الإنسان ليس مخلوقاً منفصلاً عن بقية الحيوانات ولا ينتمي إلى أب واحد أو أم واحدة، بل ينتمي إلى فصائل متنوعة من القرود ، التي هجرت موطنها الأصلي في الغابة ، واحترفت الصيد في مناطق السافانا، وهي حقائق لا تشكك في قدرة الله، بل تشكك في قدرة علم تفسير كتاب الله[1] .

بماذا يطالبنا النيهوم في هذا الطرح، إنه لا يعتبر تفسير الكتب المقدسة مادة علمية، ويدعو إلى فصل الدين عن الدولة، ويدعونا إلى تقليد الغرب.

والحقيقة أن نظرية التطور ، أو النشوء والارتقاء ، هي نظرية قديمة جداً ، ترجع إلى آلاف السنين ، وتوجد آثارها في الخرافات الدينية التي وضعها حكماء بابل وآشور ومصر القديمة .

وممن تناول هذه النظرية **أرسطو** الذي أعلن أن الإنسان هو نهاية عملية ارتقاء طويلة مستمرة ، وقد عرض لهذه النظرية الانكليزي « **توماس هكسلي** » والعالم الألماني «**أرنست هوكل**» والعالم الإنكليزي «**تشارلز دارون**» المتوفى : ١٩١٩م[2].

وهكذا فإن داروين عندما عرض فرضيته في التطور على أساس الاصطفاء الطبيعي ، كان المناخ الفكري في أوربا مهيأً، غير أن داروين أرسل رسالة إلى بعض الألمان عام ١٨٧٣م بعد صدور كتاب «أصل الأنواع» بحوالي (١٥)

---

(1) الصادق النيهوم ، الإسلام في الأسر ، رياض الريس للكتب والنشر ، لندن قبرص بيروت ،١٩٩١م .

(2) سمير يحيى الجمال : الإنسان ذلك المخلوق العجيب : ٩ ـ ١٣ .

سنة ، يقول فيها ما ملخصه : يستحيل على العقل الرشيد أن تمر به خلجة من الشك في أن هذا العالم الفسيح بما فيه من الآيات البالغة ، وتلك الأنفس الناطقة المفكرة، قد صدر عن صدفة عمياء ، لأن العماء لا يخلق نظاماً ولا يبدع حكمة، ذلك أكبر برهان عندي على وجود الله[1].

إن داروين أراد أن ينسجم مع الجو العام في بداية الأمر، لكنه ما لبث مع تقدم السن وازدياد الاطلاع أن أقر بمبدأ الخلق.

وهذه النظرية قد ثبت بطلانها علمياً لأن نظرية النشوء والارتقاء عاجزة عن التدليل على حدوث أي ارتقاء تقدمي ، وإنما على العكس من ذلك تؤدي إلى انحطاط وانقراض الحياة على وجه الأرض.

ومن المستهجن أن النظريات الباطلة المتهافتة التي يتخلى عنها أصحابها في الغرب ، نأتي ونستوردها ونلبسها مسوح الحقائق العلمية ، وندعو إليها تحت ستار الإلحاد تارة ، وشعار الدين تارة أخرى!.

ولقد تبنى **محمد شحرور** بعض الفرضيات ووصفها قوانين علمية ، مثل : فرضية **داروين** في النشوء والارتقاء ، ومقولة **هيغل** في جدل الأشياء ، وأخذ يحشد لها الأدلة من القرآن الكريم ، بل منح الفلاسفة وعلى رأسهم «**هيغل**[2]

---

(1) هشام الغزي ، بُنى الإسلام ، مطبعة العجلوني ، دمشق ١٩٩٢م ، الطبعة الأولى : ١٥.

(2) جورج فيلهلم فريدريك **هيغل** (٢٧ أغسطس ، ١٧٧٠ - ١٤ نوفمبر ، ١٨٣١) فيلسوف ألماني ولد في شتوتغارت، فورتيمبيرغ، في المنطقة الجنوبية الغربيةِ من ألمانيا، يعتبر أحد أهم الفلاسفة الألمان وأهم مؤسسي حركة الفلسفة المثالية الألمانية في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي ،أتم تعليمَه في توبينغر شتيفت (كلية الكنيسة البوتستانتية في فورتيمبيرغ)، حيث ربطته صداقة مَع فلاسفة المستقبل فريدريك شيلنغ وفريدريك هولدرلين، بعد ذلك جذبته وسحرته أعمالِ سبينوزا، كانت، و روسو، و الثورة الفرنسية،وظهرت الفلسفة الحديثة،

وكانط وفرويد[1] **وداروين** » وأمثالهم لقب «**الراسخين في العلم**» وأن **داروين**، هو أفضل من فسر خلق آدم عليه السلام[2].

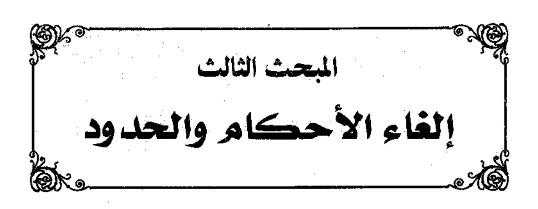
علماً أن الراسخين في العلم هم العلماء **المؤمنون حصراً** بدليل قوله تعالى: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[3].

و الثقافة، و المجتمع في نظر هيغل عناصر مشحونة بالتناقضاتِ والتَوَتّراتِ، كان مشروع هيغل الرئيسي الفلسفي أَنْ يَأْخذَ هذه التناقضاتِ والتَوَتّراتِ ويضعها في سياق وحدة عقلانية شاملة ، موجودة في سياقاتٍ مختلفةٍ، دعاها «الفكرة المطلقة » أو « المعرفة المطلقة ».

(1) **سيغمند فرويد** (٦ مايو، ١٨٥٦ - ٢٣ سبتمبر، ١٩٣٩) ولد فرويد في فريبج عام ١٨٥٦ بالنمسا وحين بلغ الرابعة من عمره صحب أسرته إلى فيينا التي عاش فيها قرابة ثمانين عاماً، وكان أبوه تاجر صوف غير ناجح متسلط وصارم وحين ولد فرويد كان أبوه قد بلغ الأربعين من عمره وكانت أمه هي الزوجة الثانية في العشرين من عمرها وكان فرويد الابن الأول لستة أطفال ولدوا لامه وكان له أخوان من أبيه. كان فرويد تلميذاً متفوقاً دائماً احتل المرتبة الأولى في صفه عند التخرج ولم يكن مسموحاً لإخوانه وأخواته أن يدرسوا الآلات الموسيقية في البيت لان هذا كان يزعج فرويد ويعوقه عن التركيز في دراساته والتحق بمدرسة الطب عندما بلغ السابعة عشرة من عمره ولكنه مكث بها ثماني سنوات لكي ينهي الدراسة التي تستغرق عادة أربع سنوات ويرجع ذلك إلى متابعته وانشغاله بكثير من الاهتمامات خارج مجال الطب ، تخصص في الأعصاب عام ١٨٨١م. وفي عام ١٨٨٦ تزوج مارتا برزنيز وأنجب منها ستة أطفال ثلاثة من البنين وثلاث من البنات وأصبحت إحدى بناته طبيبة نفسية ،واشتهرت بعلاج الأطفال في لندن، ونجح فرويد في استخدام طريقة جديدة لعلاج الهستيريا.

(2) محمد محمود كالو ، مسيرة التفسير بين الانحراف والاختلاف ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م : ٤٠.

(3) سورة آل عمران : ٧.



المبحث الثالث

إلغاء الأحكام والحدود

٥ ـ إلغاء الأحكام والحدود :

كما ألغت القراءة المعاصرة أحكام الحدود باعتبارها عقوبات غايتها الإيلام ، وأصبحت اليوم عقوبات وحشية همجية بغيضة [1].

وألغت أيضاً أحكاماً تتعلق بالأسرة والمرأة كجواز التعدد ، وقد شن **الطاهر الحداد** [2] حرباً شعواء على تعدد الزوجات في كتابه «**امرأتنا في الشريعة والمجتمع**» وأثار هذا الكتاب ضجة عظيمة هزت المجتمع التونسي، ودارت حوله مناقشات ساخنة.

علماً أن نظام تعدد الزوجات ظاهرة قديمة جداً فعند السكان الأصليين في أمريكا «عشائر الشاروا» كان الرجل يتزوج عادة أكثر من امرأة .. وكان التعدد مباحاً عند السكان الأصليين لجزر بولينيريا وفي أواسط أفريقيا ، والصينيون في العصور القديمة كانوا يسيرون على نظام تعدد الزوجات .. بينما كان نظام

(1) محمد الشرفي : الإسلام والحرية ، الالتباس التاريخي : ٨٩ .

(2) **الطاهر الحداد** (١٨٩٩م ـ ١٩٣٥ م) كاتب تونسي ولد بحامة قابس جنوب تونس ، ونشأ من عائلة متواضعة ، وتحصل على شهادة التطويع من الزيتونة ، ودرس الحقوق سنتين ، ثم انخرط في العمل الوطني منذ شبابه ، فهو نشيط في الحزب الحر الدستوري منذ عام ١٩٢٠م ، اختلف مع قيادة الحزب ، وظل بقية حياته يعمل في سبيل التحرر الوطني والاجتماعي ، فتح الباب أمام تحرير المرأة (العربية) في كتابه (امرأتنا في الشريعة والمجتمع) فثار عليه المحافظون ، وجرّد من شهادته العلمية ، واتهم بالكفر والإلحاد والزندقة،وألف في الرد عليه بعض الكتابات ولعل أبرزها : (الحِداد على امرأة الحداد) للشيخ محمد صالح ابن مراد ، و(سيف الحق على من لا يرى الحق) لعمر البرّي المدني.

وحدة الزوجة هو الغالب لدى الشعوب العريقة في البدائية أي التي كانت غير مستقرة .. بالمقابل عرفت عهود الإنسانية القديمة وحدة الزوجة مع تعدد الأزواج كما كان الحال في جنوب الهند وحدودها الشمالية .. ولدى بعض القبائل العربية في الجاهلية [نكاح الرهط]...

أما وحدة الزوج والزوجة فهو نظام عرف لدى كثير من المجتمعات قديمها وحديثها، وساد خاصة عند قدماء اليونان والرومان .. غير أنهم يمارسون بجانبه معايشة الأخدان بأعداد كبيرة جداً.

ولقد اعتبر المسيحيون وحدة الزواج قاعدة مناسبة من عندهم فإن الأناجيل لم تحرم تعدد الزوجات بنص ويبدوا أن أتباع المسيح تمشوا على ما كان سائداً في عهدهم لدى اليونان والرومان وأصبحت الكنيسة بعدها تعتبره قاعدة بدون نص[1].

جاء الإسلام في العصور الوسطى وتعدد الزوجات هو الشائع لدى العرب، وبعد فترة من نزول الوحي ، نزل قوله تعالى :﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾[2] فطبقت أحكام هذه الآية على الناس ، ومن كان متزوجاً بأكثر من أربع يطلق من يختار من بينهن ، حتى لا يبقى منهن إلا أربع في عصمته.

---

(1) هشام الغزي، بُنى الإسلام، مطبعة الجلوني، دمشق وبيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٢م :١٧٦ - ١٧٧، وانظر أيضاً، السيد سابق، فقه السنة، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة السابعة ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥م : ٢ / ١٢٢.

(2) سورة النساء : ٣ .

ويرى كثير من علماء الاجتماع ومؤرخي الحضارات أن نظام تعدد الزوجات سيتسع نطاقه ، ويكثر عدد الشعوب الآخذة به كلما تقدمت المدنية واتسع نطاق الحضارة.

فليس بصحيح إذن ما يزعمونه من أن نظام تعدد الزوجات مرتبط بتأخر الحضارة، بل العكس هو الصحيح.

ولكن سوء التطبيق في نظام تعدد الزوجات ، وعدم رعاية تعاليم الإسلام كان حجة ناهضة للذين يريدون أن يقيدوا التعدد.

كثير من الرجال لا يتزوج اليوم بأكثر من واحدة إلا طمعاً في المال، فلا يتحرى الحكمة من التعدد ، وربما اعتدى على حق الزوجة التي تزوج عليها ، ويضر أولاده منها ، ويحرمهم من الميراث ، فتشتعل نيران العداوة بين الأخوة والأخوات من الضرائر ، ثم تنتشر هذه العداوة إلى الأسر ، فيشتد الخصام ، وتنتقم كل زوجة من الأخرى ، وتكبر هذه الصغائر حتى تصل إلى حد القتل أحياناً.

هذه بعض آثار التعدد ، اتخذها أصحاب القراءة المعاصرة دليلاً للحد من التعدد.

أقول : إن العلاج لا يكون بمنع ما أحله الله سبحانه ، وإنما يكون ذلك بالتعليم والتربية والوعي بفقه الدين، فالله تعالى أباح للإنسان أن يأكل ويشرب دون إسراف ، فإن أسرف في الطعام والشراب ، أصابته العلل والأمراض ، وهذه العلل ليست راجعة إلى الطعام والشراب بقدر ما هي راجعة إلى النهم والإسراف ، وعلاجها لا يكون بمنعه من الطعام والشراب ، بل بتعليمه الأدب الذي ينبغي مراعاته.

وتساءل **ألفونس ايتين دينييه**[1] حينما قال : هل في زوال تعدد الزوجات فائدة أخلاقية ؟.

ثم أجاب : إن هذا أمر مشكوك فيه ، فالدعارة التي تندُر في أكثر الأقطار الإسلامية سوف تتفشى فيها ، وتنتشر آثارها المخرِّبة.

وكذلك سوف يظهر في بلاد الإسلام داء لن تعرفه من قبل، هو عزوبة النساء التي تنتشر بآثارها المفسدة في البلاد المقصور فيها الزواج على واحدة، وقد ظهر ذلك فيها بنسبة مفزعة، وخاصة عقب فترات الحروب[2].

أما أصحاب القراءة المعاصرة فقد جاء أحدهم وحرف نص تعدد الزوجات، وهو قول الله عز وجل : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾[3] .

فجعل صاحب القراءة المعاصرة «**شحرور**» الإذن بتعدد الزوجات مقتصراً على حالة أن تكون الثانية والثالثة والرابعة من الأرامل أو المطلقات لا من الأبكار، ومن شاء أن يتزوج أرملة أو مطلقة لها أولاد فعليه أن يتحمل إعالة أولادها ![4].

---

(1) **ألفونس إيتين دينييه** : المفكر والفنان الفرنسي ، اكتشف الحقيقة وقال : نستطيع أن نسمي الآيات القرآنية (المعجزة الخالدة) ثم أسلم واتخذ لنفسه اسماً جديداً ، فأصبح اسمه (**ناصر الدين**)، له كتاب : محمد رسول الله .اهـ [القرآن وتحديات العصر ، محمد الراشد، الأوائل ٢٠٠٢م : ١٥٦].

(2) ألفونس إيتين دينييه ، محمد رسول الله ، ترجمة عبد الحليم محمود و محمد عبد الحليم محمود ، طبعة القاهرة ١٩٦٦م .

(3) سورة النساء : ٣ .

(4) محمد شحرور : الكتاب والقرآن قراءة معاصرة : ٢٣٣.

وقال **الصادق النيهوم**[1] عن هذه الآية : هو نص يعتبره الفقه تصريحاً بأن يجمع في عصمته أربع نساء بالإضافة إلى عدد من الجواري ، وهو تفسير يبرره فقيه عصري مثل **سيد قطب** بقوله: لا يغفل الإسلام عن أن هنالك طبائع غير عادية في الرجال لا تكتفي بواحدة، ولا بدَّ أن تتطلع إلى أخرى وأخرى ، فإن لم يتيسر لها هذه الأخرى في عالم الزواج المعلن الشريف، وجدتها في عالم الدعارة على نحو من الأنحاء، وبذلك يتفسخ المجتمع .

ويعلن **النيهوم** قائلاً: والواضح في هذا التبرير ، أنه يريد أن يسخر الشريعة لخدمة طبائع غير عادية في الرجال ، مما يلغي مهمة الشريعة من أساسها، بالإضافة إلى أنه يتجاهل أن الطبائع غير العادية توجد أيضاً عند النساء، وأن الإسلام قد غفل عنها على أي حال[2] .

---

(1) **الصادق النيهوم** (١٩٣٧م - ١٩٩٥م) ولد في بنغازي بليبيا، وتلقى علومه الابتدائية والثانوية في بنغازي، ودرس علومه الجامعية في جامعة القاهرة ، وأعدّ أطروحة الدكتوراه في الأديان المقارنة بإشراف الدكتورة بنت الشاطئ ، إلا أن الجامعة ردّت الأطروحة وعدتها معادية للإسلام ، انتقل بعدها إلى ألمانيا ، حيث أتم الدكتوراه في جامعة ميونيخ بإشراف مجموعة من المستشرقين الألمان ، ونالها بامتياز ،أقام في لبنان أربع سنوات وغادرها بسبب الحرب، متزوج من السيدة أوديت حنا من فلسطين ، وكان يجيد إلى جانب اللغة العربية ، الألمانية والإنكليزية والفرنسية والفنلندية ، إلى جانب معرفته بالعبرية والآرامية، بعد ألمانيا تابع دراسته في جامعة أريزونا في الولايات المتحدة الأمريكية لمدة سنتين، أسس (دار التراث) و(دار المختار) وأصدر سلسلة من الموسوعات العربية أهمها : تاريخنا ، وبهجة المعرفة، من كتبه : إسلام ضد الإسلام ، والإسلام في الأسر ، وصوت الناس ، وفرسان بلا معركة ، ومن هنا إلى مكة، وتوفي في جنيف يوم الثلاثاء ١٥ تشرين الثاني ١٩٩٥ ودفن في موطنه بنغازي.اهـ .. [مجلة الناقد، العدد الثالث والثمانون أيار ١٩٩٥م : ٩].

(2) الصادق النيهوم ، إسلام ضد الإسلام ، رياض الريس للكتب والنشر، لندن ، قبرص عام ١٩٩٤م : ٢١٠ـ٢١١.

الحكمة من تعدد الزوجات :

١ ـ لما كان الإسلام رسالة إنسانية ، وكلف المسلمون بتبليغها للناس ، فلا يمكن لهم أن ينهضوا بهذه الرسالة إلا إذا كانت لهم دولة قوية ، بكل مقوماتها من الجندية والعلم والصناعة والزراعة والتجارة وغير ذلك من العناصر، ولا يتم ذلك إلا بكثرة الأفراد، ولهذا قيل : إنما العزة للكاثر.

وسبيل هذه الكثرة إنما هو الزواج ، والتعدد، ولما أدركت الدول الحديثة قيمة الكثرة العددية وآثارها في الإنتاج ، وفي الحروب ، وفي سعة النفوذ ، فعملت على زيادة عدد السكان ، بتشجيع الزواج والتعدد، وفطن الرحالة الألماني « **بول اشميد** » إلى الخصوبة في النسل لدى المسلمين ، واعتبر ذلك عنصراً من عناصر قوتهم ، واعترف بهذا في كتابه «**الإسلام قوة الغد**» عام ١٩٣٦م.

٢ ـ الأمة كثيراً ما تتعرض للجهاد والاستشهاد ، فتفقد عدداً كبيراً من الأفراد ، ولا بد من رعاية أرامل هؤلاء الذين استشهدوا ، ولا سبيل إلى حسن رعايتهن إلا بتزويجهن، وتعويض من فقدوا من الشهداء ، ويكون ذلك بالإكثار من النسل ، والتعدد من أسباب الكثرة.

٣ ـ غالباً ما يكون عدد الإناث أكثر من عدد الذكور ، وخاصة عقب الحروب ، وحتى في أحوال السلم ، نظراً لما يعانيه الرجال من الأعمال الشاقة التي تهبط بمستوى السن عند الرجال أكثر من الإناث، وهذه الزيادة توجب التعدد ، وإحصان العدد الزائد ، وإلا كان الانحراف واقتراف الرذيلة، فيفسد المجتمع وتنحل أخلاقه ، ولقد اضطرت بعض الدول كألمانيا إلى عقد مؤتمر تبحث مشكلة زيادة عدد النساء بعد الحرب، وطلب أهالي مدينة (**بون : عاصمة ألمانيا الغربية**) أن ينص في الدستور على إباحة تعدد الزوجات[1].

---

(1) السيد سابق ، فقه السنة ، دار الكتاب العربي بيروت : ١١٧ .

٤ـ استعداد الرجل للتناسل أكثر من استعداد المرأة، فهو مهيأ للعملية الجنسية منذ البلوغ إلى سن متأخرة، بينما المرأة لا تتهيأ لذلك مدة الحيض والنفاس وفي بعض ظروف الحمل والرضاع.

فإذا كانت الزوجة في هذه الأحوال عاجزة عن أداء الوظيفة الزوجية ، فماذا يصنع الرجل أثناء هذه الفترة ؟.

٥ـ قد تكون الزوجة عقيماً لا تلد ، أو مريضة مرضاً لا يرجى برؤها، ومع ذلك راغبة في استمرار الحياة الزوجية، والزوج راغب في إنجاب الأولاد وفي الزوجة التي تدبر شؤون المنزل.

٦ ـ قد يوجد عند بعض الرجال رغبة جنسية جامحة، فلا تشبعه امرأة واحدة[1].

إذن ليست الحكمة في تعدد الزوجات في الشريعة الإسلامية فقط إشباع طبائع غير عادية عند الرجال كما يظن **النيهوم**، بل هذا جزء يسير من الحِكَم المتعددة لتعدد الزوجات.

وكذلك لم يغفل الإسلام عن طبائع غير عادية عند النساء ، بل حفظ الإسلام النسل الشرعي الصحيح، ولئلا تنحل عرى الصلات الوثيقة بين الزوجين، وتتسرب عوامل الضعف والانحلال إلى النفوس، علاوة على ذلك حفظاً للمجتمع من انتشار الأمراض الخبيثة والفتاكة.

وهناك فتاة مغربية تدعى : **فاطمة المرنيسي** ، قد كتبت بالفرنسية كتاباً سمَّتْه وأسمته : «**الكيان النسوي في الإسلام**» فصبت جام غضبها على الإسلام ، واعتبرت أن الإسلام قد خنق الحرية الجنسية عند المرأة ، وتركها مباحة للرجل ، وتستشهد بآيات من القرآن الكريم ، حينما أباح الطلاق وتعدد الزوجات.

---

(1) المصدر السابق : ١١٨.

أقول لها ولكل من ينكر تعدد الزوجات : ما رأيكم في رجل امرأته مريضة أو سلبية لا تستجيب لرغبته ، أيطلقها أم يتخذ خليلة سرية ؟.

وما تقولون في رجل ينشد الذرية مع امرأة عاقر ؟ أتحرمونه النسل ؟ أتأمرونه بطلاق زوجته ؟ أم تبيحون له الزواج بثانية [1] ؟.

ثم ما تقولون في نساء لم تترك الحرب لهن إلا ربع عددهن من الرجال ، أتتركهونهن بلا عائل ؟.

ربما قلتم : ربما استطعن العمل لإعالة أنفسهن ؟

أقول : وهل هي أزمة طعام وشراب وكساء فقط أم هي أزمة ظمأ فطري جنسي ، لا يمكن الإغضاء عنه والصبر عليه طويلاً ؟

فهل نترك المرأة تغوص في بؤرة الفسق والفساد والفاحشة ، لتأتينا بأولاد السفاح ، وتنقل الأمراض الخبيثة ، أم نحصنها برجل يحفظ لها شرفها وصحتها ، وتأتي بالنسل السليم .

ومع هذا كله قيَّدنا الله تعالى في هذا الموضوع بقيود شديدة فقال سبحانه وتعالى : ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾[2] .

---

(1) ويفسر جمال الدين الأفغاني قوله تعالى : ﴿ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً ﴾ [سورة النساء : ٣] بأن الله تعالى قيَّد من خاف أن لا يعدل بالمرأة الواحدة ، وترك لمن يخشى أن لا يعدل ـ حتى مع الواحدة ـ عدم الزواج ، وهذا ما يستنتجه العقل ما دام يحمله العاقل ، ويقول به الحق والعدل .اهـ محمود أبو رية في كتابه: جمال الدين الأفغاني : ١١٠، و محمد المخزومي في كتابه : خاطرات جمال الدين الأفغاني : ١٠٤ .

(2) سورة النساء : ٣ .

وقال في موضع آخر : ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1].

فكأنه يقول لنا : في الحالات الطبيعية لا أنصح لكم إلا بواحدة لئلا تقعوا في الظلم ، وقد حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا .

إن الممارسات الخاطئة التي قمعت المرأة ، ولم تحفظ لها كرامتها وشرفها ، كما يدّعي أصحاب القراءة المعاصرة ، كلها تمَّت خارج دائرة الإسلام ، وضمن السراديب الملأى بالجهل والظلام[2].

وألغت القراءة الجديدة النِسب المحددة للميراث ، وذلك لمنافاتها العدل والمساواة بين الرجل والمرأة على حد زعمهم[3]، وبعضهم نفى أن تكون آيات الميراث من القرآن الكريم فقال : فإذا سأل سائل : هل آية الإرث من القرآن ؟ .. الجواب : لا ، هي ليست من القرآن[4] .

إن نفي آية من القرآن الكريم في غاية الإلحاد - والعياذ بالله تعالى - وغاية الشيطنة والأبلسة التي يوسوس بها إبليس اللعين ؟!![5] .

---

(1) سورة النساء : ١٢٩ .

(2) محمد محمود كالو : قضايا إسلامية ساخنة ، دار العلوم العربية للطباعة والنشر ، ٢٠٠٣م ، الطبعة الأولى : ١٣٣.

(3) عبد المجيد الشرفي : الإسلام بين الرسالة والتاريخ : ٨٢ وما بعدها، وله أيضاً : الإسلام والحداثة : ١٥٣ وما بعدها.

(4) محمد شحرور : الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، طبعة الأهالي ١٩٩٠م ، دمشق : ٣٧.

(5) محمد محمود كالو ، مسيرة التفسير بين الانحراف والاختلاف ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م : ٤٣.

واعتبر أصحاب القراءة الجديدة حجاب المرأة إهانة لها ومساً بكرامتها وتقييداً لحريتها ، فمنهم من اعتبره مفروضاً على نساء النبي ﷺ فقط دون غيرهم ، ومنهم من اعتبره راجعاً للعادات الاجتماعية فلا يناسب فرضه مع التطور الذي حصل في المجتمعات الحديثة المعاصرة ، ومنهم من يصرح بأن استقامة المرأة تغني عن ارتدائه ، وهذه الاستقامة أفضل من ارتداء الحجاب مع غياب السلوك الحسن.

ويشير **الصادق النيهوم** باستنكار إلى حجاب المرأة فيقول : كلمة عبد الله تشمل الأنثى ، إن إجهاض مبدأ السلطة الجماعية وليس الإسلام هو الذي أتاح للفقهاء أن يفتوا بوضع المرأة في كيس أسود مغلولة اليدين[1].

ويقول أيضاً : في هذا المجتمع الغائب ، تقضي المرأة عقوبة السجن المؤبد في زنزانة متنقلة باسم الحجاب ، وتداهمها أمراض السجناء علناً من العمى المبكر إلى التخلف العقلي ، لكن الشريعة الشفوية ، لا تسميها امرأة سجينة بل سيدة مصونة[2].

أما **محمد شحرور** فقد أدت قراءته التحريفية إلى القول بأن الجسد يقسم إلى قسمين :

قسم ظاهر بالخلق لذا قال: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾[3] ؛ فهذا يعني أن هناك بالضرورة زينة مخفية في جسد المرأة ،فالزينة الظاهرة هي

---

(1) الصادق النيهوم ، الإسلام في الأسر ، رياض الريس للكتب والنشر ، بيروت لندن قبرص ١٩٩١م : ٢٤.

(2) المصدر السابق: ٨٤.

(3) سورة النور : ٣١.

ما ظهر من جسد المرأة بالخلق أي أظهره الله عز وجل في خلقها كالرأس والبطن والظهر والرجلين واليدين ، ونحن نعلم أن الله خلق الرجل والمرأة عراة دون ملابس .

وقسم غير ظاهر بالخلق : أي أخفاه الله في بنية المرأة وتصميمها، هذا القسم المخفي هو الجيوب ، والجيب كما نعلم له طبقتان لا طبقة واحدة، لأن الأساس في جيب هو فعل «جوب» في اللسان العربي له أصل واحد وهو الخرق في الشيء، ومراجعة الكلام السؤال والجواب ، فالجيوب في المرأة لها طبقتان مع خرق وهي الفرج والثديين وما تحتهما وتحت الإبطين والأليتين وما بينهما ، هذه هي الجيوب يجب على المرأة المسلمة أن تغطيها لقوله تعالى : ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾[1] ولها أن تبدي ما سوى ذلك[2] .

لقد كان عبدة الأوثان إذا طافوا حول البيت خلعوا ثيابهم ، وقالوا : لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها ، وما عداه يلبسون ثياباً يواري سوءاتهم.

يقول المؤلف : إن ولادة الذكر والأنثى عراة دليل على إباحة إظهار جسد المرأة عارياً للنظارة كما خلقه الله ما عدا خمسة جيوب ، والسؤال هنا : لماذا لم يطبق المؤلف نظريته في الكشف على الرجل ، وإنما طبق نظريته على المرأة فقط ، علماً أن الله تعالى خلق الاثنين عراة ؟.

ولو كانت ولادة الذكر والأنثى عراة تقوم دليلاً على إباحة عريهما ، ولو بلغا مبالغ الرجال والنساء لما قال الله تعالى في آيتين متتابعتين ليس بينهما فاصل :

---

(1) سورة النور : ٣١.

(2) محمد شحرور : الكتاب والقرآن قراءة معاصرة : ٦٠٦ ـ ٦٠٧.

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآ ﴾[1]

ولو كان العري مباحاً في الإسلام ما سمَّاه الله «سَوْءة»، ولو كان العري مباحاً ما هرع آدم وحواء يغطيان سوءاتهما بورق الشجر[2].

إن الجيب هو طوق القميص الذي يُدخل منه الرأس عند لبسه، والجيب عند العامة (لا في كتاب الله تعالى) ما يشق في جانب الثوب له كيس صغير متصل بالشق توضع فيه الأشياء الخفيفة، حتى قالوا: اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب.

فيا عجباً كيف انقلب هذا الطوق عند المؤلف إبطين وفرجاً وأليتين !![3].

وفي عصر ترتفع فيه الأصوات منادية بحقوق المرأة، ماذا حققت القراءة المعاصرة للمرأة من حقوق، لدى قراءة النص الكريم من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[4] قراءة جديدة جاء هذا التنبيه الذي يقول فيه

---

(1) سورة الأعراف: ٢٦ ـ ٢٧.

(2) يوسف الصيداوي: بيضة الديك، نقد لغوي لكتاب: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، الطبعة الأولى: ٨٠.

(3) المصدر السابق: ٨٤، وماهر المنجد، الإشكالية المنهجية في الكتاب والقرآن دراسة ونقد، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م: ١٦١، ومنير محمد طاهر الشواف، تهافت القراءة المعاصرة، الشواف للنشر والدراسات، الطبعة الأولى ١٩٩٣م: ٥٧١.

(4) سورة الجمعة: ٩.

صاحبه : وهنا نريد أن ننبه إلى آية صلاة الجمعة حيث لم يرد أمر صريح في الكتاب حول الصلاة والذهاب إليها إلا صلاة الجمعة ، وذلك بأمره تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ﴾ الآية ، هنا الخطاب موجه للذكور والإناث على حد سواء، فعلى المرأة المسلمة كالرجل تماماً أن تكون حريصة على حضور صلاة الجمعة سافرة أم محجبة حسب أعراف بلدها ، وأن تضرب عرض الحائط احتكار الرجال لصلاة الجمعة، ولنلاحظ قوله تعالى : ﴿ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ ﴾ هنا الخطاب موجه للذكور والإناث على حد سواء أيضاً، فعلينا أن نفهم ذلك ونقبله من غير حرج[1] .

هذا ما أفرزته القراءة المعاصرة الجديدة للنص الكريم ، فهل جاء هذا في مصلحة المرأة ؟ .

وأنه تنبه إلى حق من حقوقها غفل عنه سلف الأمة وخلفها ، أم أنه إثقال لكاهلها بأمر لم يكلفها الله تعالى به ؟.

وهل هذا الفهم يتفق مع يسر الشريعة ومراعاتها لمصالح العباد ؟ فأيهما أيسر على المرأة وأليق بحالتها ووضعها ؟ .

وإلزامها بحضور صلاة الجمعة أم ترك ذلك لاختيارها ؟ .

وماذا يكون وضع بيتها وأولادها وحقوق زوجها ؟ ـ من تهيئة طعام أو ترتيب بيت أو رعاية صغار ـ إذا كانت ملزمة بحضور صلاة الجمعة كما ألزم بها الرجال ؟ فهل يصح بعد هذا وغيره إدراج إلزام المرأة بحضور صلاة الجمعة في هذا الفقه الجديد تحت شعار رعاية حقوق المرأة وواجباتها ؟.

---

(1) محمد شحرور : الكتاب والقرآن قراءة معاصرة : ٦٢٣.

ولدى مناقشة هذه القراءة الجديدة نجد أن الآية لا تدل على شيء من ذلك بل تشير إلى خلافه وذلك :

ـ أن قوله تعالى : ﴿ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ﴾ في آخر الآية المقصود به الرجال دون النساء، إذ من المعلوم أن المرأة لم تكن ـ غالباً ـ تتاجر بنفسها ، بل كانت تشارك رجلاً يتاجر بمالها ، ثم إن السياق يؤيد هذا ، فقد ذكر الله تعالى هنا ثلاث آيات ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[1] .

فقوله تعالى: ﴿فَٱنتَشِرُواْ﴾ وقوله ﴿وَتَرَكُوكَ﴾ خاص بالرجال كما هو بيّن ، لأنه لو كانت النساء مخاطبات بالانتشار في الأسواق ، لكان هذا مناقضاً لندب التزامهن بيوتهن والتقليل من الخروج ما أمكن ، قال الله تعالى :﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾[2] ناهيك أن الانتشار في الأرض عام ، فهو يعني السفر أيضاً ، يؤكده قوله تعالى بعدها ﴿ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾، ثم إن الذين تركوا الصلاة خلف رسول الله ﷺ إنما هم التجار من الرجال كما ثبت في سبب النزول وفيه : فثار الناس إلا اثني عشر رجلاً[3] .

---

(1) سورة الجمعة : ٩ ـ ١٠ ـ ١١.

(2) سورة الأحزاب : ٣٣.

(3) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أقبلت عير يوم الجمعة، ونحن مع النبي ﷺ ، فثار الناس إلا اثني عشر رجلاً، فأنزل الله: ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ﴾ رواه البخاري في كتاب التفسير باب ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ﴾ برقم : ٤٨٩٩.

وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ وإن كان في أصله يعم المكلفين من الرجال والنساء ، إلا أن السنة خصصته هنا بالرجال ، كما أخرجت المرضى والزمنى والمسافرين والعبيد ومن لا يستطيع السعي إليها [1] وأن الإجماع منعقد على أن لا جمعة على النساء [2].

على أن قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ لا يفيد العموم دائماً ، فقد يراد به الرجال خاصة ،كما في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ [3] .. إن الذي أدى إلى هذا الفهم السيئ ، إنما هو التحلل من الضوابط ، التي منها ـ إضافة إلى ما تقدم ـ **عدم الرجوع إلى السنة المطهرة** التي هي شارحة للقرآن الكريم ، والتي طلب الله تعالى منا الرجوع إليها بقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [4] ، وقدثبت في السنة أن صلاة الجمعة واجبة على الرجال دون النساء كما مرَّ آنفاً .

---

(1) عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة إلا مريض أو مسافر أو امرأة أو صبي أو مملوك فمن استغنى بلهو أو تجارة استغنى الله عنه والله غني حميد** » خرَّجه الدارقطني .اهـ [انظر محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي : الجامع لأحكام القرآن : ١٨ / ١٠٣].

(2) انظر : أبو إسحاق الفيروز أبادي الشيرازي : المهذب في الفقه الشافعي : ١ / ١١٦ ، ومحمد ابن إبراهيم بن المنذر : الإجماع : ٢٦.

(3) سورة النساء : ١٩ .

(4) سورة النحل : ٤٤ .

وعدم الرجوع إلى السنة وادعاء الاكتفاء بالقرآن، يؤدي إلى تخبط كبير في أحكام الشرع، مع أنه مخالف للقرآن الكريم الذي يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾[1].

وعنْ المِقْدَام بنِ مَعْدِ يكَرِبَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَلا هَلْ عَسَى رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الْحَدِيثُ عَنّي وَهُوَ مُتّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ، فَيَقُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ الله، فَمَا وَجَدْنَا فِيه حَلاَلاً اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيه حَرَاماً حَرّمْنَاهُ، وَإِنّ مَا حَرّمَ رَسُولُ الله ﷺ كَمَا حَرّمَ الله**»[2]

وقوله: (... **احتكار الرجال لصلاة الجمعة**): غير صحيح، فالمرأة لا تمنع من حضور صلاة الجمعة إنْ شاءت، إلا أن ذلك ليس لازماً عليها.

ثم لا يخفى على المتبصرين أن ظاهر كلامهم الحرص على تعلم المرأة أحكام دينها، وباطنه تشجيعها على الخروج من بيتها ـ سافرة أو متحجبة ـ وهذا

---

(1) سورة الحشر: ٧.

(2) رواه الترمذي في كتاب العلم باب ما نُهي عنه أنه يُقال عند حديث رسول الله ﷺ رقم الحديث:٢٨٠٢ قال أبو العلى محمد عبد الرحمن المباركفوري في تحفة الأحوذي: وهذا الحديث دليل من دلائل النبوة وعلامة من علاماتها فقد وقع ما أخبر به فإن رجلاً قد خرج في الفنجاب من إقليم الهند وسمى نفسه بأهل القرآن وشتان بينه وبين أهل القرآن بل هو من أهل الإلحاد، وكان قبل ذلك من الصالحين فأضله الشيطان وأغواه وأبعده عن الصراط المستقيم، فتفوه بما لا يتكلم به أهل الإسلام فأطال لسانه في رد الأحاديث النبوية بأسرها رداً بليغاً، وقال هذه كلها مكذوبة ومفتريات على الله تعالى وإنما يجب العمل على القرآن العظيم فقط دون أحاديث النبي ﷺ، وإن كانت صحيحة متواترة، ومن عمل على غير القرآن فهو داخل تحت قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، وغير ذلك من أقواله الكفرية، وتبعه على ذلك كثير من الجهال، وجعلوه إماماً، وقد أفتى علماء العصر بكفره وإلحاده وخرجوه عن دائرة الإسلام والأمر كما قالوا.

مقصودهم وهدفهم [1].

وألغت القراءة الجديدة العبادات من صلاة وصيام وحج وزكاة في ضوابطها وحدودها التي استقرت عليها عند المسلمين، وتركها للمسلم يفهمها ويمارسها بالكيفية التي يراها مناسبة لظروفه [2].

يقول **محمد توفيق صدقي**[3]: لا يجب على الأمة الإسلامية في جميع الأزمنة والأمكنة القيام بما تواتر عن النبي ﷺ أنه فعله وأمر به، إن لم يرد له ذكر في القرآن.

---

(1) وهذا الذي يدعون إليه وقع فعلاً، فلأول مرة في التاريخ، في يوم الجمعة ١٨ مارس / آذار ٢٠٠٥ م قامت الدكتورة **أمينة عبد الودود**: أستاذة الدراسات الإسلامية بجامعة فيرجينيا كومنولث الأمريكية، بإلقاء خطبة الجمعة وإمامة الصلاة التي حضرها زهاء ٥٠ رجلاً وامرأة، اصطفوا جنباً إلى جنب، تجدر الإشارة إلى أن الدكتورة أمينة عبد الودود كانت قد ألفت كتاباً بعنوان (**القرآن والمرأة**) تناولت فيه قراءة للنصوص القرآنية من خلال وجهة نظر نسائية تطرح فيها (حق المرأة في إمامة المسلمين) وترى أنه خلال الأبحاث التي قامت بها (أنه لا يوجد في سلوكيات النبي محمد ﷺ ما يمنع أن تؤم المرأة المسلمين رجالاً ونساء)، ومن المعلوم أن تقدم المرأة على الرجل في الصف مما يبطل صلاة الرجل، فكيف بهما في صف واحد ؟!! فلماذا هذه الجرأة على الإسلام ؟ لم أسمع في أية شريعة أخرى امرأة تقود الصلاة، فمثلاً لم تصبح المرأة (بابا) فيما سبق، وحتى لم تبلغ درجة الكاردينال أو بطريرك، ولا أذكر وجود حاخام من النساء، بل يعتبر اليهود المرأة نجسة، ولا أتخيل أن أقف في الصلاة وإمامي امرأة تركع وتسجد، ولو حدث ذلك فأنا أضمن أن كل الشباب سيصلون في المساجد ولكن خلف القارئات الأجمل ؟ فسبحان الله !! عش رجباً ترى عجباً.

(2) راجع شرحاً وافياً لهذه المعاني المتعلقة بالعبادات في : عبد المجيد الشرفي : الإسلام بين الرسالة والتاريخ : ٥٩ وما بعدها.

(3) **محمد توفيق صدقي** (١٢٩٨هـ، ١٣٣٨هـ) الطبيب بمصلحة السجون بالقاهرة، الذي ينكر السنة، والذي كتب مقالاً بعنوان : (**الإسلام هو القرآن وحده**) ونشر في مجلة المنار، عدد ٩ سنة : ١٩٠٦، وذهب فيه مذهباً تأويلياً، وقال : لا يجب القيام بما تواتر عن النبي ﷺ إن لم يرد له ذكر في القرآن، وأثنى محمد رشيد رضا عليه في العدد (٢١٢) من المنار قائلاً :فإني أعرفه سليم العقيدة، مؤمناً بالألوهية والرسالة على وفق ما عليه جماعة المسلمين، مؤدياً للفريضة.

وبناء على هذا لا يجب على المسلم إلا أن يصلي ركعتين على الأقل وله أن يزيد ما شاء دون أن يخرج عن حد الاعتدال.

ويبدي **عبد المجيد الشرفي** إعجاباً بهذا الرأي فيقول : إن هذا الموقف جدير بالانتباه ؛ لأنه عبر عنه في بداية هذا القرآن ومن موقف المؤمن لا الجاحد ، ولكن من الواضح أنه كان سابقاً لزمانه فلم يسايره فيه المصلحون المسلمون على اختلاف مشاربهم .

ونادى **هشام جعيط** [1] سنة ١٩٦٦ في التلفزيون التونسي وفي مجلة الإذاعة التونسية بإتاحة التأويل والاجتهاد في ما سماه بالأمور الجذرية كالطقوس (يعني العبادات) قائلاً : نرى وجوب تقويم مفهوم الاجتهاد وفهم الأمور حق فهمها ، لأن دراسة العلم التاريخي الحاضر حققت لنا مثلاً بأن الطقوس الدينية في الحقيقة تكوَّنت بعد موت النبي في القرنين الأولين بعد الهجرة .. يمكن بلا شك تحوير الطقوس واختصارها من ناحية جذرية ، وهذا يستوجب سلطة روحية بدون شك [2].

وقد علَّق **عبد المجيد الشرفي** على السلطة الروحية المذكورة بأن من الواضح أنه يشير بإعجاب إلى المجمع الفاتيكاني في المسيحية الكاثوليكية وقد عقد

---

(1) **هشام جعيط** : (١٩٣٥ م ـ .....) كاتب تونسي معاصر وأستاذ في جامعة تونس ، حصل على الدكتوراه في التاريخ الإسلامي من جامعة باريس ١٩٨١م من مؤلفاته : الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي ١٩٧٤م ، وأوربا والإسلام ١٩٧٨م ، والفتنة الكبرى ١٩٨٩م ، وأزمة الثقافة الإسلامية ٢٠٠١م، وفي السيرة النبوية ـ١ـ الوحي والقرآن والنبوة ١٩٩٩م.

(2) محمد بن الهادي أبو الأجفان ، القراءة الجديدة لنصوص الوحي ومناقشة مقولاتها ، بحث مقدم في منظمة المؤتمر الإسلامي ـ مؤتمر مجمع الفقه الإسلامي ـ الدورة السادسة عشرة ٩ ـ١٤ / ٤ / ٢٠٠٥م في دبي (دولة الإمارات العربية المتحدة).

اجتماعه الثاني سنة ١٩٦٥ م [1] .

ويزعم **عبد المجيد الشرفي** أن الصلاة تغيرت ولم تبق كما كانت في عهد النبي ﷺ [2].

ومما قاله **عبد المجيد الشرفي** فيما يتعلق بعموم العبادات وبالصلاة على وجه الخصوص : تكفي نظرة سريعة على ما عجت به الموسوعات الفقهية في كل المذاهب لإدراك البون الشاسع بين التفاصيل المدرجة فيها من جهة ، ومجرد حث القرآن على إقامة الصلاة من جهة أخرى ، ورغم ذلك فلا تتعلق تلك التفاصيل إلا بما يمكن القيام به في صنف واحد من المجتمعات زال الآن أو هو في طريق الزوال ، من حيث طرق العيش وأنماط الإنتاج التي يتميَّز بها [3].

أما **الحج** فقد أعلن **عبد المجيد الشرفي** رأياً غريباً في حكمة تشريع الرمي والهدي في الحج فقال : إن ذلك تفريغ للمكبوت ، وتصريف للعنف في اتجاه بريء ، ولعل الإنسان محتاج إلى ذلك احتياجاً دائماً [4].

وانتهت هذه القراءة إلى ما يشبه إباحة بعض أنواع من الزنا وإخراجه من دائرة التجريم الذي أثبتته قطعيات النصوص ، فقال أحد المؤولة الجدد :

« يتحتّم حصر معنى الزنا في العلاقة الجنسية بين رجل وامرأة أحدهما متزوج ؛ لأن هذه العلاقة فقط يمكن اعتبارها جناية »[5] .

وبناء على ذلك فإن العلاقة الجنسية بين الخطيبيْن مثلاً لا تعتبر زنا ، بل هي أقرب إلى السلوك الإنساني العادي .

---

(1) عبد المجيد الشرفي : الإسلام بين الرسالة والتاريخ: ٨٠ ـ ٨٣ وما فيها من الهوامش ، واستعرض وانتقد كثيراً من المسائل وتفاصيلها بدون طائل كمسألة المسح على الخفين.

(2) عبد المجيد الشرفي : الإسلام بين الرسالة والتاريخ : ٥٢

(3) المصدر السابق : ٦٢.

(4) المصدر السابق : ٦٥ .

(5) محمد الشرفي : الإسلام والحرية ، الالتباس التاريخي : ١١٦ .

الباب الثاني

الضوابط والخصائص

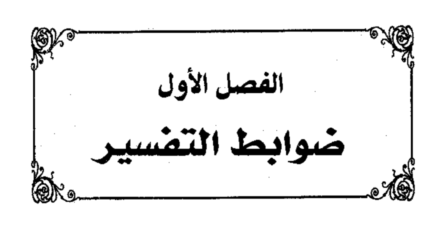
ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : ضوابط التفسير .

الفصل الثاني: خصائص النص الديني.

الفصل الثالث: خصائص ظاهرة القراءة المعاصرة.





الفصل الأول
ضوابط التفسير

ضوابط التفسير :

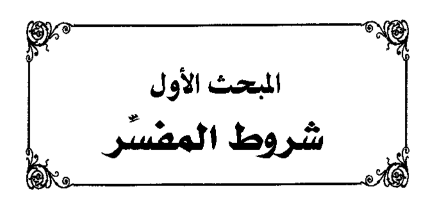
هناك ضوابط لابدَّ منها في التعامل مع القرآن الكريم تفسيراً وتأويلاً ، وذلك حتى يكون التفسير قائماً على أسس متينة ، من آثار نقلية صادقة ، وركائز لغوية صحيحة ، وإلا كان الهوى والضلال ، ولذلك نعى **محمد حسين الذهبي** على بعض المفسرين المحدثين تحريفهم لكتاب الله وإلحادهم فيه ، فقال : «اندفع هؤلاء النفر من المؤولة إلى ما ذهبوا إليه من أفهام زائفة في القرآن بعوامل مختلفة ، فمنهم من حسب أن التجديد ولو بتحريف كتاب الله سبب لظهوره وشهرته ، فأخذ يثور على قدماء المفسرين ، ويرميهم جميعاً بالسفه والغفلة ، ثم طلع على الناس بجديده في تفسير كتاب الله ، جديد لا تقره لغة القرآن ، ولا يقوم على أصل من الدين» [1] .

ثم بيَّن سبب ضلال هؤلاء قائلاً : «هؤلاء جميعاً خاضوا في القرآن على عماية ، فلم يراعوا في فهم قوانينه البلاغة ، ولم يدخلوا إلى تفسيره من باب السنة الصحيحة ، وحسبوا أنهم أرضوا ضمائرهم ، وأنصفوا البحث الحر ، والرأي الطليق»[2] .

---

(1) محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ، دار الكتب الحديثة : ٢ / ٥٢٢ .

(2) المصدر السابق : ٢ / ٥٢٣ .



المبحث الأول
شروط المفسِّر

لابدَّ لمفسِّر القرآن الكريم من علوم يبرع بها ويتعاطاها لأنه يتعامل مع كتاب مقدس فيه كلام الله عز وجل ، فيجب عليه أن يكون في غاية الحيطة والحذر ، وأن يلم بعلوم اللغة والدين ،وأن لا يقول برأيه بمجرد الهوى ، فلا بدَّ من الاستنباط الذي تعاضده الأدلة ، فالعلم كما يقول شيخ الإسلام **ابن تيمية** : إما نقل مصدق ، أو استدلال محقق [1] .

وقد حدد **الطوفي الصرصري** [2] هذه العلوم بما يلي:

١ـ علم الغريب.

٢ـ علم التصريف.

٣ـ علم الإعراب.

٤ـ علم القراءات .

---

(1) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني ، مجموع الفتاوى ، عبد الرحمن بن قاسم النجدي ،الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ : ١٣ / ٣٤٤.

(2) **الطوفي الصرصري** (١٢٥٩م ـ ١٣١٦م) سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري ، أبو الربيع ، نجم الدين، فقيه حنبلي ، ولد بقرية طوف ـ أو طوفا (من أعمال صرصر في العراق) دخل بغداد ستة ٦٩١ هـ ، ورحل إلى دمشق سنة ٧٠٤هـ ، وزار مصر ، وجاور بالحرمين ، وتوفي في بلد الخليل بفلسطين ، له : (بغية السائل في أمهات المسائل) في أصول الدين ، و (الإكسير في علم التفسير) و (الرياض النواضر في الأشباه والنظائر) و (معراج الوصول) في أصول الفقه ، و(الذريعة في معرفة أسرار الشريعة) و (تحفة أهل الأدب في معرفة لسان العرب) و(العذاب الواصب على أرواح النواصب) حُبس من أجله ، وطيف به في القاهرة، و(تعاليق على الأناجيل).

٥ـ علم الموجودات أو علم الحكمة .

٦ـ علم أصول الدين.

٧ ـ علم التاريخ .

٨ ـ علم الوعظ .

٩ ـ علم الناسخ والمنسوخ .

١٠ ـ علم أصول الفقه .

١١ ـ علم الفقه .

١٢ ـ علم المعاني .

١٣ ـ علم البيان (1) .

ويرى **السمين الحلبي** (2) أن أوثق العلوم بكتاب الله بعد تجويد ألفاظه بالتلاوة، خمسة علوم ، وهي :

١ ـ علم الإعراب .

٢ ـ وعلم التصريف .

٣ـ وعلم اللغة .

٤ ـ وعلم المعاني .

---

(1) أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري، الإكسير في علم التفسير ، تحقيق : عبد القادر حسين ، مكتبة الآداب ، القاهرة : ١٧ ـ ٢٢.

(2) **السمين الحلبي** (..... ـ ١٣٥٥ م) أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي ، أبو العباس ، شهاب الدين المعروف بالسمين ، مفسر وعالم بالعربية والقراءات ، شافعي من حلب ، استقر واشتهر في القاهرة ، من كتبه : (تفسير القرآن) عشرون جزءاً ، و(القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز) و (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون) و(عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ) و (شرح الشاطبية) في القراءات ، قال ابن الجزري : لم يُسبق إلى مثله .

٥ ـ وعلم البيان [1] .

وقد ذكر **السيوطي** ـ رحمه الله تعالى ـ خمسة عشر علماً للتفسير فقال: يجوز تفسيره لمن كان جامعاً للعلوم التي يحتاج المفسر إليها وهي **خمسة عشر** علماً :

أحدها : اللغة لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع .

قال **مجاهد** : لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب ، وتقدم قول الإمام مالك في ذلك[2]، ولا يكفي في حقه معرفة اليسير منها ، فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر .

الثاني : النحو لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب فلا بد من اعتباره .

أخرج أبو عبيد عن الحسن أنه سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ويقيم بها قراءته ؟ فقال حسن : فتعلمها فإن الرجل يقرأ الآية فيعيى بوجهها فيهلك فيها .

الثالث : التصريف لأن به تعرف الأبنية والصيغ .

قال **ابن فارس** : ومن فاته علمه فاته المعظم لأن **«وجد»** مثلاً كلمة مبهمة فإذا صرفناها اتضحت بمصادرها .

---

(1) أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي المعروف بالسمين ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، تحقيق : أحمد الخراط ، دار القلم دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ١٩٨٦م : ١ / ٤ .

(2) قال الإمام مالك : (لا أوتى برجل غير عالم بلغات العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً) .اهـ [شعب الإيمان ٢ / ٤٢٥ برقم ٢٢٨٧] .

وقال **الزمخشري** : من بدع التفاسير قول من قال : إن « **الإمام** » في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ ﴾[1] جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم قال : وهذا غلط أوجبه جهل بالتصريف فإن أماً لا تجمع على إمام .

الرابع : الاشتقاق لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهم، كالمسيح هل هو من السياحة أو المسح .

الخامس والسادس والسابع : المعاني والبيان والبديع لأنه يعرف بالأول : خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى ، وبالثاني : خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالثالث : وجوه تحسين الكلام .

وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة، وهي من أعظم أركان المفسر؛ لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز ، وإنما يدرك بهذه العلوم .

وقال **السكاكي** : اعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه ، كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها ، وكالملاحة ولا طريق إلى تحصيله لغير ذوي الفطر السليمة إلا التمرن على علمي المعاني والبيان .

وقال **ابن أبي الحديد** : اعلم أن معرفة الفصيح والأفصح والرشيق والأرشق من الكلام أمر لا يدرك إلا بالذوق ولا يمكن إقامة الدلالة عليه وهو بمنزلة جاريتين إحداهما بيضاء مشربة بحمرة دقيقة الشفتين نقية الثغر كحلاء العينين أسيلة الخد دقيقة الأنف معتدلة القامة والأخرى دونها في هذه الصفات والمحاسن لكنها أحلى في العيون والقلوب منها ولا يُدرى سبب ذلك ولكنه

---

(1) سورة الإسراء : ٧١ .

يعرف بالذوق والمشاهدة ولا يمكن تعليله وهكذا الكلام نعم يبقى الفرق بين الوصفَيْن أنّ حسْنَ الوجوه وملاحتها وتفضيل بعضها على بعض يدركه كل من له عين صحيحة وأما الكلام فلا يدرك إلا بالذوق وليس كل من اشتغل بالنحو واللغة والفقه يكون من أهل الذوق وممن يصلح لانتقاد الكلام وإنما أهل الذوق : هم الذين اشتغلوا بعلم البيان وراضوا أنفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر وصارت لهم بذلك دربة وملكة تامة فإلى أولئك ينبغي أن يرجع في معرفة الكلام وفضل بعضه على بعض.

وقال **الزمخشري** : من حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز أن يتعاهد بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها ، وما وقع به التحدي سليماً من القادح .

وقال غيره : معرفة هذه الصناعة بأوضاعها هي عمدة التفسير المطلع على عجائب كلام الله تعالى وهي قاعدة الفصاحة وواسطة عقد البلاغة .

الثامن : علم القراءات لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض .

التاسع : أصول الدين بما في القرآن من الآيات الدالة بظاهرها على ما لا يجوز على الله تعالى فالأصولي يؤول ذلك ويستدل على ما يستحيل وما يجب وما يجوز .

العاشر : أصول الفقه إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط .

الحادي عشر : أسباب النزول والقصص إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه .

الثاني عشر : الناسخ والمنسوخ ليعلم المحكم من غيره .

الثالث عشر : الفقه .

الرابع عشر : الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم .

الخامس عشر : علم الموهبة ، وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم وإليه الإشارة بحديث « **مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللهُ عِلْمَ مِا لَمْ يَعْلَمْ** »[1].

قال **ابن أبي الدنيا** : وعلوم القرآن وما يستنبط منه بحر لا ساحل له قال : فهذه العلوم التي هي كالآلة للمفسر لا يكون مفسراً إلا بتحصيلها فمن فسر بدونها كان مفسراً بالرأي المنهي عنه وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسراً بالرأي المنهي عنه قال : والصحابة والتابعون كان عندهم علوم العربية بالطبع لا بالاكتساب واستفادوا العلوم الأخرى من النبي ﷺ[2].

وعلم البديع يعتبره المتقدمون من العلماء تابعاً للمعاني والبيان ، ولذلك لم يذكره **عبد القادر الجرجاني**[3] **والسكاكي**[4] بشكل مستقل.

وعلم **أسباب النزول** يندرج مع علم التاريخ والآثار والجغرافية والسيرة، لذلك إذا تدبرت دعاء سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام في قوله تعالى:

---

(1) قال الحافظ العراقي : أخرجه أبو نعيم في الحلية عن أنس وضعفه . اهـ المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار "بذيل الإحياء" : ١ / ٨٧ ، وقال العجلوني : أخرجه أبو نعيم عن أنس . اهـ .. [كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس : ٢ / ٣٤٧].

(2) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، دار الندوة الجديدة ، بيروت : ٢ / ١٨٠ .

(3) **عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني** (..... - ١٠٧٨م) : واضع أصول البلاغة ، كان من أئمة اللغة ، من جرجان (بين طبرستان وخراسان) له شعر رقيق ، من كتبه : (أسرار البلاغة) و (دلائل الإعجاز) و (إعجاز القرآن).

(4) **يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي** الخوارزمي الحنفي (١١٦٠م - ١٢٢٩م) أبو يعقوب سراج الدين ، عالم بالعربية والأدب ، مولده ووفاته بخوارزم ، من كتبه : (مفتاح العلوم) و(رسالة في علم المناظرة).

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾[1]، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾[2] .

لوجدت أن التشابه كاد أن يكون تماثلاً تاماً، لو لم يرد اختلاف بين لفظ «**بلداً**» ، ولفظ «**البلد**»؛ فهل تؤدي الجملتان معنى واحداً بالرغم من وجود هذا الاختلاف ؟.

إن من يتدبر هاتين الآيتين ، ويعود إلى مراجع آثارية وتاريخية وجغرافية ولغوية ، يلاحظ أن المكان الذي أشار إليه سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام في آية سورة البقرة «**هذا بلداً**» بكة وهو مكان بيت الله الحرام ، وأن الإشارة في آية سورة إبراهيم «**هذا البلد**» المعهود المسمَّى «**مكة**» آمناً، فالإشارة هنا موجهة إلى مكة المكرمة ، التي كانت موجودة دون أن يكون هنالك اتصال بين مساكنها وبين مكان البيت.

لأن موقع بيت الله الحرام ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴾[3] والذي سُمي فيما بعد بوادي السيل ، وبوادي إبراهيم ، وهو غير الموقع الذي نشأت فيه مكة ، حيث كانت تحيط بذلك الموقع وديان خصيبة - ولا زالت - أشهرها ثلاثة هي : وادي ذي طوى ، ووادي بلدح ، ووادي فاطمة ، وكان أقرب الوديان إلى وادي إبراهيم هو وادي ذي طوى ، الذي نشأت فيه نواة مكة المكرمة[4].

وأما **علم الموهبة** : فهو عطاء من الله وليس علماً بحدِّ ذاته، ولكن تصقله

(1) سورة البقرة : ١٢٦.

(2) سورة إبراهيم : ٣٥.

(3) سورة إبراهيم : ٣٧.

(4) صلاح الدين خليل الكلاس ، التشابه منهج القرآن في فهم القرآن ، الكتاب الأول من سلسلة التراث والمعاصرة أمام محكمة الأصالة ، دار القادري ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م : ٥ من المقدمة.

الدربة والممارسة.

قال **السيوطي** : ولعلك تستشكل علم الموهبة ، وتقول : هذا شيء ليس في قدرة الإنسان ، وليس كما ظننت من الإشكال ، والطريق في تحصيله ، ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد[1] .

ولذلك فسَّر بعضهم قوله تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا ﴾[2] بأن هذه أوان، دقتها وسعتها من عند الله ، ينزل المطر فيملأ الآنية الصغيرة ، والآنية الكبيرة .. فهناك من يستطيع أن يفهم في الكتاب أو في السنة أفهاماً يُهدى إليها ، ما يراها غيره، بل يستغربها عندما تساق إليه، وهو إنما أخذها من الكتاب ؛ فالتطبيق الحسن يجيء من فهم جيد ، ثم تنزيل هذا الفهم على واقع الحياة[3] .

ولا بدَّ للمفسِّر من **صحة الاعتقاد ولزوم سنة الدين** ، فإن من كان مغموصاً عليه في دينه لا يؤتمن على الدنيا فكيف على الدين ، ثم لا يؤتمن في الدين على الإخبار عن عالمٍ، فكيف يؤتمن في الإخبار عن أسرار الله تعالى.

ومن أهل البدع اعتقدوا مذاهب باطلة وعمدوا إلى القرآن فتأولوه على رأيهم ، وصنفوا تفاسير على أصول مذهبهم مثل تفسير **عبد الرحمن بن كيسان الأصم**[4]

---

(1) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، دار الندوة الجديدة ، بيروت : ٢ / ١٨١ .

(2) سورة الرعد : ١٧.

(3) محمد الغزالي ، كيف نتعامل مع القرآن ، في مدارسة أجراها عمر عبيد حسنة ، من مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الكتاب الخامس من سلسلة قضايا الفكر الإسلامي ، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ ١٩٩٢م : ١٩٤.

(4) عبد الرحمن بن كيسان ، أبو بكر الأصم ، فقيه معتزلي مفسر ، قال ابن المرتضى : كان من أفصح الناس وأفقههم وأورعهم ، خلا أنه كان يخطِّئ علياً عليه السلام في كثير من أفعاله ويصوِّب معاوية في بعض أفعاله، وله تفسير الأصول .اهـ .. [خير الدين الزركلي : الأعلام : ٣ / ٣٢٣].

والجبائي[1] **وعبد الجبار**[2] **والرماني**[3] **والزمخشري**[4] وأمثالهم، ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة ، يدس البدع في كلامه ، وأكثر الناس لا يعلمون، كصاحب الكشاف ونحوه .

وبالغ شيخ الإسلام **ابن تيمية** في النكير على من فسَّر القرآن برأيه من أهل البدع ، حيث قال : من فسر القرآن أو الحديث ، وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين ، فهو مفتر على الله ، ملحد في آيات الله ، محرف للكلم عن مواضعه ، وهذا فتح لباب الزندقة والإلحاد ، وهو معلوم البطلان بالاضطرار في دين الإسلام[5] .

---

(1) **محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي** أبو علي : من أئمة المعتزلة ، ورئيس علماء الكلام في عصره ، وإليه نسبة الطائفة الجبائية ، له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب ، نسبته إلى (جبى) من قرى البصرة ، دفن بجبى ، له تفسير حافل مطول ، رد عليه الأشعري .اهـ خير الدين الزركلي : الأعلام :٦ / ٢٥٦.

(2) **عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني** الأسدابادي ، أبو الحسين ، قاض أصولي ، كان شيخ المعتزلة في عصره ،ولي القضاء بالري ومات فيها ، له تصانيف كثيرة منها : تنزيه القرآن عن المطاعن .اهـ .. [خير الدين الزركلي : الأعلام : ٣ / ٢٧٣].

(3) **علي بن عيسى أبو الحسن الرماني** باحث معتزلي مفسِّر ، من كبار النحاة ، أصله من سامراء ، ومولده ووفاته ببغداد ، له نحو مائة مصنف منها كتاب التفسير . اهـ .. [خير الدين الزركلي : الأعلام : ٤ / ٣١٧].

(4) **محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري** ، جار الله ، أبو القاسم : من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب ، ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلقب بجار الله ، وتنقل في البلدان ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفي فيها ، أشهر كتبه الكشاف في تفسير القرآن ، وكان معتزلي المذهب ، مجاهراً شديد الإنكار على المتصوفة ، أكثر من التشنيع عليهم في الكشاف وغيره .اهـ .. [خير الدين الزركلي : الأعلام : ٧ / ١٧٨].

(5) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني ، مجموع الفتاوى ، عبد الرحمن بن قاسم النجدي ،الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ : ١٣ / ٢٤٣.

قال الإمام **الزركشي**[1] : واعلم أنه لا يحصل للناظر فهمُ معاني الوحي حقيقة ، ولا يَظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة وفي قلبه بدعة أو إصرار على ذنب ، أو في قلبه كبر أو هوى ، أو حب الدنيا ، أو يكون غير متحقق الإيمان، أو ضعيف التحقيق، أو معتمداً على قول مفسر ليس عنده إلا علمٌ بظاهر، أو يكون راجعاً إلى معقوله ، وهذه كلها حجب وموانع ، بعضها آكد من بعض[2] .

ويشترط في المفسِّر أيضاً **صحة المقصد** فيما يقول ، ولا يخلص له القصد إلا إذا زهد في الدنيا ، لأنه إذا رغب فيها لم يؤمن أن يتوسل به إلى غرض يصده عن صواب قصده ، ويفسد عليه صحة عمله.

وأن يكون **ممتلئاً من عدة الإعراب** لا يلتبس عليه اختلاف وجوه الكلام، وفسر بعضهم قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ ﴾[3] إنه ملازمة قول : الله ، ولم يدرِ الغبي أن هذه جملة حذف منها الخبر ، والتقدير : الله أنزله[4] .

ورحم الله الإمام **الشافعي** فقد أوضح أن أية قراءة صحيحة للنص الشرعي لابدَّ أن تصدر عن معرفة بجملة من الأدوات فقال : ولم يجعل الله لأحد بعد رسول الله أن يقول إلا من جهة علم مضى قبله، وجهة العلم بعدُ الكتابُ والسنةُ والإجماعُ والآثارُ، وما وصفتُ من القياس عليها.. ولا يقيس إلا من جمع الآلةَ التي له القياسُ بها، وهي العلم بأحكام كتاب الله: فرضِه، وأدبِه، وناسخِه، ومنسوخِه، وعامِّه، وخاصِّه، وإرشاده .

---

(1) **الإمام الزركشي** (٧٤٥هـ - ٧٩٤هـ) بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله **الزركشي**، أبو عبد الله ، تركي الأصل ، مصري المولد والوفاة، عالم فقيه ، أصولي شافعي ، وأديب فاضل ، من مؤلفاته : (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة) و(إعلام الساجد بأحكام المساجد) و (البرهان في علوم القرآن) و (اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة).

(2) الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن، تعليق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الفكر ، بيروت طبعة عام ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م : ٢ / ١٩٧.

(3) سورة الأنعام : ٩١ .

(4) انظر : جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن : ٢ / ١٧٦ وما بعدها.

ويَستدل على ما احتمل التأويل منه بسنن رسول الله ﷺ، فإذا لم يجد سنة فبإجماع المسلمين، فإن لم يكن إجماعٌ فبالقياس.

ولا يكون لأحد أن يقيس حتى يكون عالماً بما مضى قبله من السنن، وأقاويل السلف، وإجماع الناس، واختلافهم، ولسان العرب.

ولا يكون له أن يقيس حتى يكون صحيح العقل، وحتى يفرِّق بين المشتبه، ولا يَعْجَلَ بالقول به دون التثبيت.

ولا يمتنع من الاستماع ممن خالفه، لأنه قد يتنبه بالاستماع لترك الغفلة، ويزدادُ به تثبيتاً فيما اعتقده من الصواب ، وعليه في ذلك بلوغُ غاية جهده، والإنصافُ من نفسه، حتى يعرف من أين قال ما يقول، وترك ما يترك.

ولا يكون بما قال أَعنَى منه بما خالفه، حتى يعرف فضل ما يصير إليه على ما يترك، إن شاء الله .

فأما مَن تمَّ عقله، ولم يكن عالماً بما وصفنا، فلا يحلُّ له أن يقول بقياس، وذلك أنه لا يعرف ما يقيس عليه، كما لا يحل لفقيه عاقل أن يقول في ثمن درهم ولا خبرة له بسوقه.

ومن كان عالماً بما وصفنا بالحفظ لا بحقيقة المعرفة: فليس له أن يقول أيضاً بقياس، لأنه قد يذهب عليه عَقْل المعاني.

وكذلك لو كان حافظاً مقصِّرَ العقلِ، أو مقصِّراً عن علم لسان العرب لم يكن له أن يقيس من قِبَلِ نقص عقله عن الآلة التي يجوز بها القياس.

ولا نقول يَسَع - هذا والله أعلم - أن يقول أبداً إلا اتباعاً ولا قياساً[1] .

وأما بالنسبة لعلم أصول الفقه ، فإن أهميته لا تخفى ذلك لأنه أم علوم الاجتهاد ، وأهم العلوم التي يحتاج إليه المجتهد[2] .

---

(1) محمد بن إدريس الشافعي : الرسالة : ٥٠٨-٥١١ .

(2) محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن فخر الدين الرازي: المحصول في علم الأصول: ٦ / ٢٥.

وقال **الشوكاني** : فإن هذا العلم هو عماد فسطاط الاجتهاد ،وأساسه الذي تقوم عليه أركان بنائه[1] .

وفي العصر الحديث اشترط العلماء شروطاً جديدة للمفسر، منها ما ذكره **محمد رشيد رضا** وهي : علم أحوال البشر ، والعلم بوجه هداية البشر كلهم بالقرآن[2].

كتاب الله بحره عميق ، وفهمه دقيق ، ولا يصل إلى فهمه إلا من تبحر في هذه العلوم ، ولو تأملنا في هذه العلوم وجدنا أنَّ نصْفها تقريباً يدور حول اللغة وعلومها ، وهذا يؤكد على أهمية اللغة العربية في فهم القرآن الكريم وتفسيره ، فهي مفتاح القرآن بلا ريب، ولذلك جعل كثير من العلماء والفقهاء تعلم العربية فرضاً على المسلمين.

قال **مجاهد** : لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب[3] .

وقال الإمام **مالك** : لا أوتى برجل غير عالم بلغات العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً[4].

وقال شيخ الإسلام **ابن تيمية** : وأيضاً فإن نفس اللغة العربية من الدين ، ومعرفتها فرض واجب ، فإن فهم الكتاب والسنة فرض ، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية ، **وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب**[5].

---

(1) محمد بن علي الشوكاني : إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول : ٢ / ٣٠١.

(2) محمد رشيد رضا ، تفسير المنار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢م : ١ / ٢٠-٢١.

(3) السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن : ٢ / ٤٧٧ .

(4) الإمام البيهقي في شعب الإيمان: ٢ / ٤٢٥ برقم (٢٢٨٧) .

(5) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، تحقيق : عصام حرستاني و محمد إبراهيم الزعلي ، دار الجيل بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م : ٢٤٢.

وهنا أود أن أنقل كلام الإمام **محمد طاهر بن عاشور**[1] فيما يتعلق بخطورة تفسير القرآن الكريم حيث يقول: إن واجب النصح في الدين والتنبيه إلى ما يغفل عنه المسلمون مما يحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم، قضى عليَّ أن أنبه إلى خطر أمر تفسير الكتاب، والقول فيه دون مستند من نقل صحيح عن أساطين المفسرين أو من إبداء تفسير أو تأويل من قائله، إذا كان القائل توفرت فيه شروط الضلاعة في العلوم؛ فقد رأينا تهافت كثير من الناس على الخوض في تفسير آيات من القرآن، فمنهم .. من يضع الآية ثم يركض في مجالات من أساليب المقالات تاركاً معنى الآية جانباً، وقد دلت شواهد الحال على ضعف كفاءة البعض لهذا العمل العلمي الجليل، فيجب على العاقل أن يعرف قدره وألا يتعدى طوره، وأن يرد الأشياء إلى أربابها، ويأتي البيوت من أبوابها[2].

(1) **محمد طاهر بن عاشور** (١٨٧٩م - ١٩٧٣م): ولد بالمرسى ضاحية من ضواحي العاصمة التونسية، ونشأ في بيئة علمية، التحق بجامع الزيتونة وأحرز على شهادة التطويع سنة ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م، أقبل على التدريس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية سنة ١٩٠٥م، والتحق بالقضاء سنة ١٩١١م فكان عضواً بالمحكمة العقارية وقاضياً مالكياً فشيخ الإسلام للمذهب المالكي سنة ١٩٣٢م، ثم سمي شيخاً لجامع الزيتونة في سنة ١٩٤٥م. أحيل إلى الراحة سنة ١٩٦٠م بسبب موقفه تجاه الحملة التي شنها بورقيبة يومئذ ضد فريضة الصيام في رمضان، شارك في إنشاء مجلة السعادة العظمى سنة ١٩٥٢م وهي أول مجلة تونسية مع صديقه العلامة الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله، أما كتبه ومؤلفاته فقد وصلت إلى الأربعين ومن أجلّها كتابه في التفسير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد في الكتاب المجيد) المعروف بـ (التحرير والتنوير)، وكتابه الثمين والفريد من نوعه (في مقاصد الشريعة الإسلامية)، و (أصول العلم الاجتماعي في الإسلام)، والوقف وآثاره في الإسلام، ونقد علمي لكتاب أصول الحكم.

(2) انظر: محمد الطاهر بن عاشور: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد في الكتاب المجيد، المعروف بـ (التحرير والتنوير): ٣١.

المبحث الثاني

شروط التجديد في التفسير

قال **محمد حسين الذهبي** في صدد جمود البحث في التفسير : لم يترك الأوائل للأواخر كبير جهد في تفسير كتاب الله ، والكشف عن معانيه ومراميه .. والذي يقرأ كتب التفسير على اختلاف ألوانها ، لا يداخله الشك في أن كل ما يتعلق بالتفسير قد وفاه هؤلاء الأقدمون حقه من البحث والتحقيق(1) .

ولا يعني هذا إغلاق باب التجديد في التفسير ، ونحن بدورنا يجب أن نبني على ما ذكره الأوائل ، ونستكمل ما تركوه ،فكم ترك الأوائل للأواخر في تفسير القرآن الكريم ، فهو باب كان وسيبقى مفتوحاً ، لأن القرآن الكريم مستوعب لكل العلوم وشتى العصور ، نعم التفسير بمجرد الرأي من غير أصل لا يجوز، أما الرأي الذي يسنده برهان ودليل فالحكم به في النوازل جائز.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ**»(2) قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

والحديث هنا يتوعد من قال في القرآن بغير علم ، أما المفسر الذي علم أدوات التفسير فإنه لم يقل بغير علم لذا خرج من الوعيد.

وعنه أيضاً عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «**اتَّقُوا الْحَدِيثَ عَنِّي إِلا مَا عَلِمْتُمْ فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ ، وَمَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ**»(3) قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

---

(1) محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ، دار الكتب الحديثة : ٢ / ٤٩٥.

(2) رواه الترمذي في كتاب : تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب : ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، رقم الحديث : ٢٨٧٤ .

(3) رواه الترمذي في كتاب : تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب : ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، رقم الحديث : ٢٨٧٥ .

عَنْ جُنْدُبٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ »[1] أي أخطأ الطريق إليه ، فهو مخطئ بحسب الحكم الشرعي.

أراد الرأي الذي يغلب على القلب من غير دليل قام عليه، وأما الذي يشده برهان فالقول به جائز.

قال **الماوردي** : قد حمل بعض المتورعة هذا الحديث على ظاهره وامتنع من أن يستنبط معاني القرآن باجتهاد ولو صحبها الشواهد ، ولم يعارض شواهدها نص صريح ، وهذا عدول عما تعبدنا بمعرفته ، من النظر في القرآن واستنباط الأحكام منه، كما قال تعالى : ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾[2] ولو صح ما ذهب إليه ،لم يُعْلَم بالاستنباط ، ولما فُهِمَ الأكثرُ من كتابِهِ تعالى شيئاً[3] .

وكما أنه لا يجوز التفسير بمجرد الرأي ، كذلك لا يجوز التفسير بمجرد معرفة اللغة العربية ، فمثلاً قوله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾[4].

فلو اعتمد في التفسير على مجرد المعرفة اللغوية لضلَّ المراد إن لم يرجع إلى بيان القضية بين صالح عليه السلام وقومه ثمود، والناقة المعجزة المؤيِّد

---

(1) رواه أبو داود في كتاب : العلم ، باب: الكلام في كتاب الله بغير علم ، رقم الحديث : ٣١٦٧.

(2) سورة النساء : ٨٣.

(3) محمد شمس الحق العظيم آبادي ، عون المعبود شرح سنن أبي داود ، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٢م.

(4) سورة الإسراء : ٥٩.

بها صالح نبي الله عليه السلام ، فلفظ «مبصِرة » عند الاعتماد على مجرد اللغة ، قد يفهم منها بأنها صفة أو حال الناقة ، وهذا التفسير تفسير باطل ، إذ المراد ، أن هذه الناقة هي معجزة واضحة ، وآية بيِّنة على صدق رسالة صالح عليه السلام، وأن ثمود ظلموا أنفسهم بسبب عقرهم لهذه الناقة، وهذا طبعاً يستدعي الرجوع إلى معرفة الحال بين صالح عليه السلام وقومه ثمود .

قال **مصطفى صادق الرافعي** : بيد أن القرآن كتاب كل عصر ، وله في كل دهر دليل من الدهر على الإعجاز ، ونحن قد قلنا في غير الجهات التي كَتَبَ فيها كلُّ مَنْ قبْلَنا، وسيقولُ مَنْ بعدنا فيما يفتح الله به ، إن ذلك على الله يسير[1] .

إن من ألمَّ بهذه العلوم ونحوها وبلغ هذا القدر من العلم والمعرفة ، يصبح أهلاً لأن يقرأ الكتاب الكريم قراءة متبصرة ، يهدف في ضوئها إلى فهم جديد ، يضيفه إلى أفهام السابقين ، مما يكون له الأثر الفاعل في النهوض بالأمة وحل مشاكلها المعاصرة ، وهو مأجور فيما توصل إليه من الفهم واستنباط الحِكَم والأحكام والوقوف على الأسرار، واستخراج ما تيسر من كنوز المعرفة التي يزخر بها القرآن الكريم ، ما دامت تلك المعارف لا تصادم النصوص ، ولا تعارض ما أجمعت عليه العقول.

إن تفسير القرآن بالرأي موضع خلاف بين العلماء، فبعضهم تشدد ومنع ومنهم شيخ الإسلام **ابن تيمية** حيث قال : فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام[2].

---

(1) مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن ، دار الكتب العربي ، بيروت :٨.

(2) ابن تيمية ، مقدمة في أصول التفسير : ٥٠.

واستدل هؤلاء على أنه من المحرم، القول على الله بغير علم ومنها قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[1]، وأن الصحابة كانوا يتحرزوا على القول في كتاب الله بمجرد الرأي.

ومنهم من قال بجوازه، واستدلوا بأن الاجتهاد أمر مقرر، ومنع الرأي في القرآن تعطيل للاجتهاد، والله تعالى أمرنا بالتدبر والتفكر في كتابه، وأن الرسول ﷺ دعا لابن عباس رضي الله عنهما فقال: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل.

ولو حللنا أدلة الفريقين تحليلاً دقيقاً، لظهر لنا أن الخلاف لفظي لا حقيقي، فالرأي قسمان:

قسم جارٍ على موافقة كلام العرب، مع موافقة الكتاب والسنة، ومراعاة سائر شروط التفسير، وهذا القسم جائز لا شك فيه.

وقسم غير جارٍ على قوانين العربية، ولا موافق للأدلة الشرعية، ولا مستوف لشرائط التفسير، كما فعل أصحاب القراءة المعاصرة، وهذا هو مورد النهي ومحط الذم.

من ضوابط التفسير بالرأي:

١ ـ الالتزام بفهم القرآن من خلال معهود العرب في الخطاب.

٢ـ استصحاب الصحيح من المأثور ليكون وسيلة معينة على الفهم، وضابطاً من خطرات القلوب ومجازفات الهوى.

٣ـ التعرف على مناسبات النزول لتكون وسائل إيضاح معينة لتعدد الرؤية، وتنزيل النص على الواقع المعاش.

---

(1) سورة الإسراء: ٣٦.

٤ـ عدم الخروج على قواعد المنطق والعقل السليم ، أو ما تقتضيه الفطر الصحيحة، ودلالة الألفاظ والصيغ.

٥ـ عدم الخروج بالتفكير أو بالرأي عن المقاصد العامة التي حددت في القرآن على أنها مسلمات.

٦ـ الاستفادة من الكسب العلمي، والحقائق المعرفية في ميادين الحياة الاجتماعية وغيرها أثناء النظر للآيات، وجعل الآية هي التي تتحكم بالكسب البشري ، وتوجه المعارف، وتحدد الهدف والمقصد من العلم [1] .

٧ـ معرفة عادات العرب ، لأن هذه المعرفة تساعد كثيراً على معرفة معاني الآيات كقوله تعالى :﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾[2] لا يعرَف معنى هذه الآية إلا من عرف عادات العرب في حربها وسلمها، وحلها وإحرامها ليستطيع معرفة معنى النسيء.

وبناء على ذلك فأي قراءة لا تستند إلى هذه المبادئ والعلوم لا تعدو أن تكون قراءة مبتورة ومغرضة لا يمكن لها أن تحقق هدفاً منشوداً، ولا توصل إلى غاية حميدة ، بل هي قراءة هادفة إلى القضاء على القيم والمبادئ والأحكام التي يتضمنها النص الشرعي ، أو سَمِّها افتراءات جلية للنص الديني.

وإن نظرة عجلى في الخلفيات العلمية التي يحملها أولئك المسمون في عالمنا الإسلامي بدعاة القراءة المعاصرة والجديدة للنص الشرعي ، تنبئك بأن

---

(1) محمد الغزالي ، كيف نتعامل مع القرآن ، في مدارسة أجراها عمر عبيد حسنة ، من مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الكتاب الخامس من سلسلة قضايا الفكر الإسلامي ، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ ١٩٩٢م : ١٩٧.

(2) سورة التوبة : ٣٧.

علاقتهم بالعلوم الشرعية ، علاقة مشبوهة ومدسوسة، وأن زادهم المعرفي ضحل وضئيل ، وبضاعتهم مزجاة، والمرء عدو ما يجهل ، بل إن الغالبية العظمى منهم كأكابرهم **محمد شحرور** وغيره لا علاقة لهم بالعلوم النظرية بتاتاً ، ويحملون درجات وشهادات علمية في مجالات العلوم الهندسية والكيميائية والطبية وغيرها ، كما أن عدداً لا يستهان به منهم لم تكتحل عيونهم برؤية أيٍّ من المدونات العلمية الراقية التي صنفها الآباء والأجداد في هذه الفنون .

إذن فالتعامل مع النص القرآني تفسيراً وتأويلاً يجب أن لا يتجاوز الإطار الذي يحتمله النص ، وكذلك لا ينبغي تضييق المعاني القرآنية وتحجيمها، وإنما نتعامل مع القرآن الكريم بحدود ما تحتمله لغة القرآن ، وما يؤازرها مما ورد من تفسير مأثور .



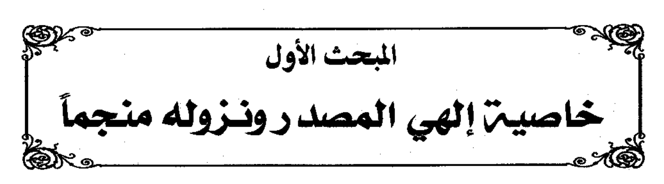
الفصل الثاني

خصائص النص الديني

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : خاصية إلهي المصدر ونزوله منجماً .

المبحث الثاني: الجمع بين الإعجاز والإيجاز والمرونة والسعة .



المبحث الأول

خاصية إلهي المصدر ونزوله منجماً

لم يخل عصر من إعادة قراءة النص الديني :

لقد كان القرآن الكريم والسنة النبوية والآثار وأقوال أئمة الاجتهاد محل دراسات وقراءات متعددة ومتجددة عبر التاريخ الإسلامي ، وما خلا عصر من دعوة مخلصة وغير مخلصة إلى إعادة قراءة النص الديني، وذلك في ضوء ما يموج به العالم من تطورات وتغيرات على جميع الأصعدة ، فبعضها انتهجت منهج التشكيك والاتهامات ،وقالوا بأن تلك التعاليم والأحكام والمبادئ لم تعد صالحة لأن تكون قيّمة على حياة الناس في العصر الحاضر.

وفي مقابل هذه الدعوات المشبوهة ظهرت دعوات مخلصة إلى التجديد تدعو الغيارى من أهل العلم والفكر إلى إعادة قراءة الاجتهادات المنسوجة إزاء النص الديني في ضوء الواقع المعاصر، بغية تفعيل قيّومية الشرع على الواقع الإنساني.

ويهدف بعضهم إلى إيجاد العقل المسلم المستنير القادر على ممارسة دوره في الاجتهاد والتجديد والعمران الإنساني ، لتأهيل المسلم لدور الاستخلاف ، والقيام بحق التسخير ، والوصول إلى هدف التمكين ، والقيام بحق الأمانة (1) .

ولكن هل يفتح الباب لكل من هبَّ ودبَّ ؟ ليقول ما يملي عليه فكره القاصر ، فيضر أكثر مما ينفع ، ويفسد أكثر مما يصلح ؟ ويهدم أكثر مما يبني ؟

وهل التجديد هو مجرد التغيير ، وإن كان بهدم المبادئ والأسس والثوابت؟ أم الوصول إلى الجديد النافع المفيد وفق تلك المبادئ والأسس والثوابت ؟

---

(1) انظر : طه جابر العلواني ، إصلاح الفكر الإسلامي : ١٠٣.

والملاحظ من خلال هذه الدعوات المتعارضة والمتناقضة أنها كانت ولا تزال ترفع شعارات ودعوات لا يخلو بعضها من صحة وأهمية كدعوتهم إلى ضرورة تجديد الفقه الإسلامي ، ودعوتهم إلى إصلاح مناهج التفكير، لاستئناف الدور الريادي الذي كان ذات يوم للإسلام والمسلمين .

ومن الملاحظ وقوع بعض الطيبين المخلصين في هذا الفخ المنهجي العميق، حيث إنهم يضفون على النصوص الشرعية في التراث قداسة ، فيقدسون بعض الاجتهادات الفقهية ، ويعدون بعض الآراء سامية على المراجعة وفوق التصحيح والتحقيق ، والحال أن القداسة والسمو لا يحقان لأي نص ما عدا النص الديني بحسبانه الوحي المنزل ، والحق المطلق .

وبناء على هذا يمكن القول بأن النص الديني له خصائص أربع :

١ـ **خاصية إلهي المصدر والنسبة** : ومقتضى هذه الخاصية أن يستحضر المتعامل معه جلاله بجلال مصدره ، وعدم خضوعه لظروف الزمان والمكان بعدم خضوع مصدره ، فلا يؤثر فيه زمان ، ولا يتأثر بالمكان، وإحاطته الكاملة بأحوال الماضي والحاضر والمستقبل بإحاطة مصدره الكاملة والشاملة ، وعليه أن يدرك عصمة هذا النص من الخطأ والغلط والقصور والنقص ، وكل قراءة لا تستحضر هذه الخاصية فهي قراءة ساذجة ، لا تزيد صاحبها إلا بعداً وابتعاداً عن منهج الله سبحانه وتعالى.

٢ـ **خاصية التنجيم والتدرج** : مما يتميز به النص الشرعي أنه نزل منجماً ومفرَّقاً على مدى ثلاث وعشرين سنة ، مصداقاً لقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾[1] .

---

(1) سورة الإسراء : ١٠٦.

ولقولـه جـل جلالـه : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾[1] .

ومقتضى هـذه الخاصية أن يتعرف المتعامل مع القرآن الكريم بجملة الظروف والمناسبات ، فغالباً ما كانت الآيات تنزل على رسول الله ﷺ جواباً لحوادث في المجتمع الإسلامي ، وأحياناً تنزل الآيات جواباً عن أسئلة يسألها بعض المؤمنين، والأحداث التي رام الشرع الحنيف تعديلها وإصلاحها على مراحل متدرجة تسهيلاً لحسن تفهمه وإدراك غاياته ومقاصده.

ولتنجيم نزول القرآن الكريم أسرارٌ عدة وحكمٌ كثيرة ، نستطيع أن نجملها في أربع حكم رئيسية [2] :

الحكمة الأولى : تثبيت فؤاد النبي ﷺ، وتقوية قلبه، قال الله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3].

الحكمة الثانية : التدرج في تربية هذه الأمة الناشئة علماً وعملاً ، وليسهل عليهم حفظه وفهمه ، وليتخلوا عن عقائدهم الباطلة شيئاً فشيئاً، ويتحلوا بعقيدة التوحيد الصحيحة ، وهذا إعجاز في تهذيب الشعوب وسياسة الأمم وتربية الجماعات.

---

(1) سورة الفرقان : ٣٢ .

(2) انظر : محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ، حققه : بديع السيد اللحام : ١/ ٨٠ وما بعدها.

(3) سورة هود : ١٢٠ .

الحكمة الثالثة : مسايرة الحوادث والطوارئ في تجددها وتفرقها ، وكلما جدَّ منهم جديد نزل من القرآن ما يناسبه، وفي هذا لفت أنظار المسلمين إلى تصحيح أخطائهم وإرشادهم إلى الصواب ، وكشف حال المنافقين ، وهتك أستارهم للنبيﷺ والمسلمين ، كي يأخذوا حذرهم ، فيأمنوا شرهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[1] .

الحكمة الرابعة : الإرشاد إلى مصدر القرآن ، وأنه كلام الله وحده ، ولا يمكن أن يكون من كلام رسول الله ﷺ أو أي مخلوق آخر ، فهو محكم السرد ، دقيق السبك ، قوي الاتصال ، آخذ بعضه برقاب بعض في سوره وآياته وجمله ، يجري دم الإعجاز فيه كله من أَلِفِه إلى يائه كأنه سبيكةٌ واحدة ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[2] .

إن هذه الخاصية للنص الشرعي أمارة واضحة على كون الإسلام ديناً لا يقفز على الواقع ، بل هو واقعي يراعي واقع الإنسان فطرياً ، ويعترف بقيمته ، ولا يتنكر له ، فلا ينبغي فهم النصوص الواردة إزاء تلك الظروف والأحداث منفصلة عن فهم ذات الظروف والأحداث ، مما يعني أن فهم جزءٍ من نصٍّ كليٍّ بعيداً عن بقية الأجزاء فهمٌ غير سديدٍ ولا سليم، لأنه تجاوز هذه الخاصية التي ينفرد بها النص الشرعي ، والنصوص الأخرى لا تتسم بهذا الأمر لعدم معرفتها بمآل الأمور، أما الشارع الحكيم فإنه لا يخفى عليه ما كان وما يكون وما سيكون ، وليس ثَمَّ صاحب نص يتصف بهذا الأمر، بل جلُّ النصوص

---

(1) سورة الفرقان : ٣٣ .

(2) سورة الفرقان : ٦ .

البشرية تأتي إما لوصف أمر مضى ، أو لوصف أمر قائم ، أو استشراف أمر في المستقبل ، ولكنه لا يستطيع أن يأخذ في الاعتبار هذه الأمور الثلاثة في آن واحد ، ويتحقق كلها كما توقعها وافترضها.

إن استحضار دعاة القراءة الجديدة للنص القرآني لهذه الخاصية من شأنه أن يكون ذلك عوناً لهم على حسن إدراك العلاقة الترابطية والتكاملية بين مختلف النصوص، بحيث يصبحون قادرين على الجمع بين النصوص التي تعالج قضايا مماثلة وتحاول تقديم تفسير متَّزن ، كما أن هذه الخاصية تعين المتعامل مع النص الشرعي على التزام التجرد والموضوعية ، وتقتضي الابتعاد عن ضرب النصوص بعضها ببعض، وادعاء وقوع التناقض أو التضارب بين الأحكام.

وقال بعض من يُسَمَّون في عالمنا الإسلامي بالعلمانيين [1] : إنَّ السبب مؤثر في وجوده ، بحيث إذا انعدم يجب أن ينعدم معه النص وما يحمله من معنى حكماً أو مقصوداً.

وهذا التفسير ينظر إلى أسباب النزول بأنها أسباب تاريخية خاضعة للظروف ، وللبيئة وللزمان والمكان ، تسري عليها ما يسري على غيرها من

---

(1) وهو **علي أومليل** : كاتب مغربي معروف ، وسفير المملكة المغربية بالقاهرة ثم ببيروت، أحد دعاة القراءة الجديدة والمعاصرة وله كتاب : (في شرعية الاختلاف) يتناول فيه مسألة الاختلاف في المجتمعات الإسلامية منذ النشأة إلى العصر الراهن ويحث المسلمين واليهود المثقفين العرب بالامتناع عن الإشارة إلى النص القرآني والسنة النبوية الشريفة في حواراتهم، ويعتقد أن تحقيق الرقي والتقدم في البلاد العربية والإسلامية رهن باعتمادهم التعددية ، وأن الاختلاف هو جوهر الديمقراطية ، ويقول : إن تعثر عملية التحديث عندنا راجع إلى عدم الثقة التاريخية بين الغرب والعالم الإسلامي.

النسبية وعدم الإطلاق ، بمعنى أن تلك الأسباب استدعت نزول وورود النص لظروف معينة، فإذا ما تولت تلك الظروف ، ينبغي أن يتولى معها النص الشرعي مطلقاً [1].

ولا يخفى ما ينطوي عليه هذا التفسير من ضحالة فكرية وخلط مفاهيمي لمصطلح أسباب النزول عند أهل العلم في التفسير، كما ينمّ عن تجاهل متعمد لخاصية إلهي المصدر السابق ذكرها، ويعد في حقيقة الأمر توغلاً في السطحية والاعتساف والتمحل.

وقال أحدهم : لا يصح استخدام كلمة «سبب» على نزول التشريع ، لأن السبب هو: ما يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم .. والأصح إطلاق كلمة «**تاريخية نزول التشريع**» التي تفيد دلالة الوقت ، والحدث المناسب الذي تم اختياره من قبل الخالق، لينزل النص التشريعي بصياغة مناسبة فوراً [2].

إنَّ هذه الوجهة في تكييف علاقة النص بسببه تنظر إلى أسباب النزول بأنها أسباب ، وإن كانت تاريخية ، إلا أنها فوق التاريخ ذاته ، لا تخضع ما تخضع له الأسباب التاريخية من النسبية والجزئية الحقيقية ،فهي حاكمة على التاريخ وليس العكس، لأن مصدره وجد قبل أن يوجد التاريخ ، بل هو الذي أوجد التاريخ ، وهو الذي يصنع التاريخ ويؤثر في التاريخ ، ولا يمكن الاستناد إلى التاريخ في تفسيره.

---

(1) علي أومليل : في شرعية الاختلاف : ٥٠ وما بعدها.

(2) سامر إسلامبولي ، ظاهرة النص القرآني تاريخ ومعاصرة ، رد على كتاب النص القرآني أما إشكالية البنية والقراءة لطيب تيزيني ، الأوائل للنشر ، دمشق ، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م: ١٣٠.

والسبب في هذا أن الأسباب في نظرنا إذا كانت تاريخية فإنها تعني أن النص الذي ارتبط ورودها ونزولها بها يجب أن يكون تاريخياً أيضاً ، ومعروف أن التاريخ أحداث في الماضي، لا ينبغي إسقاطها على الحاضر، وليس ذلك النص الشرعي ، فإنه نص للماضي وللحاضر وللمستقبل ،ولا يحكمها أحداث تاريخية معينة بل فوق كل الأحداث والظروف، والنص كان سيرد ولو لم يكن هناك ذلك الجزئي المسمَّى بالسبب، ويعني هذا أن النص الشرعي يمثل خطاب الإله الموجه إلى العالم القائم وقت نزوله ، وإلى العالم الذي سيأتي من بعده وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.فأسباب النزول نماذج ودلائل وأمارات على أسباب حقيقية ، يتوقف إدراكها على إدراك هذا النموذج ، مما يعني ضرورة النظر إلى الأسباب على أنها أدوات معينات ومساعدات على حسن فهم النص الشرعي ، وإدراك مراميه ، ومغازيه وأبعاده [1] .

وقد رأيت أن يكون المصطلح البديل لأسباب النزول هو **«مناسبات النزول»** وتدرس هذه المناسبات في مجال الاجتهاد في أمور التشريع والدعوة الإسلامية، وفي مجال تدبر القرآن الكريم، لأن معانيه وإن جردت من ملابسات الزمان والمكان، إلا أنها تصلح لكل زمان ومكان.

***

---

(1) رحم الله الإمام الدهلوي الذي كشف النقاب عن هذا الأمر في كتابه القيم : الفوز الكبير في أصول التفسير : ٣١ وما بعده.

٣- خاصية الجمع بين الإيجاز والإعجاز في ألفاظه :

هذه الخاصية تتجلى في المستوى البلاغي الرفيع الذي يتميز به النص الشرعي دون سواه، وإذا كان معلوماً بأن جلالة المتكلم تنعكس على كلامه وأسلوبه ، فلا غرو أن يجد المرء في النص الشرعي تفوقاً ليس بعده تفوق من حيث المستوى البلاغي واللغوي، لكنه تفوق لا يعلو على أفهام العامة ، ولا يقصر عن مطالب الخاصة .

ويمكن للمرء أن يلاحظ هذا التفوق في جمع النص الشرعي بين طياته إيجاز اللفظ مع الوفاء بالمعنى ، واستخدام أسلوب أدبي راقٍ يخاطب العقل والقلب معاً ، ويستثير أحاسيس المخاطبين ، مما يجعله أكثر قدرة على الإقناع والإرشاد.

ومقتضى هذه الخاصية أن يكون المتعامل على وعي وإدراك بهذا الجانب من النص الشرعي، وأن يستحضره عندما يريد أن يجتهد في فهم نص شرعي ، فضلاً عن أنها تقتضي من المتعامل معها الابتعاد عن ادعاء العصمة والسداد المطلق لما يتوصل إليه من فهم لألفاظ ودلالات النص الشرعي، إذ إن مفاد الإعجاز في النص الشرعي أن تظل أفهام البشر لمعانيه ومراميه ومقاصده قاصرة خاضعة للنقص وعدم الكمال ، مما يفتح المجال أمام الأجيال المتعاقبة على تجدد فهم المرامي والمقاصد والأحكام.

وقضية الإعجاز القرآني معلومة ، ولكن بعض الكتاب المؤولة كان لهم رأيهم في الإعجاز ، فيرى أحدهم أن بعض القرآن معجز دون بعضه الآخر،

حيث قسم ما أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ إلى : (١ـ الكتاب ، ٢ـ أم الكتاب ، ٣ـ النبوة وفيها القرآن والسبع المثاني وتفصيل الكتاب)[1] .

وبناء على هذا التقسيم أنكر الكاتب الإعجاز في أحكام الكتاب ، فقال : إن الأحكام من الكتاب، وليست من القرآن ، وهي الكتاب بالنسبة لموسى وعيسى ولا يوجد فيها أي إعجاز[2] .

كما أنكر الإعجاز في أم الكتاب بقوله : إن الإعجاز جاء في القرآن فقط ، وليس في أم الكتاب[3] .

وقال : إن **أم الكتاب** مصطلح جديد لم تعرفه العرب فليس له إلا هذا المعنى «الآيات المحكمات»[4].

بداية لا توجد مصطلحات في كتاب الله عز وجل ، فالله تعالى لا يصطلح مع أحد على كلامه .

ثم عجباً لصاحب القراءة المعاصرة كيف يقول بأن هذا المصطلح جديد لم تعرفه العرب وقد قال في لسان العرب :

وأُمُّ كل شيء: أَصْلُه وعِمادُه؛ قال ابن دُرَيْد: كل شيء انْضَمَّت إليه أَشياء، فهو أُمٌّ لها. وأُم القوم: رئيسُهم.. **وأُمُّ الكِتاب**: فاتِحَتُه لأَنه يُبْتَدَأُ بها في كل صلاة، وقال الزجاج: **أُمُّ الكتاب** أَصْلُ الكتاب، وقيل: اللَّوْحُ المحفوظ. التهذيب: **أُمُّ الكتاب** كلُّ آية مُحْكَمة من آيات الشَّرائع والأَحْكام والفرائض،

---

(1) محمد شحرور : الكتاب والقرآن قراءة معاصرة : ٢١٣.

(2) المصدر السابق : ١٨٠.

(3) المصدر السابق : ٧٧.

(4) المصدر السابق : ٤٣.

وجاء في الحديث: أنَّ أُم الكِتاب هي فاتحة الكتاب لأنها هي المُقَدَّمة أَمامَ كلِّ سُورةٍ في جميع الصلوات وابْتُدِئ بها في المُصْحف فقدِّمت وهي أول القرآن العظيم.. وعن ابن عباس: أُمُّ الكِتاب القرآن من أوله إلى آخره. وأُمُّ النُّجوم: المَجَرَّة لأنها مجُتَمَع النُّجوم. وأُمُّ التَّنائف: المفازةُ البعيدة. وأُمُّ الطريق: مُعْظَمها إذا كان طريقاً عظيماً وحَوْله طَرُق صِغار فالأَعْظم أُمُّ الطريق، وأُمُّ مَثْوَى الرجل: صاحِبةُ مَنْزِله الذي يَنْزله، وأُمُّ الحَرْب: الراية. وأُم الرُّمْح: اللِّواء وما لُفَّ عليه من خِرْقَةٍ. وأُم القُرَى: مكة، شرَّفها الله تعالى، لأَنها توسطَت الأرض فيما زَعَموا، وقيل: لأنها قِبْلةُ جميع الناس يؤُمُّونها، وقيل: سُمِّيَت بذلك لأَنها كانت أَعظم القُرَى شأْناً [1].

وجاء كاتب آخر فأنكر إعجاز القرآن كلية، فقال: يتجه البعض إلى القول بأن الله قد أبقى معجزته لمحمد في حيز القرآن، وهي معجزة مستمرة تحدى بها الله المجتمع العربي الجاهلي، ولا زال التحدي مستمراً، وبالتالي فلم تكن ثمة حاجة لمعجزات أخر، والبعض يرى أن الرسالة المحمدية بوصفها خاتمة الرسالات ومتوجهة للبشر أجمعين، فقد جعلها الله تجربة مخاطبة خالصة للعقل، غير أن ما نراه نحن في هذا المجال وبحكم منهجنا يختلف عن الإيضاحين، أو الافتراضين السابقين، علماً بأننا نسقط هذا الافتراض الثالث والقائل بأن **التجربة المحمدية** العربية [2] كانت مليئة بالمعجزات، وهنا غالباً ما

---

(1) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري، لسان العرب مطبعة دار صادر، بيروت سنة ١٣٧٥هـ ١٩٦٦م: مادة «أم».

(2) لم يكن رسول الله ﷺ صاحب تجربة عربية، بل كان صاحب رسالة سماوية من لدن حكيم عليم.

يشير المفسرون إلى شق صدر **محمد** في فترة تنشئته في ديار بني سعد، وإلى اختفاء الشجرة التي جلس لديها على مقربة من دار الراهب بحيرا ، وإلى انشقاق القمر، وإلى انسياب الماء من أصابعه ، وإلى بناء العنكبوت لعشها في فتحة غار ثور ، وإلى رشقه مشركي بدر بالحصا ، فنال منهم جميعاً إلخ **الافتراضات** هذه لا نأخذ بها نهائياً ، ليس لأنها لم ترد في القرآن ، بل لأن القرآن ينفيها نفياً قاطعاً وباتاً .. طبقاً لمنهجنا فإننا نفسر خلو **التجربة المحمدية** العربية من الآيات المعجزة ، برد أصول التجربة إلى الرحمة الإلهية في مقابل الخير العربي[1] .

لقد نفى الكاتبان إعجاز القرآن ، الأول نفاه بشكل جزئي ، والآخر نفاه بشكل كلي ، وكذَّبَ بكل المعجزات الحسية الأخرى التي ثبتت بالقرآن أو السنة، وبهذا بقيت نبوة رسول الله ﷺ بلا معجزة ! أي دعوى بلا دليل يساندها ، فجردت النبوة من أعظم ركائزها وهو إعجاز القرآن الكريم .

وهذا ادعاء لم يقل به أحد من قبلهما ، فأكثر المعتزلة أقروا الإعجاز بالصِّرْفة[2]، ومنهم من أقرَّ بالإعجاز في نظم القرآن **كالجاحظ**

---

(1) محمد أبو القاسم حاج حمد : العالمية الإسلامية الثاني : ١٥١ .

(2) **الصِّرْفة** : أي صرف الله عز وجل العرب عن معارضته وسلب عقولهم ، وكان مقدوراً لهم ، لكن عاقهم أمر خارجي ، وهو قول فاسد بدليل قوله تبارك وتعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]، فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم ، ويلزم من القول بالصرفة فساد آخر ، وهو زوال الإعجاز بزوال زمان التحدّي ، وخلو القرآن من الإعجاز ، يبطل كونه معجزة.اهـ البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تعليق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الفكر بيروت ١٩٨٨م : ٢ / ١٠٥ .

والزمخشري[1]، ولكن ما سمعنا أن أحداً من أمة **محمد** ﷺ نفى إعجاز القرآن، إلا أن يكون **ابن الراوندي**[2] ومن شاكله من الزنادقة.

وقد ردَّ عليه **أبو العلاء المعري**[3]، وفنَّد ما في كتبه مثل: التاج والدامغ للقرآن، التي أبطل فيها الإعجاز، فقال **أبو العلاء**: وأما **ابن الراوندي**، فلم يكن إلى المصلحة بمهدي، وأما تاجه[4] فلا يصلح أن يكون نعلاً، ولم يجد من عذاب وعْلاً[5].

---

(1) **جار الله الزمخشري** (ت ٥٣٧ هـ) أحد أعلام التفسير بلا ريب، ويعد تفسيره (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، من أهم التفاسير وأكثرها عناية بالبلاغة القرآنية، وهو أول من حاول تطبيق نظرية النظم للشيخ عبد القاهر الجرجاني، والذي شان تفسيره، وأنقص من قيمته العلمية، تأويل الآيات القرآنية بما يوافق مذهب المعتزلة.

(2) **أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي، أو ابن الراوندي** (ت ٢٩٨ هـ) فيلسوف مجاهر بالإلحاد، من سكان بغداد، طلبه السلطان فهرب، ولجأ إلى ابن لاوي اليهودي (بالأهواز) وصنف له في مدة مقامه عنده كتابه الذي سماه (**الدامغ للقرآن**)، وتناقل مترجموه أن له نحو / ١١٤/ كتاباً منها: فضيحة المعتزلة، **والتاج**، والزمرد، وقضيب الذهب، وأن كتبه التي ألفها في الطعن على الشريعة اثنا عشر كتاباً، ومن فرق المعتزلة (الراوندية) نسبة إليه، مات برحبة مالك ابن طوق (بين الرقة وبغداد) وقيل: صلبه أحد السلاطين ببغداد. اهـ الأعلام للزركلي.

(3) **أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري** (٣٦٣م - ١٠٥٧م) شاعر فيلسوف، ولد ومات في معرة النعمان، أصيب بالجدري صغيراً فعمي في السنة الرابعة من عمره، رحل إلى بغداد فأقام بها سنة وسبعة أشهر، ولما مات وقف على قبره ٨٤ شاعراً يرثونه، وكان يحرم إيلام الحيوان ولم يأكل اللحم خمساً وأربعين سنة، **نسب إليه التشكيك بالإعجاز في القرآن وهو بريء**، أما شعره وهو ديوان حكمته وفلسفته فثلاثة أقسام: لزوم ما لا يلزم ويعرف باللزوميات، وسقط الزند، وضوء السقط، من تصانيفه: الأيك والغصون، وتاج الحرة، ورسالة الملائكة، ورسالة الغفران من أشهر كتبه.

(4) التاج: أحد كتب ابن الراوندي.

(5) أبو العلاء المعري: رسالة الغفران، تحقيق: عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ): ٤٦٩، وعلاً: أي ملجأً، الوعل بسكون العين الملجأ قاله الأصمعي. اهـ مختار الصحاح لأبي بكر الرازي.

ويضيف **أبو العلاء** : وأما الدامغ[1] فما إخاله دمغ فيه إلا من ألفه، وبسوء الخلافة خلفه ، وفي العرب رجل يعرف بدميغ الشيطان، وهذا الرجل كذاوي الخيطان[2]، وإنما المنكر أنه في الآونة يذكر ، دل ممن وضعه على ضعف دماغ ، فهل يؤذن لصوت ماغ [3].

والمعري يؤكد أن القرآن الكريم معجز فيقول : وأجمع ملحد ومهتد ، وناكب عن المحجة ومقتد ، أن هذا الكتاب الذي جاء به **محمد** ﷺ كتاب بهر بالإعجاز ، ولقي عدوه بالإرجاز ، وما حذي على مثال ، ولا أشبه غريب الأمثال ، ولا هو من القصيد الموزون، ولا الرجز من سهل وحزون، ولا شاكل خطابة العرب، ولا سجع الكهنة ذي الأرب ، وجاء كالشمس اللائحة ، نوراً للمسرة والبائحة ، ولو فهمه الهضب[4] الراكد لتصدع ، أو الوعول المعصمة لراق الفادرة والصدع[5] ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[6]

---

(1) الدامغ للقرآن : أحد كتب ابن الراوندي.

(2) **ذاوي الخيطان** : أسراب النعام.

(3) أبو العلاء المعري : رسالة الغفران ، تحقيق : عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) : ٤٧١ ، وماغ : صياح السنور، قال ابن منظور في لسان العرب : ماغَتِ السِّنَّوْرةُ تمُوغُ مُواغاً ومَوْغاً: مثل ماءَتْ.

(4) **الـهَضْبَةُ**: كلُّ جَبَلٍ خُلِقَ من صخرةٍ واحدةٍ؛ وقيل: كلُّ صخرةٍ راسيةٍ، صُلْبةٍ، ضَخْمةٍ: هَضْبةٌ؛ وقيل: الـهَضْبةُ والـهَضْبُ الجبَل المنبَسِطُ، يَنْبَسِطُ على الأَرض؛ وفي التهذيب الـهَضْبَةُ؛ وقيل: هو الجبلُ الطويلُ، الـمُمْتَنِع، الـمُنْفَرِدُ، ولا تكون إلا في حُمْرِ الجبال، والجمع هِضابٌ .اهـ لسان العرب لابن منظور مادة (هـ ض ب).

(5) **والرَّوْقُ**: الإِعْجاب ، وراقَني الشيءُ يَرُوقُني رَوْقاً ورَوَقاناً: أَعجبني ، **والفادِرَةُ**: الصَّخْرَةُ الصَّمَّاءُ العظيمةُ في رأسِ الجبلِ ، **والصدْعُ** : الشَّقُّ في كلِّ شيءٍ .اهـ لسان العرب لابن منظور وفقه اللغة للثعالبي.

(6) سورة الحشر : ٢١.

وإن الآية منه أو بعض الآية لتعترض في أفصح كلم يقدر عليه المخلوقون، فتكون فيه كالشهاب المتلألئ في جنح غسق ، والزهرة البادية في جدوب ذات نسق[1] .

وشهادة المعري لها قيمتها ، فقد نسب إليه التشكيك بالإعجاز ، بيد أن هذا النص يبرئه مما نسب إليه ، ويؤكد أن الإعجاز متفق عليه عند أهل الاختصاص مثلما هو متفق عليه عند العامة [2] .

٤- خاصية غلبة المرونة والسعة على مفرداته وتراكيبه :

هذه الخاصية حاضرة بصورة واضحة على مستوى الألفاظ التي أودعها الشارع الحكيم أحكامه العقدية والعملية والتهذيبية ، ويمكن ملاحظة هذه المرونة من خلال ما تتميز به التشريعات المنبثقة عن النص الشرعي من يسر وتخفيف ورحمة ومصلحة ، ومن قدرة فائقة على الوفاء بحاجات كل المجتمعات الإنسانية عبر التاريخ، فضلاً عن تضمن هذا النص علاجاً لكل المشاكل والأزمات في شتى بقاع الأرض.

ولقد طالب بعض أصحاب القراءة الجديدة إلغاء هذه الألفاظ لعدم كفايتها في الدلالة على معانيها فقال: هذه اللغة لم تعد قادرة على التعبير عن مضامينها المتجددة طبقاً لمتطلبات العصر نظراً لطول مصاحبتها للمعاني التقليدية الشائعة التي نريد التخلص منها [3] .

---

(1) أبو العلاء المعري : رسالة الغفران ، تحقيق :عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) : ٤٧٢ ـ ٤٧٣.

(2) محمد رفعت زنجير ، اتجاهات تجديدية متطرفة في الفكر الإسلامي المعاصر ، منار للنشر والتوزيع ، ٢٠٠١ م الطبعة الأولى : ٤٤.

(3) انظر : حسن حنفي : التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، الطبعة الخامسة ٢٠٠١م : ١١٠ ، و محمد صياح المعراوي : الماركسلامية والقرآن : ٤٢.

والعجب كل العجب من أولئك الذين يشكون من فقر اللغة العربية وعجزها عن مواكبة العصر، والتطوُّر العلمي الهائل.

ولله در الشاعر العربي **حافظ إبراهيم** الذي قال على لسان العربية :

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي	**وناديت قومي فاحتسبت حياتي**
رَمَوْني بعقم في الشباب وليتني	**عقمت فلم أجزع لقول عُداتي**
وسعت كتاب الله لفظاً وغاية	**وما ضُقْت عن آي به وعظات**
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة	**وتنسيق أسماء لمخترعات**
أنا البحر في أحشائه الدر كامن	**فهل ساءلوا الغوَّاص عن صَدَفاتي؟**

وتتجلى هذه المرونة والسعة في النص الشرعي في كونه نصاً يخاطب العقل والقلب معاً ، ويسمو بالروح والفطرة ، ويقدم جلب مصالح العباد على مفاسدهم ، ويأخذ في الاعتبار تقلبات الزمان واختلاف البيئات والأعراف والتقاليد ، ويوازن في مفرداته وتراكيبه بين ما يسمو بالروح وما يحمي المادة ، وبين ما يدفع إلى أخذ النصيب من الدنيا وعدم نسيان الآخرة .

ويمكن للمتعامل مع النص الشرعي أن يقف على خيوط هذه المرونة والسعة في الشريعة من خلال التأمل في انتظامها نوعين من النصوص :

الأول منها عني بإيراد الأصول والمبادئ التي لا تقبل التغيير ولا التبديل في صياغات قطعية مطلقة، تخاطب الإنسان من وراء البيئات والأزمنة والأمكنة والظروف، ولا يقبل هذا النوع من النص الشرعي التطور والتغير بتغير الزمان والمكان.

أما **النوع الثاني** من النص الشرعي وهو النوع الغالب ، فإنه عني بإيراد

تشريعات وأحكام ومبادئ، تؤثر في تفهمها عوامل البيئة والثقافات والظروف الفكرية والاجتماعية والسياسية، مما يؤدي إلى تعددية الفهم وتجدده وتبدله بتبدل الزمان والمكان والأحوال.

إنَّ المقصد الأسمى من هذه الخاصية يتمثل في التيسير على العباد ورفع الحرج عنهم مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[1].

وعليه فإن استحضار المتعامل مع النص الشرعي هذه الخاصية في فهم نص شرعي أمر مهم للغاية، لأن العلم به يورثه القدرة على حسن الفهم بشفافية.

إنَّ عدم معرفة دعاة القراءة الجديدة لهذه الخاصية جعلهم يعتبرون جميع ألفاظ النص الشرعي ألفاظاً مرنة، وبالتالي فإنه لا وجود لقواطع أو ثوابت، بل كل شيء في الدين متغير قابل للتطور والتحول والتبدل، وأنى يستقيم دين خالٍ من الثوابت والقواطع؟!.

واستغفال هذه الخصائص هو الذي أفضى بعدد لا يستهان به من أصحاب القراءة الجديدة للنص القرآني إلى تسوية هذا النص بغيره من النصوص، كما أن عدم استيعاب الخاصية الأخيرة هو الذي دفع بجماهير دعاة القراءة الجديدة إلى الاعتداء الصارخ على حرمة النصوص الشرعية، وتفريغها من معانيها الثابتة، ثم الاعتداء السافر على التعاليم الإلهية السامية والمقاصد السنية الثاوية بين جنباتها، مما نتج عنه في نهاية المطاف مروق تدريجي لهؤلاء وأولئك من ربقة الشريعة والعقيدة.

---

(1) سورة البقرة: ١٨٥.

القراءة الجديدة بين الإعمار والدمار:

إن الدعوة إلى قراءة جديدة للنص الديني تتضمن بين طياتها جوانب بناء وإعمار ، كما تتضمن جوانب هدم وتدمير، ولكننا نرى أصحاب القراءة الجديدة يولون اهتماماً كبيراً بجانب الهدم والتدمير.

ولقد انبرى هؤلاء المؤولة الجدد بهذه التصورات الخاطئة والأفكار العفنة والآراء النتنة ، إلى ضرورة الدعوة إلى قراءات جديدة للنص الديني، تثبيتاً لذلك الركام الهائل من الشبهات التي تلبسوا بها على حين غفلة ، ووجدوا أن القراءات السابقة للنص الديني لا تسعفهم ولا تتفق مع ما أسسوه من أفكار وآراء ، وهي لا تزال تحظى بالمشروعية والقبول لدى السواد الأعظم ، لذا رأوا أن إنكارها ورفضها من شأن ذلك اتهامهم بالتمرد والمروق والخروج، فتبنوا إقناع الخلق بأن القراءات السابقة للنص الديني كانت وليدة الظروف الفكرية والاجتماعية والسياسية والعلمية، وما دامت تلك الظروف قد تغيرت وشهدت تطورات كثيرة لذلك لا بد أن تتغير القراءات السابقة وتتبدل النظرات القديمة إلى المعاني الثاوية بين جنبات نصوص الكتاب والسنة والآثار وأقوال الأئمة الأعلام [1] .

---

(1) يتبنى هذا المنهج **محمد شحرور** في كتابه الموسوم : الكتاب والقرآن ، ومن المؤسف أن هذا الكتاب نال رواجاً وشهرة لم ينله كتاب من كتابات الاتجاه الموسوم باليسار الإسلامي ، وذلك نتيجة ما سلط عليه من أضواء ، وما أوْلاه بعض الطيبين المخلصين من ردود ، ولكم تمنيت أن تصرف تلك الجهود الفكرية والأدبية المباركة في بيان الأسس العلمية التي يجب اتباعها عند الهمِّ بقراءة جديدة ومفيدة للنص الشرعي، وذلك بدلاً من صرفها وتبذيرها في دحض خزعبلات كاتبنا المبتلى ، فهذا الكتاب وما حواه من آراء وأفكار لا يخفى افتقارها إلى أبجديات البحث العلمي، وإني لإخاله زبداً ، والزبد يذهب جفاء ، ولا يمكن له أن يمكث في الأرض .

وتحقيقاً للقراءة الجديدة لجئوا إلى توظيف العديد من المناهج والأدوات العلمية الحديثة التي تستخدم لتفكيك معاني النصوص ، وعلى رأس تلك المناهج وأدوات **المنهج التاريخاني** ، ويهدف هذا المنهج إلى ربط سائر المعاني والأحكام بالتاريخ ، وتأثير التاريخ في تشكلها وتكوينها سلباً أو إيجاباً .

وإذا كان المنهج التاريخاني صالحاً لتفسير نص اجتماعي أو تحليل تصرف سياسي ، فإن هذا المنهج لا يصلح أن يكون تفسيراً للقرآن الكريم والسنة النبوية ، لأن آي الذكر الحكيم والسنة المطهرة لا تخضعان للأهواء والأذواق والأفكار ، ولكنها تمثل توجيهات وخطوطاً يجب على البشرية السير وفقها.

وظفوا هذه المناهج والأدوات في القراءة الجديدة للقرآن الكريم ، وما كلفوا أنفسهم عناء في التفريق بين القرآن الكريم نصاً مقدساً سامياً على جميع تساؤلات البشر ، وبين النصوص الدينية بوصفها نصوصاً بشرية ، يمكن توظيف المناهج والأدوات في قراءتها [1] .

---

(1) القرآن نص مقدس ، وليس نصاً أدبياً يماثل النصوص الشعرية باعتبار الشعر ديوان العرب، وهو أكثر من نص بتعبير (ستروس) ومن هنا الخطأ الذي مارسه **نصر حامد أبو زيد** في تأكيده على أن القرآن نص لغوي وما ينطبق على اللغة ينطبق عليه ، وهذا هو الخطأ، فاللغة ـ حسب مناهج التحليل اللساني ـ تتكون من مجموعة من الوحدات المكونة لها والتي تدخل في بنية اللغة ،ومن وجهة نظر (ستروس) أن النصوص المقدسة الكبرى والتي هي أكثر من نص، لها وحداتها الخاصة ، أطلق عليها (ستروس) اسم الوحدات التكوينية السمينة ،وهذه الوحدات هي التي تجعل من لغة هذه النصوص المقدسة لغة مفارقة، وشبه (ستروس) لغة هذه النصوص الميثولوجية بالطائرة التي تتحرك على مدرج اللغة إلى اللحظة التي يتوصل فيها المعنى إلى الإقلاع ، وعندما ستعبر هذه النصوص عن حقائق أبدية تطال الماضي والحاضر والمستقبل ، وهذا هو شأن القرآن الكريم الذي يفتح ، وعبر حقله الدلالي ، على حقائق كونية وإنسانية تطال بدء الخليقة والمعاد ، وهذه ميزة النصوص المقدسة الكبرى ،ومن هنا نعلم أن لغة القرآن في مستوى أعلى بكثير من اللغة العادية أو الشعرية ، وأنها أبعد ما تكون عن كونها

واعتباراً بهذا الخلل المنهجي في التعامل مع القرآن الكريم ، لم يكن من عجب أن تنتعش هذه القراءة الجديدة صنوفاً من الأفكار المشبوهة الهدامة، والآراء الشاذة المخالفة للعقل والنقل والمنطق على حد سواء.

الأمر الذي حرك الفكر الإسلامي ، ودفعه للرد بقوة على كل هذه الأباطيل والضلالات ، ومعظم الردود قد أجاد فيها أصحابها وأفادوا ، وكما قالوا : رُبَّ ضارة نافعة ، وكانت هذه الردود كتباً ومقالات و محاضرات وأبحاثاً متعددة ، أبلى فيها أصحابها بلاء حسناً في تبصير المسلمين بحقيقة دينهم ، مجتهدين في نصر الحق ، وكبح جماح الباطل.

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنّ رَسُولَ اللهّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ نَبِيَ بَعَثَهُ الله فِي أُمّةٍ قَبْلِي، إِلاّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمّتِهِ حَوَارِيّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمّ إِنّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِم خُلُوفٌ، يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ. وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبّةُ خَرْدَلٍ»[1] .

قال ابن قتيبة : وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون، ولَغوا فيه وهجروا ، واتبعوا ﴿ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾[2] بأفهام كليلة، وأبصار

انعكاساً لواقع ، أو أنها ثمرة لتفاعل جدلي بين اللغة والواقع. اهـ انظر : كلود ليفي ستروس، **الإناسة البنيانية** ، ترجمة : حسن قبيسي ، بيروت ، المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٥م : ٢٢٨ وما بعدها ، وانظر أيضاً : مرسيا إلياد ، **الحنين إلى الأصول** ، ترجمة حسن قبيسي ، بيروت ، دار قابس ، ١٩٩٤ : ٥.

(1) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان. وأن الإيمان يزيد وينقص. وأن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر واجبان رقم :٧١.

(2) سورة آل عمران : ٧.

عليلة ، ونظر مدخول، فحرفوا الكلام عن مواضعه ، وعدلوه عن سبيله ، ثم قضوا عليه بالتناقص، والاستحالة، واللحن، وفساد النظم والاختلاف، وأدلوا في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغُمْر ، والحدث الغِرّ ، واعترضت بالشبه في القلوب، وقدحت بالشكوك في الصدور .. فأحببت أن أنضح عن كتاب الله ، وأرمي من ورائه بالحجج النيِّرة، والبراهين البينة، وأكشف للناس ما يَلْبسون[1] .

والمطلوب لتنشيط مسيرة الدعوة الإسلامية : ليس تعديل الإسلام ليوافق الواقع ، كما يطرحه بعض دعاة التجديد، لأن الواقع متباين ومتغير من زمن إلى آخر ، مما يؤدي إلى تمزيق الدين ، فيكون حاله كما قال **إبراهيم بن أدهم** :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

ولكن المطلوب ، تعديل الوسائل والسبل في توصيل الدين الحنيف ، لينبثق عنه مشروع حضاري ينقذ الأمة من محنتها ، ويقدم الإسلام حلاً ناجعاً لمشكلات العصر.

❊ ❊ ❊

(1) انظر: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن : ٢٢-٢٣.

الفصل الثالث

خصائص ظاهرة القراءة المعاصرة

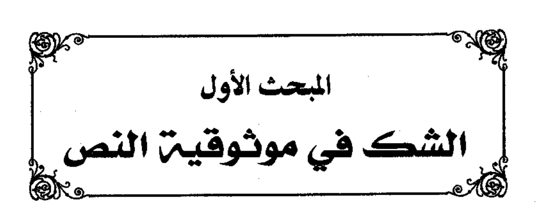
ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : الشك في موثوقية النص.

المبحث الثاني : الظنية المطلقة لدلالة النص.

المبحث الثالث : حاكمية الواقع على النص.





المبحث الأول
الشك في موثوقية النص

خصائص ظاهرة القراءات المعاصرة :

١ـ تصنيف الرؤى على أنها رؤى إسلامية ناشئة من الاجتهاد في فهم الدين من داخل دائرته المرجعية ، وهذا الملمح يبدو بيّنا عند كل من ينتمي إلى هذا التيار ، بل يدّعي هؤلاء أن قراءتهم الجديدة للنص الديني أفضت بهم إلى فهم للإسلام الحق الصحيح،المستخلص من أصوله ، فمذهبهم ليس بمذهب خارجي عن بوتقة الإسلام كما هو الحال مع المستشرقين من خارج دائرة الإسلام الذين يدعون أن هذا هو فهمهم للنص الديني.

٢ـ أغلب المنتمين إليها إن لم نقل كلهم ينتمون إلى العلمانية ويعتبرون الدين شأناً شخصياً لا علاقة له بالشأن الاجتماعي العام.

ومنهم من ينتمي إلى العلمانية اليسارية التي تعتبر الدين في أبعاده الغيبية قضية باطلة من أصله.

كما يشترك أصحاب هذا الاتجاه أنهم ليسوا من المختصين علمياً في العلوم الشرعية ، وإن كان بعضهم مطلعاً على التراث الإسلامي في جانبه الحضاري.

وأغلبهم درسوا في الجامعات الغربية وبعضهم أصبح يدرس فيها .

المبادئ الأساسية للقراءة الجديدة المعاصرة:

١ـ الشك في موثوقية النص : وهذا الشك والتشكيك يتعلقان بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف على حد سواء ، وإن اختلف في الطبيعة والدرجة

بالنسبة لكل منهما اختلافاً أفضى إلى تردد بين نفي المشروعية أصلاً عن كون هذا النص مصدرا للدين،وبين الاعتراف بها مع شائبة نقص فيها يضعفها ولكن لا يلغيها .

وما يتعلق بالحديث يكاد يجمع هؤلاء المؤولة الجدد على أن الحديث النبوي كما ورد في المدونات المتداولة بين المسلمين يفتقر في كونه صادراً عن النبي ﷺ إلى الموثوقية التي يرتقي بها أن يكون مصدراً للدين ، لهذا استبعدوه أن يكون حجة لهم في تأويلاتهم ، كما استبعدوه أن يكون حجة عليهم في مقام الحوار معهم فيما ينتهون إليه من آراء.

ويسوق هؤلاء على مبدئهم هذا مستندات لا تكاد تخرج عن المستندات التي اعتمدها المستشرقون وذلك كقول **طيب تيزيني**[1] : أن ورقة بن نوفل كان المعلم الأول ، ولا يكتفي بهذا بل يندفع إلى القول من زاوية رؤية اقتصادية : أن زواج الرسول - ﷺ - من خديجة (مخطط له ومقصود وناجح) ويضيف قائلاً : نميل إلى ترجيح أن ورقة وخديجة مثلا نقطتين حاسمتين في تكوين شخصية محمد ، باستدراج محمد الشاب - عبر تعيينه مدير أعمال تجارتهم ثم الزواج - إلى دائرة الفكر النوفلي - نسبة إلى ورقة بن نوفل[2] .

---

(1) **طيب تيزيني** (١٩٣٤ م -.....) كاتب أكاديمي ولد في حمص ومنها تلقى علومه ، وتخرج من ألمانيا حاملاً الدكتوراه في الفلسفة أولاً عام ١٩٦٧م ، والدكتوراه في العلوم الفلسفية ثانياً عام ١٩٧٣م ، عمل في التدريس في جامعة دمشق ، وهو عضو في جمعية البحوث والدراسات، من مؤلفاته : (الفكر العربي في بواكيره وآفاقه الأولى) و(مقدمات أولية في الإسلام المحمدي الباكر نشأة وتأسيساً) و(النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة)، و(روجيه غارودي بعد الصمت) و(من الاستشراق الغربي إلى الاستغراب المغربي).

(2) طيب تيزيني ، مقدمات أولية في الإسلام المحمدي الباكر ، دمشق ، دار دمشق ١٩٩٤م : ٢٦٠ و ٢٦٨ و ٢٧٠.

ويقرر من سمَّى نفسه «**أبـو موسـى الحريـري**»[1] في الكتـاب الـذي أصـدره تحت اسم : «**قس ونبي**» من سلسلة كتب : الحقيقة الصعبة :

أن **ورقة بن نوفل** كان المعلم الأول لمحمد ﷺ ، والقرآن كـان أهـم سـجل حوى تعليمات ورقة ، وتضمن الإرشادات الدينية والشرائع السلوكية التي لقنه إياها ثم درَّبه عليها ؟!.. لقد دبَّر القس كل شيء ونفذت **خديجة** كـل شيء عـلى كل وجه ، فهي التي كانـت تـسعى بـين القس والنبي وتشجعه ، وتـذهب إلى القس وتسترشده[2] .

من هو هذا القس ؟.

ورقة بن نوفـل بـن أسـد بـن عبـدالعزى بـن قـصي القـرشي الأسـدي ابـن عـم خديجة زوج النبي ﷺ، كـره عبـادة الأوثـان ،وطلـب الـدين في الآفـاق ، وقـرأ الكتب، وكان تنصر في الجاهلية.

قال ابن **حجر** : ظاهره أنه أقر بنبوته ولكنه مات قبل أن يدعو رسـول الله ﷺ الناس إلى الإسلام[3] .

والصحيح الذي عليه جمهور المؤرخين وكتاب السيرة وعلـماء الحـديث ، أن ورقة أدرك أوائل عصر النبوة ولم يدرك الدعوة.

---

(1) هذا اسم مستعار لراهب ماروني لبناني ، يسمى الأب (جوزيف قزي) عمره يتجاوز الستين عاماً ، ويلقي محاضرات في جامعة (الكسليك) بلبنان وبعض الجامعات الأخرى، خشي على نفسه أن يتعرض للقتل والاغتيال ، فاستعار هذا الاسم لكتابه، وقد أكـده (الأب فـادي غـوش) أحد تلاميذه .

(2) أبو موسى الحريري ، قس ونبي : ٤٧ وما بعدها.

(3) ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م: ٦٠٧.

ومهما يكن ، فإن ورقة آمن بنبوة رسول الله ﷺ ،سواء ثبتت له الصحبة أم لا ، ولكن العجب هو ما اكتشفه صاحب «**الحقيقة الصعبة**» من أن ورقة كان مدرِّب الرسول ومعلمه، لأن النبوة لا تكتسب عن طريق المدربين والمعلمين، وإنما هي اختيار رباني ، يخص بها من شاء من عباده ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾(1) .

ويقول «**أبو موسى**» : إن القرآن الذي توارثته أجيال المسلمين إلى هذا اليوم ، هو قرآن استقل بتأليفه عثمان بن عفان ، أما الإنجيل الذي علمه ورقة لتلميذه ، والذي يتلخص في كونه مجرد ترجمة عربية للإنجيل العبراني، فقد ضيعته الأيام ، وأخفاه التاريخ الملعون (2) .

قرآن رسول الله وقرآن عثمان ! .

هذا على غرار قولهم : إنجيل يوحنا ، وإنجيل لوقا ، فالأمر سواء بسواء، والمشكلة التي أرّقت بال «**أبي موسى**» أن القرآن الذي يقرؤه المسلمون اليوم، ليس ترجمة للإنجيل العبراني الصحيح ، بل دخل عليه كثير من التحريف والتزوير !.

لكنك إذا تأملت كتاب الله سبحانه وتعالى ، لرأيت نفسك أمام آيات مغموسة بجلال الربوبية ومظاهر الألوهية ، دون أن تجد أي مظهر لطبيعة بشرية أياً كانت !.

وإذا كان التاريخ ينبئنا أن ورقة عانى من ضعف الشيخوخة والهرم ، وأنه

---

(1) سورة الأنعام : ١٢٤.

(2) واقرأ في ص ٦ من مقدمة «قس ونبي» اللعنات الحارة التي يمطرها أبو موسى على التاريخ السيئ الملعون، لأنه أخفى أستاذية القس ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ .

ابتلي بالعمى والصمم ، فكيف يخاطبنا قائلاً : ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾[1] وهو المنكّس المأخوذ به إلى أرذل العمر[2] .

وقال آخر : لقد تعرَّض الحديث النبوي لعملية الانتقاء والاختيار والحذف التعسفية التي فُرِضت في ظل الأمويين وأوائل العباسيين أثناء تشكيل المجموعات النصية (= كتب الحديث) المدعوة بالصحيحة ، لقد حدثت عملية الانتقاء والتصفية هذه لأسباب لغوية وأدبية وتيولوجية وتاريخية[3] .

أو القول بأن الشك في صحة الحديث النبوي جملة يسببه هذا التزايد الفاحش للحديث الصحيح من النصف الأول من القرن الثاني إلى النصف الأول من القرن الثالث للهجرة من ١٧ (صحت عند أبي حنيفة) إلى ٣٠٠٠٠ ، ٤٠٠٠٠ ، ألا تكفي هذه الأرقام وحدها للشك في صحة ما ينسب إلى النبي وكلها روايات آحاد ؟.

فلقد تفاقم الوضع إلى حد لا ينفع فيه مجرد التحري الذي قام به البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب المجاميع في القرن الثالث الهجري[4] كما يقول بعض هؤلاء المؤولة.

---

(1) سورة يس : ٦٨.

(2) محمد سعيد رمضان البوطي ، هذه مشكلاتهم ، دار الفكر دمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م : ١٨٣.

(3) محمد أركون : تاريخية الفكر العربي الإسلامي ، ترجمة هاشم صالح ، مركز الإنماء القومي بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٦م : ١٤٦.

(4) عبد المجيد الشرفي : الإسلام بين الرسالة والتاريخ : ١٥٩ ، وقد أشار في الهامش إلى : أن الحديث وإن كان متواتراً فإن ذلك لا يفيد الصحة ، إذ التواتر لا يفيد اليقين ، ولذلك فإن القوانين الوضعية الحديثة لم تجعل منه حجة إثباتاً، ومثل لها بسريان الإشاعة رغم كذبها .

وينكر بعضهم حجية الحديث النبوي ويعتبر أن تلك الحجية منفية بأمر من الرسول ﷺ ؛ فإن شأن الحديث لعجيب حقاً فلقد احتفظ هو ذاته بما يفيد نهي الرسول عن تدوينه ، وأمرَه بألاّ يكتب عنه سوى القرآن ، أي بما ينسف مشروعيته من الأساس ، أراد النبي أن يكون القرآن وحده النبراس الذي يهدي المسلمين في حياته وبعد مماته [1] .

إن نهي النبي ﷺ الصحابة عن تدوين الحديث من الأمور الثابتة في التاريخ ، والسبب في ذلك إنما كان لخوفه من اختلاط الحديث بالقرآن [2] ،

أقول : كل هذا الكلام دخيل ، لأن التواتر ليس كما توهم من أنه انتشار خبر بين الناس في فترة معينة ، وإنما هو ما رواه جمع عن جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب وبشرط أن يكون مستند انتهائهم الحس : الرؤية أو السماع ، وعلى ذلك فإن الإشاعة ليست من المتواتر لأنها تبدأ في الغالب بنقل الفرد الواحد ، وأما القوانين الوضعية فإنها لا تقف عند حد التواتر في الإثبات بل تكتفي أحياناً بشهادة الآحاد ، ولو عُطِّل التواتر لَتعطّل الأكثر من معارفنا التاريخية والجغرافية ، إذ أكثرها متناقل إلينا بالتواتر.

(1) عبد المجيد الشرفي : الإسلام بين الرسالة والتاريخ: ١٧٦.

(2) ابن القيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٥٥ م : ٢٨٨ . وأما مارواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «**لا تكتبوا عني غير القرآن ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه**» رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم ، قال القاضي : كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كثير في كتابة العلم فكرهها كثيرون منهم وأجازها أكثرهم ، ثم أجمع المسلمون على جوازها ، وزال ذلك الخلاف . واختلفوا في المراد بهذا الحديث الوارد في النهي فقيل : هو في حق من يوثق بحفظه ، ويخاف اتكاله على الكتابة إذا كتب . وتحمل الأحاديث الواردة بالإباحة على من لا يوثق بحفظه كحديث : لما فتح الله مكة على رسوله قام فيهم، فحمد الله وأثنى عليه ثم خطب

وهناك أقوال وأفعال صدرت عن النبي ﷺ في مواضيع خاصة [1]، وربما كانت ذات ظرف آني ، لا يجوز كتابتها لئلا تنتشر وتستمر فقد يطرأ على الحكم نسخ.

وإذا اعترف هؤلاء المؤولة بحجية الحديث فإنها حجية لا تتجاوز ما يتضمنه من إرشادات عامة وأسس كلية تشرح ما جاء في القرآن الكريم من تعاليم أخلاقية كونية .

قال أحدهم : في هذا السياق يجب أن نفهم أقوال الرسول الخاصة بوجوب اتباع سنته بأن المقصود بها أقواله وأفعاله الشارحة والمبينة لما ورد

فقام رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاه فقال له: يا رسول الله اكتب لي. فقال رسول الله ﷺ : اكتبوا لأبي شاه.

وحديث صحيفة علي رضي الله عنه وحديث كتاب عمرو بن حزم الذي فيه الفرائض والسنن والديات . . وحديث كتاب الصدقة ونصب الزكاة الذي بعث به أبو بكر رضي الله عنه أنساً رضي الله عنه حين وجهه إلى البحرين وحديث أبي هريرة أن ابن عمرو بن العاص كان يكتب ولا أكتب (وسمى عبد الله بن عمرو بن العاص صحيفته هذه بالصادقة وقال : فيها ما سمعته من رسول الله ﷺ ، وليس بيني وبينه أحد .اهـ انظر طبقات ابن سعد : ٧ / ١٨٩)، وغير ذلك من الأحاديث . وقيل : إن حديث النهي منسوخ بهذه الأحاديث، وقيل : كان النهي حين خيف اختلاطه بالقرآن فالنهي خاص بوقت نزول القرآن خشية التباسه بغيره فلما أمن ذلك أذن في الكتاب، وقيل : إنما نهي عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة ؛ لئلا يختلط فيشتبه على القارئ في صحيفة واحدة ، ومنهم من أعلّ حديث أبي سعيد وقال : الصواب وقفه على أبي سعيد، قاله البخاري وغيره ، والله أعلم . اهـ .. [انظر شرح صحيح مسلم ليحيى بن شرف النووي ، وعون المعبود شرح سنن أبي داود لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي].

(1) كخصوصية الوصال للصيام فعن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ : **«لا تُوَاصِلُوا، قالُوا : فإنَّكَ تُوَاصِلُ يا رسولَ الله قال: إنّي لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ إنّ رَبّي يُطْعِمُني ويَسْقِيني»** رواه البخاري في كتاب الصوم باب الوصال ومن قال ليس في الليل صيام رقم الحديث : ١٨٢٨، ومسلم في كتاب الصيام باب النهي عن الوصال في الصوم رقم الحديث : ١٨٥٠ .

مجملاً في تعاليم القرآن ، وما سوى ذلك من الأقوال والأفعال يجب أن يدرج في سياق الوجود الاجتماعي للشخص التاريخي ، بمعنى أنها أقوال وأفعال غير ملزمة للمسلمين في العصور التالية [1].

ويقرر **جمال البنا** [2] حول السنة المطهرة أحكاماً بغاية الصرامة ، فهي محرفة ومن صناعة اليهود وأعوان السلاطين ! .

فيقول : وتكررت المأساة بالنسبة إلى السنة بل زادت ، لأن الله حفظ القرآن من التحريف ، ولكن السنة تعرضت لأسوأ أنواع التحريف والوضع ، والرواية بالمعنى ..إلخ، بحيث إن المسلمين عندما أخذوا بها ظانين أنهم يأخذون ما قرره الرسول ، فإنهم في أغلب الحالات أخذوا بشيء آخر قرره اليهود أو أعداء الإسلام أو حاشية السلطان [3].

---

(1) نصر حامد أبو زيد : النص، السلطة، الحقيقة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ١٩٩٥م : ١٧ ، وراجع الفكرة نفسها ، عبد المجيد الشرفي : الإسلام بين الرسالة والتاريخ : ٩١-٩٣.

(2) **جمال البنا** : (١٩٢٠م ـ .....) ولد في المحمودية محافظة البحيرة ، شقيق مؤسس جماعة الإخوان المسلمين «حسن البنا» لم يعش في جلباب أخيه ، وجاء في كتابه «نحو فقه جديد» بما ينقض عرى السلفية ، ويستبعد الإجماع الذي يراه خرافة لا يمكن أن تتحقق ، ويرفض عدول الصحابة ويرى أنهم قد يكذبون في الحديث ، ويرى أن كتب الحديث تعج بالأحاديث الموضوعة بما فيها الصحاح لذا وضع كتابه : «تجريد البخاري ومسلم من الأحاديث التي لا تلزم» وبهذا المنهج يضرب في الصميم قلعة الفقه ، لأن هذا الفقه قام على أساس السنة ، ويستبعد النسخ من القرآن نهائياً حتى في حال التعارض المؤكد بين النصوص، ويطرح بدائل أخرى مثل «اختيار الأصلح» من بين أي نصين يتعارضان! وأوصى مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر بمصادرة كتابه «مسؤولية فشل الدولة الإسلامية» وله كتاب «السنة» و «تفسير القرآن بين القدامى والمحدثين» و «ما بعد الإخوان المسلمين» .

(3) جمال البنا ، ما بعد الإخوان المسلمين ، دار الفكر الإسلامي ، القاهرة ١٩٩٦م : ١٠٩ .

إن هذا الكلام لا يصمد أمام البحث ، فهو يقرر أن السنة من صناعة اليهود أو أعداء الإسلام أو أعوان السلاطين ، دون مقدمات وأسس منهجية واستقراء واستقصاء ،فمن أين استقى هذا ؟ وما هي أدلته ؟.

إن التاريخ يذكر أن كعب الأحبار(1) ووهب بن منبه(2) اعتنقا الإسلام ، ودخلت بعض مروياتهم في بطون كتب السنة .

فما حجم مرويات هؤلاء في كتب السنة أولاً ؟ .

وهل وجود بعض مروياتهم كاف لنسف السنة بأكملها ؟.

وما هو الدليل العلمي الذي يستند إليه من يشكك في إسلام هؤلاء الصحابة ؟.

إن جمهور علماء الأمة والمحدثين قرروا بموضوعية عدالة كل الصحابة ، بتعديل الله ورسوله لهم ، ولقد عقد الإمام الحافظ المحدث أبو بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي فصلاً نفيساً عن عدالة الصحابة في كتابه «**الكفاية في علم الرواية**» واعتمده الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني في

---

(1) **كعب الأحبار** : (٣٢هـ - ٦٧٠ هـ) كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري ، أبو إسحاق ، تابعي،كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن ، أسلم في زمن أبي بكر ، وقدم المدينة في عهد عمر ، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم من أخبار الأمم الغابرة، وأخذ هو من الكتاب والسنة من الصحابة ، وخرج إلى الشام ، فسكن حمص وتوفي فيها عن مائة وأربع سنين .اهـ .. [الأعلام لخير الدين الزركلي].

(2) **وهب بن منبه** (٦٥٤ م - ٧٣٢م) : مؤرخ عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات ، يعد في التابعين ، أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن ، وأمه من حمير ، ولد ومات بصنعاء ، وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها ، واتهم بالقدر ، ورجع عنه ، وحبس في كبره وامتحن ، وصحب ابن عباس ولازمه ثلاث عشرة سنة ، من كتبه (ذكر الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم) و (قصص الأنبياء) و(قصص الأخيار). اهـ .. [الأعلام لخير الدين الزركلي].

مقدمة كتابه «**الإصابة في تمييز الصحابة**» وذكر منهما مقتطفات القاضي أبو بكر ابن العربي في مقدمة كتابه «**العواصم من القواصم**» .

وقال الإمام الحافظ **أبو زرعة الرازي** [1] : إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول حق، والقرآن حق، وما جاء به حق ، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة ، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى وهم زنادقة [2] .

أما كعب الأحبار فقد قال عنه **محمود أبو رية** : إنه أظهر الإسلام خداعاً ، وطوى قلبه على يهوديته ، وأنه سلط قوة دهائه على سذاجة أبي هريرة لكي يستحوذ عليه وينيمه ، ليلقنه كل ما يريد أن يبثه في الدين الإسلامي من خرافات وأوهام [3] .

ونال منه أيضاً **أحمد أمين** فقال في فجر الإسلام : ويروي ابن جرير أنه جاء إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل مقتله بثلاثة أيام وقال له : اعهد فإنك ميت في ثلاثة أيام ، قال : وما يدريك ؟ قال : أجده في كتاب الله عز وجل في التوراة ، قال عمر : إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة ؟ .. قال : اللهم لا ، ولكن أجد صفتك وحليتك وأنه قد فني أجلك .

---

(1) **أبو زرعة** عبيد الله بن عبد الكريم الرازي (٨١٥م ـ ٨٧٨م): من موالي بني مخزوم ، من حفاظ الحديث وأحد أعلام الأئمة ، من أهل الري ، زار بغداد ، وحدث بها ، وتوفي بالري ، له (مسند) قال عنه الإمام أحمد : ما جاز الجسر أحفظ من أبي زرعة ، وقال الإمام أبو حاتم : إن أبا زرعة ما خلف بعده مثله.اهـ .. [الأعلام للزركلي].

(2) الحافظ المحدث أبو بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي : الكفاية في علم الرواية ، القاهرة ١٩٧٢م : ٤٩ ، و الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٢م : ١ / ١٠.

(3) محمود أبو رية ، أضواء على السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٥٨م : ١٧٢ .

وهذه القصة إن صحت دلت على وقوف كعب على مكيدة قتل عمر ثم وضعها هو في هذه الصيغة الإسرائيلية ، كما تدلنا على مقدار اختلاقه فيما ينقل ، وعلى الجملة ، فقد دخل على المسلمين من هؤلاء وأمثالهم - يريد كعباً ووهباً وغيرهما من مسلمة أهل الكتاب - في عقيدتهم وعلمهم كثير كان له فيهم أثر غير صالح [1] .

وهنا يتهم **أحمد أمين** في مؤامرة قتل **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه أن **كعباً** كان له ضلع في المؤامرة مستدلاً بما رواه **ابن جرير الطبري** في تاريخه.

وابن جرير وغيره من المؤرخين لم يلتزموا الصحة فيما ينقلون ويحكون ، ولذا نجد في كتبهم الضعيف والموضوع ، والباحث المنصف إذا نقل خبراً عليه أن يمحصه سنداً ومتناً ، وإذا عدنا إلى تاريخ الطبري فنجد الرواية :

عن سليمان بن عبد العزيز ، عن عبد الله بن جعفر ، عن أبيه ، عن المسور ابن مخرمة ؛ من أن كعب الأحبار قال له : يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميت في ثلاثة ، فقال : وما يدريك ؟ قال : أجده في كتاب الله عز وجل التوراة .... [2] .

إنَّ سند القصة ومتنها ، تنادي على نفسها بالكذب والاختلاق وذلك :

أ ـ لسقوط سندها فإن سليمان مجهول لم نجد له ترجمة ، وأبوه ساقط الحديث، وعبد الله بن جعفر لا بأس به، فأما أبوه جعفر فلا يعرف برواية أصلاً [3] .

---

(1) أحمد أمين ، فجر الإسلام ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٧٥م : ١٩٨ .

(2) ابن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية ، مطبعة دار المعارف سنة ١٩٦٧م : ٤ / ١٩١ .

(3) ابن حجر العسقلاني ، تقريب التهذيب ، تحقيق وتعليق عبد الوهاب عبد اللطيف ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر سنة ١٣٨٠هـ : ١ / ٤٠٦ ، وانظر الأنوار الكاشفة لما في كتاب (أضواء

ب ـ ولأنها لو كانت في التوراة لما اختص بعلمها كعب الأحبار وحده؛ ولشاركه العلم بها أمثال عبد الله بن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص ممن لهم علم بالتوراة.

ج ـ ولو صحت لكان المتوقع من عمر حينئذ أن لا يكتفي بقول كعب، ولكن يجمع طائفة من أهل الكتاب الذين أسلموا ولهم علم بالتوراة ويسألهم عن هذه القصة، وهذا هو المنتظر من أي حاكم عادي فضلاً عن عمر المعروف بالفطنة وتمحيص الأخبار، ولما لم يحصل شيء من ذلك دل على اختلاق القصة من أصلها.

د ـ وكذلك لو صحت لكان كعب يكشف عن نفسه بنفسه، وذلك باطل لمخالفته طباع الناس، فالمشترك في المؤامرة يبالغ في كتمانها حرصاً على نجاحها، وتفادياً من تحمل تبعتها بعد وقوعها [1].

ومن عجيب أمر هؤلاء الطاعنين أنهم يجعلون روايات المؤرخين حجة لا يأتيها الباطل بحال إذا كان لهم غرض في إثبات مضمونها، ويتشككون في روايات البخاري ومسلم إذا جاءت على غير ما يشتهون [2].

وأما قول أحمد أمين: وعلى الجملة، فقد دخل على المسلمين من هؤلاء وأمثالهم في عقيدتهم وعلمهم كثير كان له فيهم أثر غير صالح [3].

على السنة) من الزلل والتضليل والمجازفة، لعبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، المطبعة السلفية بالقاهرة، سنة ١٣٧٨هـ: ١١١.

(1) رمزي نعناعة، الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م: ١٨٠.

(2) محمد أبو زهو، الحديث والمحدثون، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٨ هـ ١٩٥٨م مطبعة مصر: ١٨٣.

(3) أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٧٥م: ١٩٨.

فإن ما يرويه **كعب** وغيره من أهل الكتاب ، لم يسندوه إلى رسول الله ﷺ ولم يكذبوا فيه على أحد من المسلمين ، وإنما كانوا يروونه على أنه من الإسرائيليات الموجودة في كتبهم ، ولسنا مكلفين بتصديق شيء من ذلك ولا مطالبين بالإيمان به بعد ما قال النبي ﷺ : «**مَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلا تُصَدِّقُوهُمْ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا : آمَنَّا بِاللهِ وَرُسُلِهِ،فَإِنْ كَانَ بَاطِلاً لَمْ تُصَدِّقُوهُ، وَإِنْ كَانَ حَقّاً لَمْ تُكَذِّبُوهُ**»[1] .

وإذا كانت هذه الإسرائيليات المروية عن **كعب** وغيره قد أثرت في عقيدة المسلمين، وكان له أثر غير صالح ، فليس ذنب هذا راجعاً إلى **كعب** وأضرابه ، لأنهم رووه على أنه مما في كتبهم ولم يشرحوا به القرآن ـ اللهم إلا ما يتفق من هذا مع القرآن ويشهد له ـ ثم جاء من بعدهم فحاولوا أن يشرحوا القرآن بهذه الإسرائيليات فربطوا بينها وبينه ، بل زادوا على ذلك ما نسجوه من قصص خرافية نسبوها لهؤلاء الأعلام ترويجاً لها وتمويهاً على العامة[2] .

وكذلك **محمد رشيد رضا** يرمي كعباً بالكذب ، ويتهم علماء الجرح والتعديل بأنهم اغتروا به وبوهب بن منبه وعدلوهما حيث يقول : فأنت ترى أن هذا الإمام المحقق ـ يريد ابن تيمية ـ جزم بالوقف عن تصديق جميع ما عرف أنه من رواة الإسرائيليات ، وهذا في غير ما يقوم الدليل على بطلانه في نفسه ، وصرح في هذا المقام بروايات **كعب ووهب بن منبه** ، مع أن قدماء رجال الجرح والتعديل اغتروا بهما وعدلوهما ، فكيف لو تبيَّن له ما تبيَّن لنا

---

(1) رواه أبو داود في كتاب العلم باب رواية حديث أهل الكتاب ، رقم الحديث : ٣١٥٩.

(2) محمد السيد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ، طبع دار الكتب الحديثة سنة ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م : ١ / ١٩٠.

من كذب **كعب ووهب** وعزوهما إلى التوراة وغيرها من كتب الرسل ما ليس فيها شيء منه ولا حومت حوله [1].

أقول : ما ذهب إليه **ابن تيمية** في مقدمته في أصول التفسير التي اعتمد عليها **محمد رشيد رضا** فيما نقل عنه صحيح ، ولكن العلة في فهم عبارة **ابن تيمية** التي لا تفيد ذلك الذي قاله ، وإنما تفيد أن ما جاء عن رواة الإسرائيليات، يتوقف فيه إذا كان هو مما هو مسكوت عنه في شرعنا ، ولم يقم دليل على بطلانه ، أما ما روي عنهم موافقاً لما جاء في شرعنا فهذا صحيح مقبول بدون توقف [2].

وعجباً من **محمد رشيد رضا** كيف يرمي **كعباً ووهباً** بالكذب جزافاً، وقد وثقهما جمهور العلماء ، وكيف يتهم علماء الجرح والتعديل الذين طهروا السنة من الدخيل بالغفلة والاغترار ، وهم أهل هذا الفن ، وهو نفسه يرتضيهم ويعتمد عليهم في كثير من المواقف التي يحتاج فيها إلى تصحيح حديث أو تضعيفه، ولا أدري ما هذا الكذب الذي تبين له من **كعب ووهب** وخفي عن شيخ الإسلام **ابن تيمية** ، وليته بيَّن لنا ما يستند إليه في دعواه .

لعله استند إلى حديث **البخاري** حينما قال : وقد علم أن بعض الصحابة رووا عن أهل الكتاب حتى عن **كعب الأحبار** الذي روى **البخاري** عن **معاوية** أنه قال : «**إن كنا لنبلو عليه الكذب**» ومنهم أبو هريرة وابن عباس [3].

---

(1) محمد رشيد رضا ، تفسير المنار ، طبعة المنار : ١ / ٩.

(2) ابن تيمية ، مقدمة في أصول التفسير ، طبعة دار القرآن ، القاهرة : ٢٦ ـ ٢٧ .

(3) محمد رشيد رضا ، تفسير المنار ، طبعة المنار : ١ / ١٠.

وهذا تفنيد لقوله ، حيث أثبت بنفسه أن **أبا هريرة وابن عباس** رضي الله عنهما وغيرهما من الصحابة ، أخذوا عن **كعب** ، وهل يعقل أن صحابياً يأخذ علمه عن كذَّاب وضَّاع ؟.

أما حديث **البخاري** الذي يشعر باديء ذي بدء بنسبة الكذب **لكعب** ، فإننا إذا رجعنا إلى شراح الحديث ، لوجدناهم جميعاً يشرحونه بما يبعد هذه الوصمة الشنيعة عن **كعب الأحبار** ، قال **ابن حجر العسقلاني** في فتح الباري : قوله «**إن كنا لنبلو عليه الكذب**» أي يقع بعض ما يخبرنا عنه بخلاف ما يخبرنا به ، قال ابن التين : وهذا نحو قول ابن عباس في حق كعب المذكور بدل من قبله فوقع في الكذب، قال والمراد بالمحدثين : أنداد كعب ممن كان من أهل الكتاب وأسلم فكان يحدث عنهم، وكذا من نظر في كتبهم فحدث عما فيها ، قال : ولعلهم كانوا مثل كعب إلا أن كعباً كان أشد منهم بصيرة وأعرف بما يتوقاه، وقال ابن حبان في (كتاب الثقات) أراد معاوية أنه يخطىء أحيانا فيما يخبر به ولم يرد أنه كان كذاباً ، وقال غيره الضمير في قوله «لنبلو عليه» للكتاب لا لكعب، وإنما يقع في كتابهم الكذب لكونهم بدلوه وحرفوه، وقال عياض يصح عوده على الكتاب ويصح عوده على كعب وعلى حديثه، وإن لم يقصد الكذب ويتعمده إذ لا يشترط في مسمى الكذب التعمد بل هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه ، وليس فيه تجريح لكعب بالكذب ، وقال ابن الجوزي[1] : المعنى أن بعض الذي يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذباً

---

(1) ولا يغرب عن بالنا أن ابن الجوزي صاحب ملكة في النقد ، وكان حرباً على الوضاعين ، فلو كان يرى في كعب أنه كان وضاعاً دساساً لما تردد في تجريحه ، ولما حمل كلمة معاوية على هذا المحمل الحسن.

لا أنه يتعمد الكذب وإلا فقد كان كعب من أخيار الأحبار[1].

قال الحافظ ابن كثير في تأويل الحديث: «قلت: معناه أنه يقع منه الكذب لغة من غير قصد، لأنه يحدث عن صحف هو يحسن بها الظن وفيها أشياء موضوعة ومكذوبة، لأنهم لم يكن في ملتهم حفاظ متقنون كهذه الأمة العظيمة»[2].

وإذا تتبعنا حياة كعب في الإسلام، ورجعنا إلى مقالات بعض أعلام الصحابة فيه، وأحصينا من تحمل منهم عنه وروى له، ومن أخرج له من شيوخ الحديث في مصنفاتهم، لوجدنا فيه ما يدحض هذه الفرية، ويشهد للرجل بقوة دينه وصدق يقينه، وأنه طوى قلبه على الإسلام المحض والدين الخالص، فقد أسلم كعب ـ على المشهور ـ في خلافة عمر رضي الله عنه وسكن المدينة وصحب عمر وروى عنه، وجمهور العلماء على توثيق كعب[3]،

---

(1) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، المكتبة السلفية، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ: ١٣ / ٣٤٦ رقم الحديث (٧٣٦١).

(2) أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ): تفسير القرآن العظيم، دار الفكر بيروت، ١٩٩٢م، ١٤١٢هـ: ٣ / ٥٠٤، عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

(3) ومن المعاصرين الذين طعنوا في كعب الأحبار، عبد السلام هاشم حافظ في مجلة (المجلة العربية محرم ١٣٩٩هـ كانون ١ ديسمبر ١٩٧٨م) العدد ١ السنة الثالثة، تحت عنوان: عثمان ابن عفان الخليفة الذي ضحى بنفسه، الصفحة: ٢٩، وكذلك طعن فيه: محمد وحيد خياطة في مجلة (نهج الإسلام) السورية، تحت عنوان: اللاسامية، العداء الأبدي لليهود، العدد ٤٦ السنة الثانية عشرة ـ جمادى الثانية ١٤١٢هـ كانون الأول ١٩٩١م: ١١٩.

وقد أخرج له مسلم بن الحجاج في صحيحه، وكذا أبو داود والترمذي والنسائي، ومن قواعد الجرح والتعديل أن: (من الوجوه التي يعرف بها ثقة الراوي، تخريج أحد الشيخين له في الصحيح وإن تكلم في بعض من خرج له فلا يلتفت إليه).

أما **وهب بن منبه**، فقد مرَّ ما قاله **أحمد أمين ومحمد رشيد رضا** في حق كعب ووهب، ولو رجعنا إلى ما قاله علماء النقد في شأن وهب، لتبين لنا أنه رجل منزه عما رمي به.

قال الذهبي: كان ثقة صادقاً كثير النقل من كتب الإسرائيليات.

وقال العجلي: ثقة تابعي، كان على قضاء صنعاء.

وقال أبو زرعة والنسائي: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات، والبخاري يوثقه ويعتمد عليه، وله حديث في صحيح البخاري.

ويروي مثنى بن الصباح: أن وهباً لبث عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوءاً.

ونحن أمام توثيق الجمهور له، واعتماد البخاري وغيره لحديثه، وما ثبت عنه من الورع والصلاح، لا نقول إلا أنه رجل مظلوم من متهميه .. وأنا على يقين أن هذا الرأي الذي أرتضيه في الحكم على **كعب ووهب**، سوف لا يرضي بعض الناس الذين تعقدت نفوسهم من ناحيتهما، لكثرة ما نسب إليهما من الإسرائيليات، والعاقل من لا تتحكم عقده النفسية في حكمه العلمي[1].

---

(1) محمد السيد حسين الذهبي، الإسرائيليات في التفسير والحديث، لجنة النشر في دار الإيمان دمشق، الطبعة الثانية ١٩٨٥م: ملخصاً من الصفحة ٩٥ إلى ١٠٦.

عود على كلام جمال البنا الذي اتهم السنة من صناعة اليهود وأعوان السلاطين ، وهو اتهام باطل ، لأن أكابر علماء السنة لم يكونوا على وفاق مع أهواء السلاطين ، فقد تعرض الإمام **البخاري** بسبب خلافه مع أمير بلده للنفي من وطنه ، وكذلك تعرض لمواقف مشابهة الإمام **النووي**، وسلطان العلماء **العز بن عبد السلام** ، وشيخ الإسلام **ابن تيمية** مات سجيناً في سجن القلعة بدمشق ، وتعرض الفقهاء أصحاب المذاهب الأربعة للاضطهاد أيضاً .

وأخبار العلماء وما لاقوه من شدائد في صراعهم مع أهواء السلاطين كثيرة ، ويستطيع من أراد أن يراجعها بالتفصيل في مظانها الأصلية[1] .

ولا ننكر أن بعض السنة قد تعرض للدس والتحريف ، لكن الله عز وجل قيض لها الجهابذة من العلماء ، فميزوا الصحيح والمنحول.

أما فيما يتعلق بالقرآن الكريم فإنهم يعتبرونه المصدر المشروع للدين ، ولكنهم يحيطونه أيضاً بجملة من الشكوك من حيث التطابق بين ما هو بين يدي المسلمين اليوم وبين ما جاء به الرسول ﷺ ، وذلك جراء ملابسات تتعلق بجمعه وتدوينه وترتيبه ، وكان لهذه الشكوك آثارها على تأويل المعاني القرآنية المتعلقة بالأحكام العملية على وجه الخصوص.

ومما يثير الاستغراب أن بعض أصحاب المؤلفات في هذا الشأن لم يحددوا تحديداً بيّناً قاطعاً طبيعة القرآن ، هل هو وحي من الله عز وجل أو هو إنتاج بشري من الرسول نفسه كما ذهب إلى هذا المستشرقون، وبعضهم أكد على بشريته تمهيداً لنكرانه وقال بأن القرآن ليس إلهي المصدر في لغته وأحكامه .

---

(1) جمع طائفة من هذه الأخبار ، عبد العزيز البدري ، في كتابه : الإسلام بين العلماء والحكام ، منشورات المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ١٩٦٦م ، وعلي شحاتة وزميله في كتاب : مواقف حاسمة للعلماء في الإسلام.

وقال أحدهم : لو كان النص القرآني هو عين كلام الله فهذا يعني أن الله له جنس، وجنسه عربي، وأن كلام الله ككلام الإنسان يقوم على علاقة دال ومدلول[1].

إن احتجاج صاحبنا بهذا الأمر هنا هو احتجاج باطل يقيناً ، فلو قرأ أحدنا في صحيفة ما على سبيل المثال ، خطاباً لرئيس تركي مترجماً إلى العربية ، فهل يمكن أن يُتخذ وجود الخطاب مكتوباً باللغة العربية دليلاً على كون الرئيس التركي عربياً لغة وجنساً ؟!.

ومادمنا لا نعتبره كذلك لأن الخطاب إنما كان بالتركية وقد صيغ بالعربية بالترجمة نقلاً .. أفكان يخطر ببالنا مثل هذا التساؤل عن جنس المتكلم ولغته ؟[2].

إنَّ إثارة هذه المسألة سفسطائية وليس وراءها محصول .

وينطلق كثير من هؤلاء في شكوكهم بموثوقية القرآن من مبدأ أنه نقل من النبي ﷺ إلى من بعده شفوياً ثم كتابة ، وأن النقل هو في أصله غير موثوق به أن يكون المنقول مطابقة صورته عند المنقول منه لصورته عند المنقول إليه ،إذ لا بدَّ أن يحدث اختلاف بين الصورتين مهما كان عليه الناقل من درجة في الصدق والتحري[3] ثم إن تحول المنقول من صورته الشفوية إلى صفته المكتوبة يعرِّضه لا محالة إلى تفاوت بين الصورتين بالزيادة أو النقص أو

---

(1) محمد شحرور : الكتاب والقرآن قراءة معاصرة : ٧٢.

(2) سليم الجابي ، القراءة المعاصرة للدكتور محمد شحرور مجرد تنجيم ـ كذب المنجمون ولو صدقوا ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٢م : ٢ / ٢٣.

(3) عبد المجيد الشرفي : الإسلام بين الرسالة والتاريخ : ١٣٧، أنجز هذا الكتاب خلال إقامة متفرغة بمعهد الدراسات المتقدمة ببرلين ، وكان على حساب هذا المعهد.

بالتغيير إن بأقدار كبيرة أو صغيرة[1].

وقد لعبت السلطة السياسية على رأي بعض هؤلاء في هذا التغاير بين الصورتين دوراً كبيراً، إذ استعملت نفوذها لإقرار صورة بعينها من صور القرآن أثبتتها مصحفاً، ومنعت صوراً أخرى وأتلفتها[2].

ويقول أحدهم: إن القرآن خضع في أثناء جمعه، لعمليات أدت إلى اختراق متنه زيادة ونقصاناً، وذلك بتأثير المصالح السياسية المتصارعة خصوصاً التكوينات السياسية والإيديولوجية الإسلامية الناهضة[3].

ثم يقول: وعدم جمع القرآن زمن النبي يدل على أنه لم يكن هناك شيء حاسم على الأقل، وأن إنجاز هذه العملية لاحقاً قد اعترضته صعوبات كثيرة وجدية.. وإذا أخذنا بما نقله إلينا بعض المحدثين والفقهاء مثل البخاري ومسلم والترمذي من أن حجم نص القرآن الحقيقي ليس هو هذا الذي نجده في (مصحف عثمان) أفليس من المحتمل حينئذ أن نرجع أسباب ذلك الوجه الإشكالي إلى هذا الأمر؟.

فالكثير من السور والآيات زيدت أو نقصت أو أبعدت، بحيث لم يعد صحيحاً - بالاعتبار الوثيقي التاريخي - أن يقال: بأنه لم يطرأ على النص المعني أي تغيير، وبأننا نملك الآن هذا النص في حجمه الأساسي تماماً[4].

---

(1) محمد أركون: الفكر الأصولي واستحالة التأصيل: ١٣٥، وراجع أيضاً شرح المترجم في التعليق أدناه.

(2) المصدر السابق: ٢٨٤، وهو يشير إلى ما فعله عثمان رضي الله عنه من إقرار المصحف الإمام ومنع تداول غيره.

(3) طيب تيزيني، النص القرآني أما إشكالية البنية والقراءة، دمشق، دار الينابيع ١٩٩٧م: ٦٣.

(4) المصدر السابق: ٦٥ و ٢٥٣.

وكل هذا من شأنه يضع القرآن الكريم كما وصل إلينا في دائرة الشك بالنسبة لصورته التي صدر بها عن النبي ﷺ .

ولعل من مظاهر هذا التفاوت بين صورتي القرآن والمصحف على رأي بعضهم هو ما انتهى إليه المصحف من ترتيب يخالف الترتيب التاريخي الذي كان عليه القرآن ، وهو ترتيب يبدو فيه التغيير متمثِّلاً في ضرب من الاعتباطية التي صار بها المصحف في ترتيبه لا يخضع لأي معيار عقلي أو منطقي[1] .

ولا يضير وقوع هذا التغيير في القرآن ذلك الوعد الإلهي بحفظه ، وذلك لأن الذكر الذي وعد الله بحفظه هو المحتوى وليس الظرف ، هو مضمون الدعوة فيما انطوت عليه من تبشير وإنذار ، ومن توجيه وإرشاد ، وليس الألفاظ والتعابير التي صيغت فيها تلك الدعوة[2] ولا غرابة في ذلك فإن بعض الآراء تذهب إلى أن الذي نزل على النبي ﷺ من الله تعالى إنما هي المعاني ، وأما اللغة فهي من تعبيره هو نفسه، وهذا الرأي هو في الحقيقة أقرب المواقف من المعقولية الحديثة[3] كما يقول أحدهم.

أما مشروع **محمد أركون** المعرفي التفكيكي فإنه يسعى من خلاله إلى بناء نمط معرفي جديد ، يتجاوز المرجعية الإسلامية المتمثلة في القرآن الكريم ، وهو يميز في القرآن بين ما يسميه الخطاب النبوي وبين الكلام الإلهي ، أما الكلام الإلهي فهو خطاب أزلي لا يقدر أي خطاب بشري على احتوائه ،

---

(1) محمد أركون : الفكر الأصولي واستحالة التأصيل : ١٣٥ ، وراجع أيضاً للمؤلف نفسه : الفكر الإسلامي نقد واجتهاد : ٩٠ .

(2) عبد المجيد الشرفي : الإسلام بين الرسالة والتاريخ : ٥٠ .

(3) المصدر نفسه :٣٧ .

وبالتالي يترجم النبي المعاني المستقرة في نفسه بخطاب إنساني متلبس بمقتضيات الزمان الذي قيل فيه الخطاب، ومن هنا لا يمكن رفع القرآن إلى مستوى الكلام الإلهي لأنه مجرد خطاب نبوي تلفظ به النبي **محمد** بما يتوافق ومستواه اللغوي ومقدرته البيانية، فالقرآن ليس إلهي المصدر في لغته وأحكامه، والقرآن الحالي **نسخة أرثوذكسية** فرضتها فئة من الصحابة على المسلمين.

ويسمي الآيات القرآنية بـ «**الوحدات النصية**» ويحاول هدر الطابع الإلهي للقرآن والتأكيد على بشريته تمهيداً لنكرانه والالحاد فيه [1].

إن هذه الشكوك في موثوقية النص الديني من شأنها أن تسمح بضرب واسع من التأويل لذلك النص، ويمكن للدارس أن ينطلق في درسه من افتراض صور أخرى للقرآن الكريم غير هذه التي وصلت إلينا، وتستدعى المعاني منها بدلاً من الصورة التي بين أيدينا.



(1) الحاج دواق بن حمنه آل بوعافية بحث بعنوان (الاستراتيجية الأيديولوجية لمنهج محمد أركون المعرفي) .اهـ .. موقع الشهاب على الشبكة العنكبوتية: http://www.chihab.net

المبحث الثاني
الظنية المطلقة لدلالة النص

٢ ـ الظنية المطلقة لدلالة النص الديني :

إنَّ معظم أصحاب القراءات المعاصرة يقررون أن النص الديني المتمثل في القرآن الكريم بلهَ الحديث النبوي هو نص ظني الدلالة بصفة مطلقة ، أي أنه يحتمل أكثر من معنى ، ولا يقتصر في دلالته على معنى محدد بحيث لا يحتمل معنى سواه ، ويترتب على ذلك أن أي فهم للنص الديني يدَّعيه أي مدَّع ينبغي أن يحظى بالاحترام، إذ يمكن أن يكون هو الحق ، وليس لأحد أن يدَّعي أن ما فهمه هو الفهم الصحيح دون غيره ، حتى ولو كان ذلك الفهم مما أجمعت عليه أجيال المسلمين منذ نزل الدين إلى اليوم.

لذا يؤكد أحدهم أن التأويلات الجديدة التي أتى بها ليست نهائية ولا هي ملزمة للأجيال القادمة ، فيقول : علينا أن لا ننسى أن التأويلات التي نؤولها في عهدنا قابلة للتطوير أو النقض على مر السنين ، لأن تأويلات عصرنا تقوم على أساس نسبية معرفتنا للحقيقة ، وهذا هو أهم بند علينا أن لا ننساه وعلينا أن نؤكد عليه للأجيال القادمة لكي لا تتحجر ولا تتزمت ، ولكي تكون روح المنهج العلمي في البحث عن الحقيقة هي المهيمنة على أجيالنا المقبلة [1].

وهذا كلام غير علمي ، إذا كانت هذه التأويلات قابلة للتطوير أو النقض، فمعنى ذلك أنها لا ترتكز إلى قواعد منهجية صحيحة وثابتة ، لأن المنهج الصحيح يعطي نتائج صحيحة.

---

(1) محمد شحرور، الكتاب والقرآن قراءة معاصرة : ٥٠٢.

إن ثلاثة من كبار المنظِّرين لهذا المذهب التأويلي على الأقل ، يتبنَّون هذا الرأي ويدافعون عنه ، ويرتفعون به إلى أن يكون أحد أسس مذهبهم .

يقول **أولهم عبد المجيد الشرفي** : بغض النظر عن احتماله [أي القرآن الكريم] مثل كل النصوص المكتوبة والدينية التأسيسية منها على وجه الخصوص لعدد يكاد يكون غير محدود من التأويلات حتى في الآيات التي تبدو في الظاهر صريحة، فإن الأصوليين لم يراعوا فيه لا الغايات المرصودة من الحلول الظرفية التي احتوى عليها، ولا السياقات المخصوصة التي وردت فيها الآيات التي كانت محل عنايتهم[1] .

ولا تظنن أن هذه الاحتمالية المطلقة إنما تتعلق بالأحكام الشرعية دون الأحكام العقدية ، إذ هي احتمالية شاملة لكل أحكام القرآن ، وهو ما يذهب إليه **منظِّر ثان** على نحو صريح وهو **محمد أركون** إذ يقول: القرآن هو عبارة عن مجموعة من الدلالات والمعاني الاحتمالية المقترحة على كل البشر ، وبالتالي فهي مؤهلة لأن تثير أو تنتج خطوطاً واتجاهات عقائدية متنوعة بقدر تنوع الأوضاع والأحوال التاريخية التي تحصل فيها أو تتولد منها ؛ فالقرآن نص مفتوح على جميع المعاني ولا يمكن لأي تفسير أو تأويل أن يغلقه أو يستنفذه بشكل نهائي[2] .

وإلى هذا الرأي يذهب **المنظِّر الثالث** وهو **نصر حامد أبو زيد** حيث يقول : لا اجتهاد في مجال العقيدة ، هذا ما يعلنه الخطاب الديني متجاهلاً أن العقائد

---

(1) عبد المجيد الشرفي : الإسلام بين الرسالة والتاريخ : ١٥٦ .

(2) محمد أركون : تاريخية الفكر العربي الإسلامي : ١٤٣ .

تصورات مرتهنة بمستوى الوعي وبتطور مستوى المعرفة في كل عصر[1].

وقال **لؤي صافي**[2]: إذا كانت العقيدة الإسلامية هي مجموعة من المفاهيم والتصورات المستنبطة عبر جهد اجتهادي من مصادر الوحي، فلا يصح اعتبارها مكافئة في محتواها المعرفي للتصور الكلي الثاوي في نصوص الوحي، بل يجب النظر إليها على أنها مقاربة للتصور الإسلامي الكلي للوجود، قابلة للتطوير والتعديل والتصحيح والتدقيق[3].

وقال **مصطفى محمود**: والله هو سائق القطار تفوق قدرته ومهارته مهارة جميع السائقين[4].

من مبادئ أصول الدين أنه لا يجوز أن يوصف الله سبحانه بغير ما وصف به نفسه، فإذا جاء في القرآن أنه تعالى «**الغني والعليم**» لم يجز لنا أن نقول مثلاً:

---

(1) نصر حامد أبو زيد: النص، السلطة، الحقيقة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٩٩٥م: ١٣٤.

(2) **لؤي صافي**: دمشقي المولد، تخرج من جامعة دمشق بالبكالوريوس بالهندسة المدنية، وتابع دراسته في أمريكا فحصل على الماجستير والدكتوراه في العلوم السياسية، وهو أستاذ شارك في الجامعة الإسلامية بماليزيا يدرس العلوم السياسية، ويساهم فيها بتطوير مشروع إسلامية المعرفة وتنظيم برامج نقل خبرة إسلامية المعرفة إلى الجامعات الأخرى، ويعمل حالياً عميداً لمركز البحوث، وعضواً بمجلس الجامعة، ومستشاراً علمياً في المعهد العربي للفكر الإسلامي، وفي مجلة شؤون الشرق الأوسط باللغة الإنكليزية، وله كتب منها: تحدي الحداثة والإنكليزية والعقيدة والسياسة والحقيقة والإصلاح، وشارك في ندوات ومؤتمرات علمية دولية.

(3) لؤي صافي، العقيدة والسياسة معالم نظرية عامة للدولة الإسلامية، المعهد العلمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م: ٥٦.

(4) مصطفى محمود، القرآن؛ محاولة لفهم عصري للقرآن: ١٨٨.

الثري المليونير، والأستاذ العلامة العبقري .. وإذا سمّى نفسه بالملك، فليس لنا أن نسميه بالقيصر أو الإمبراطور أو السيد الرئيس ! .. وإذا قال تعالى إنه ذو : ﴿ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[1] لم يجز لنا أن نقول : ذو التاج والصولجان، ويقول سبحانه : ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[2] فلا يجوز لنا أن نقيس عليه فنقول مثلاً : ذراع الله مع أذرعهم أو فوقها .

وهذا ما يغيب عن العصريين فيما يتصدون له من الكتابة في القرآن والإسلام بغير علم، فتجري أقلامهم بألفاظ وصفات لله تعالى، ينبو عنها الحس القرآني، كسائق القطار، فضلاً عن عدم جوازها بتاتاً في علم الأصول[3].

وشبيه بهذا، تورط المفسر العصري في حديثه عن «**المعمار القرآني، والموسيقى الباطنية للقرآن، والسيمفونية السباعية لسورة الفاتحة**»[4].

ويصف أحدهم الله عز وجل بالحرية دون الديمقراطية، تعالى الله عن ذلك، فيقول : **إن الله حر، ولكنه غير ديمقراطي، لأن ديمقراطيته تتطلب آلهة** مثله لكي يمارس حريته بالاتفاق معها ضمن مرجعية ما[5] .

ولا ينبغي أن يوصف الله عز وجل إلا بما وصف به نفسه، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[6]، وأما وصف الحر فهو نقيض لوصف العبد،

---

(1) سورة التوبة : ١٢٩.

(2) سورة الفتح : ١٠.

(3) بنت الشاطئ، القرآن والتفسير العصري (هذا بلاغ للناس)، مجلة اقرأ العدد ٣٣٥ نوفمبر سنة ١٩٧٠م، دار المعارف بمصر، رئيس التحرير : عادل الغضبان :٥٩.

(4) مصطفى محمود، القرآن؛ محاولة لفهم عصري للقرآن : ٧ و ٨ .

(5) محمد شحرور، الكتاب والقرآن قراءة معاصرة : ٤٣٨.

(6) سورة هود : ١٠٧.

وهما وصفان للخلق دون الخالق ، لأن الحر قد يصبح عبداً إذا استرق بالحرب ونحوها ، والعبد قد يصبح حراً بالعتق ونحوه ، فهما صفتان قابلتان للتغيير، والله تعالى فرد صمد لا يتبدل ولا يتغير ، لا في ذاته ولا في صفاته ، فمن ذا الذي يستطيع أن يعطيه صفة الحرية أو ينزعها منه ؟.

والديمقراطية التي فتن بها الناس اليوم لا ينبغي أن تكون مقياساً للخير ، فالمقياس هو العدل ، والله تعالى من أسمائه العدل ، وأما الديمقراطية فهي تخضع للهوى ، والابتزاز ، وشراء الأصوات ، وتسلط أرباب النفوذ ، وقرار الأغلبية الذي ربما كان مضراً بمصالح الأقلية ، وهي تصلح في الشر أكثر مما تصلح في الخير.

أما الإسلام فهو على عكس ذلك ، حيث يريد أهله الخير للجميع ، بل يقاتلون الطغاة من أجل أن ينعم الناس بالخير[1].

وهكذا نجد أن أصحاب القراءة المعاصرة جعلوا من هذه الفكرة مبدأ أساسياً من مبادئهم فيما سلكوه من تأويل .

* * *

---

(1) محمد رفعت زنجير ، اتجاهات تجديدية متطرفة في الفكر الإسلامي المعاصر ، منار للنشر والتوزيع ، ٢٠٠١ م الطبعة الأولى : ١٦٧ ، ومنير محمد طاهر الشواف ، تهافت القراءة المعاصرة ، الشواف للنشر والدراسات ، الطبعة الأولى ١٩٩٣م : ٦٠٣.

المبحث الثالث
حاكمية الواقع على النص

٣ ـ حاكمية الواقع على النص الديني :

نقصد بالواقع ما يؤول إليه تطوّر الحياة البشرية من أوضاع في الفكر والسلوك ، وما تنتهي إليه تلك الحياة من أحوال متمثِّلة في الأوضاع الثقافية والاجتماعية والاقتصادية وسواها.

وعلاوة على ذلك عند هؤلاء المؤولة مع ما توصلت إليه الحضارة الحديثة من أوضاع في مختلف أوجه الحياة .

هذا الواقع له سلطته على فكر هؤلاء المؤولة حتى جعلوه حاكماً على النص الديني ، بحيث تتحدد مدلولات هذا النص بما يفرضه هذا الواقع من أوضاع ، فيلوون أعناق مدلول النص لكي يطابق تلك الأوضاع.

يقول **محمد أركون** : « .... أما المسار الثاني ، فيتمثل في ترك مفهومي الإسلام والتراث مفتوحين أو غير محددين بشكل نهائي ومغلق ،لأنهما خاضعان للتغير المستمر الذي يفرضه التاريخ »[1] .

ومن البيّن أن المقصود بالذي يفرضه التاريخ ما ينتهي إليه الواقع الإنساني من أحوال وأوضاع .

وقال **نصر حامد أبو زيد** : وفي تقديرنا أن العودة للسياق الاجتماعي الخارجي ، السياق المنتج للأحكام والقوانين ، وتحديد أحكام النص على ضوئها ، يمكن أن يمثل دليلاً هادياً لا لفهم الأحكام فقط ، بل يفتح باب

---

(1) محمد أركون : الفكر الإسلامي ، قراءة علمية : ٢٠ .

الاجتهاد لتطويرها على أساس تأويلي منتج[1].

والمقصود بالسياق الاجتماعي الخارجي: الوضع الذي يجري به الواقع الاجتماعي.. إن القراءة الإيديولوجية في خطاب نصر حامد أبو زيد هي التي تدفعه للخفة والتهور، وذلك عندما يقول: أن النص منتج ثقافي[2].

وقال **محمد الشرفي** في هذا الشأن بصدد تعليقه على حكم الإرث: قد كان صالحاً في ذلك العصر، بل كان مثار إعجاب أحياناً، ولكنه ينبغي أن يُتجاوز اليوم، لأن الظروف قد تبدَّلت تبدُّلاً بعيداً، والأحوال تغيرت تغيراً كبيراً[3].

وقال **نصر حامد أبو زيد**: فإننا بنفس القدر لا نستطيع أن نتقبله ـ أي التراث ـ كما هو، بل علينا أن نعيد صياغته، فنطرح عنه ما هو غير ملائم لعصرنا، ونؤكد فيه الجوانب الإيجابية، ونحددها ونصوغها بلغة مناسبة لعصرنا، إنه التجديد الذي لا غناء عنه، إذا كنا نريد أن نتجاوز أزمتنا الراهنة، إنه التجديد الذي يجمع الأصالة والمعاصرة[4].

وقال **عبد الحميد أبو سليمان**[5]: ولكي تنجح الحركات الإسلامية المعاصرة في الحواضر الإسلامية عليها إجراء تجديد جذري في منهج الفكر الإسلامي

---

(1) نصر حامد أبو زيد: النص، السلطة، الحقيقة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٩٩٥م: ١٣٩.

(2) علي حرب، نقد النص، بيروت، المركز الثقافي العربي ١٩٩٣م: ٢٠٨.

(3) محمد الشرفي: الإسلام والحرية، الالتباس التاريخي: ١١٢.

(4) نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، بيروت، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة ١٩٩٦م: ١٦.

(5) **عبد الحميد أحمد أبو سليمان**: سعودي من مواليد مكة المكرمة، دكتوراه في العلوم السياسية جامعة بنسلفانيا (Pennsylvania)، رئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي، رئيس مؤسسة تنمية الناشئة / الولايات المتحدة الأمريكية، أول أمين عام للندوة العالمية للفكر الإسلامي، رئيس لقسم العلوم السياسية بجامعة الملك سعود بالرياض سابقاً، له كتاب: أزمة العقل المسلم.

ورؤيته الحضارية[1] .

ماذا يقصد الكاتب بالإصلاح الجذري ، هل يريد إصلاحاً جذرياً على طريقة **ميخائيل غورباتشوف**[2]، والبيريسترويكا[3]، والتي نسفت الشيوعية من جذورها ؟ .. وما هو البديل لديه ؟ .

ويقول **أدونيس**[4] : فما قيل وعمل في الماضي في مجال الثقافة ليس شأناً مطلقاً يجب تكراره والإيمان به ، وإنما هو نتاج تاريخي أي نتاج يتجاوزه

---

(1) عبد الحميد أبو سليمان ، أزمة العقل المسلم ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الرياض الطبعة الثانية ١٤١٢هـ ١٩٩٢م: ١٧٢ ، وعنوان هذا الكتاب (**أزمة العقل المسلم**) دون تحديد لعصر من العصور ، أو تقييدها بجانب معين من جوانب الحياة ،لا يخلو من شبهة ، لأن العقل المسلم يستند إلى التوحيد ، وإدانة هذا العقل الذي تحرك بالإسلام أربعة عشر قرناً ليست صواباً، وقد يستغلها بعض المتربصين بهذا الدين، لأن الإسلام هو الذي شكل العقل المسلم ، فإذا كان عقلها في أزمة ، فكيف يكون حال الأمم الأخرى ؟ فتعميمها دون تمحيص خلل منهجي.

(2) **ميخائيل غورباتشوف** : مواليد ١٩٣١ م ، عضو في الحزب الشيوعي السوفييتي منذ عام ١٩٥٠ إلى عام ١٩٩١ السكرتير الأول للّجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي ورئيس دولة اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية لفترة ١٩٨٥-١٩٩١، عضو (اللجنة الثلاثية) الماسونية منذ عام ١٩٨٩ ، مستشار في مجلس العلاقات الدولية، ورئيس فوند (صندوق) غورباتشوف ورئيس منظمة مونداليسيتسكوي (ميروفوي فورما)، له كتاب : البيريسترويكا.

(3) ميخائيل غورباتشوف ، البيريسترويكا ، ترجمه للعربية : حمدي عبد الجواد ، ونشرته دار الشروق ، القاهرة ١٩٨٦م، وكلمة البيريسترويكا : تعني الإصلاح.

(4) **أدونيس**، هو لقب اتخذه منذ ١٩٤٨م اسمه : **علي أحمد سعيد إسبر** ، ولد عام ١٩٣٠م لأسرة فلاحية فقيرة في قرية (قصابين) من محافظة اللاذقية، حفظ القرآن على يد أبيه ، كما حفظ عددًا كبيراً من قصائد القدامى.. أرسلته الدولة إلى المدرسة العلمانية الفرنسية في (طرطوس) وتخرج من الجامعة مجازًا في الفلسفة، التحق بالخدمة العسكرية عام ١٩٥٤م ، وقضى منها سنة في السجن بلا محاكمة بسبب انتمائه -وقتذاك- للحزب السوري القومي الاجتماعي الذي تركه عام ١٩٦٠م، غادر سوريا إلى لبنان عام ١٩٥٦م ، حيث التقى بالشاعر يوسف الخال وأصدرا معاً مجلة (**شعر**) في مطلع عام ١٩٧٥م، ثم أصدر أدونيس مجلة (**مواقف**) بين

التاريخ من حيث إنه تعبير عن تجربة محدودة لا تتكرر في مرحلة لا تتكرر[1].

إنها آمال كبيرة تدعي صياغة التراث بما يناسب العصر الراهن، لتعمل فيه معاول الهدم والحذف.

والهدف من هذا المشروع من إذكاء الوعي العلمي بالتراث هو: سحب البساط من تحت أقدام الأصولية الإسلامية السلفوية كما ينعتها **تيزيني** والمسكونة بهاجس العودة إلى الأصول الإسلامية الأولى، والتي كثيراً ما يعبر عنها (**إسلاميون أصوليون منظرون ومخططون**) ودعوته إلى تجاوز ذلك الموقف الملتبس المحتمل، وإلى تجاوز ما سماها بـ " القبليات الإيمانية في دراسة النص الإسلامي عموماً " والتي تعج بها القراءات الأصولية[2]- بحسب تعبيره التهكمي..

وهكذا يجعلون ما يجري به الواقع من أحوال وأوضاع هو الحاكم على مدلول النص الديني.

عامي ١٩٦٩ و ١٩٩٤م، درّس في الجامعة اللبنانية، ونال دكتوراه الدولة في الأدب عام ١٩٧٣م، وأثارت أطروحته (الثابت والمتحول) سجالاً طويلاً ،بدءاً من عام ١٩٨١م، تكررت دعوته كأستاذ زائر إلى جامعات ومراكز للبحث في فرنسا وسويسرا والولايات المتحدة وألمانيا، تلقى عددًا من الجوائز اللبنانية والعالمية وألقاب التكريم، ومنذ مدة طويلة يرشحه النقاد لنيل جائزة نوبل للآداب، وله مجموعات شعرية وترجمات ودراسات أهمها رسالته للدكتوراه (الثابت والمتحول بحث في الاتباع والإبداع عند العرب) وترجمت أعماله إلى ثلاث عشرة لغة.

(1) أدونيس: علي أحمد سعيد، الثابت والمتحول، بحث في الاتباع والإبداع عند العرب، ٣ـ صدمة الحداثة، دار العودة بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٨٣م: ٢٢٩.

(2) طيب تيزيني، النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، دمشق، دار الينابيع، ١٩٩٧: ٢٦ـ و٨٤، ونصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، بيروت، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى ١٩٩٠م: ١٧.

المبحث الرابع

إهدار التراث لفهم النص

٤ ـ إهدار التراث باعتباره فهماً للنص الديني:

التراث الإسلامي يمكن أن نعبر عنه بصور مختلفة ، فقد يقال : إن كل ما ورثناه عن أسلافنا هو تراث ، ويدخل فيه الدين ، وبعضهم يرفض وضع الدين ضمن التراث على أساس أن التراث فيه الحسن والقبيح ، ويمكن لنا أن ندع منه أو نأخذ ما نريد ، بينما الدين ليس كذلك ، فنحن ملزمون بالأخذ به .

أما الكتَّاب المحدثون فقد عرف أحدهم التراث الإسلامي بقوله : فإذا كان القرآن ليس تراثاً ، فما هو التراث العربي الإسلامي ؟ .. الجواب : التراث العربي الإسلامي هو تفاعل الناس مع القرآن ابتداء من النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة وصدر الإسلام ، مروراً بكل أنواع التفاسير على مر القرون ، هذا النتاج الفكري والحضاري الهائل الناتج من هذا التفاعل هو التراث العربي الإسلامي[1] .

وهذه مغالطة كبيرة ، فكلام الرسول ﷺ ليس تفاعلاً مع القرآن الكريم بل هو وحي من الله عز وجل ، فوفق هذا التعريف لا يكون كلام الرسول من التراث.

ولهؤلاء الكاتبين موقف متطرف إزاء التراث والعلوم الإسلامية ، فقد وصف أحدهم التراث بقوله : **(تراث الإرهاب والفصام النفسي)**[2] .

---

(1) محمد شحرور : الكتاب والقرآن قراءة معاصرة : ٢٠٩

(2)مجلة التجديد الماليزية في عددها الأول من السنة الأولى والصادر في يناير ١٩٩٧ م ، صفحة ٩ ، مقال : عبد الحميد أبو سليمان .

ولا أدري سبباً لهذا الرفض والكره لتراثنا الإسلامي ، هذا التراث الذي هو مفخرة الأمة وذخرها ، حتى رأينا الجامعات الغربية تعنى بجمع مخطوطاته ، وتوجه دارسيها ومستشرقيها إلى معرفته ، وتحليله ، والتعمق فيه .

وترى كثيراً منهم يُثني على هذا التراث العظيم[1] الذي لا مثيل له لأمة من الأمم[2]، أمثال : **مارمادوك وليم بكثول**[3] ، **ومحمد أسد**[4] **وموريس بوكاي**[5] ،

---

(1) محمد عمارة ، الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء .. وإنصاف العلماء ، دار الشروق ، القاهرة ٢٠٠٥م ، الطبعة الأولى : ٧٣ وما بعدها.

(2) أحمد محمد جمال، مفتريات على الإسلام ، رابطة العالم الإسلامي ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، الفصل الثامن : الإسلام لا يعوق التقدم العلمي ، مستشرقون منصفون يشهدون بذلك : ٢٢١ وما بعدها.

(3) **مارمادوك وليم بكثول** (١٨٧٥ - ١٩٣٦) ولد في لندن ، تعلم اللغة الفرنسية والإيطالية والألمانية والإسبانية ، أرسلته أمه إلى سوريا فتعلم العربية ودرس عادات أهلها وأخلاقهم ، أقام في مصر مدة وصنف فيها كتابيه: أبناء النيل ، والنساء المحجبات ، ونشر المقالات في الدفاع عن الإسلام وتوثيق صلاته بالنصرانية ، ثم سافر إلى تركيا وعند عودته منها أشهر إسلامه ، ودعي إلى الهند واشترك في إصدار مجلة الثقافة الإسلامية ، وتولى منصب إمام المسلمين في لندن ، وقضى ثلاث سنوات في ترجمة معاني القرآن .اهـ .. نجيب العقيقي (المستشرقون) : ٢ / ١٠٢ .

(4) **ليوبولد فايس (محمد أسد)** مستشرق نمساوي درس الإسلام بمنهج علمي قاده إلى اعتناق الإسلام وكتب في وصفه كتابين مهمين هما : الطريق إلى مكة ، والطريق إلى المدينة ، اهتم بتصحيح أخطاء المستشرقين عن الإسلام في مجلة الثقافة الإسلامية في حيدر آباد التي أنشأها بمعاونة وليم بكثول ، من أهم أعماله : الإسلام على مفترق الطرق ، أصول الفقه الإسلامي ، مبادئ الدولة والحكومة في الإسلام .اهـ .. انظر نجيب العقيقي (المستشرقون) : ٢ / ٢٩١.

(5) **موريس بوكاي** : ولد في فرنسا لأبويين نصرانيين كان من الأوائل في كلية الطب بفرنسا ، حتى أصبح أمهر جراح عرفته فرنسا الحديثة ، ولما كانت فرنسا من أكثر الدول اهتماماً بالآثار ، طلبت

وعبد الواحد يحيى(1)، ثم يأتي من أبناء المسلمين من ينعت هذا التراث بالفصام والإرهاب ! .

إنَّ الرسالة الإسلامية هي تلك الرسالة المضمَّنة في النص القرآني وفي نص الحديث النبوي ، وقد نظر المسلمون في هذا النص ، وكوَّنوا من نظرهم هذا فهماً لهذه الرسالة.

ولئن كان هذا الفهم يختلف في بعض الجزئيات والفروع ، فإن أصوله العامة وفروعه التي علمت من الدين بالضرورة ظلت قدراً مشتركاً في أفهام

من (مصر) في نهاية الثمانينات استضافة مومياء (فرعون مصر) إلى فرنسا لإجراء اختبارات وفحوصات أثرية ، وكان رئيس الجراحين والمسؤول الأول عن دراسة هذه المومياء الفرعونية هو البروفيسور (موريس بوكاي) وظهرت نتائج تحليله النهائية ، و لما سافر إلى المملكة السعودية لحضور مؤتمر طبي يتواجد فيه جمع من علماء التشريح المسلمين..وتحدث معهم عما اكتشفه من نجاة جثة فرعون بعد الغرق.. فقام أحدهم وفتح له المصحف وقرأ قوله تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ فصرخ بأعلى صوته: (لقد دخلت الإسلام وآمنت بهذا القرآن) وعاد إلى فرنسا مسلماً ومكث عشر سنوات يدرس مدى تطابق الحقائق العلمية والمكتشفة حديثاً مع القرآن الكريم ، فخرج بكتابه القيم : (القرآن والتوراة والإنجيل والعلم .. دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة).اهـ

(1) رينه جينون (ت ١٩٥١م) : عنى بالدراسات الصوفية والإسلامية ، وأصدر مجلة المعرفة لنشر الأبحاث عن الإسلام والبوذية وديانات الهند ، ثم اعتنق الإسلام ، على المذهب الإسماعيلي ، وتسمى باسم الشيخ **عبد الواحد يحيى** ، وأقام في حجرة على أحد سطوح القاهرة منذ ١٩٣٠م حتى وفاته ، فلقبته الصحافة الأوربية بفيلسوف القاهرة ، آثاره : سيف الإسلام ، والعقيدة الباطنية في الإسلام ، ومنطق الطير ، وأصدر عبد الحليم محمود كتاباً عنه بعنوان : الفيلسوف المسلم. اهـ .. نجيب العقيقي ، (المستشرقون) : ١ / ٢٨٩.

المسلمين اعتقاداً وسلوكاً من يوم أن نزل هذا الدين إلى يومنا هذا ، واستقرت عليه الأمة بجميع طوائفها وعلمائها وعامّتها معتبرة أن ذلك هو الدين الحق ، الذي تضمنته نصوص القرآن وبشر به النبي ﷺ .

ولكنَّ أصحاب القراءات المعاصرة لهم في هذا الأمر رأي آخر، وهو أن الدين الذي جاء به النبي ﷺ هو ليس هذا الدين الذي تديَّنت به الأمة منذ أربعة عشر قرناً ، وإنما هو دين آخر ما تزال النصوص متضمنة إياه ، وتنتظر من يستخرجه منها بأفهام أخرى ليست هي تلك الأفهام التي استقرت عليها الأمة .

والسبب أن فهم تلك الرسالة كان فهماً خاطئاً ، وتوالى الخطأ بالتناقل إلى اليوم، قال أحدهم : فإن التأريخ لأحداث القرن الأول للهجرة يستلزم إعادة النظر في أكثر من مسلَّمة ، ولا سيما فيما يتعلق بوفاء الأجيال الإسلامية الأولى لمبادئ الرسالة ، وهي التي كانت مدعوة إلى تجسيدها [1] .

وإذا كان المسلمون عامة قد وقعوا في هذا الالتباس في فهم الدين الفهم الصحيح، فإن العلماء منهم والفقهاء بصفة خاصة هم الذين يتحملون المسؤولية في ذلك ، فالفقهاء قد شيدوا فقهاً جوانب عديدة منه ، صنعها أناس ضداً على المبادئ القرآنية [2] .

وقواعد الفقه التي وضعها الفقهاء ليست في حقيقتها ذات طبيعة دينية ، وإنما هي قواعد من وضع بشر ، فكانت منافية للعدل والمساواة وحقوق الإنسان [3].

---

(1) عبد المجيد الشرفي : الإسلام بين الرسالة والتاريخ : ١٣٨، وقال في الصفحة ٩٨ : لم لم يتبنَّ الصحابة والتابعون ثم الأجيال المتعاقبة السائرة على خطاهم سوى الحلول التي تتجلى لنا اليوم منقوصة ، غير مرضية ، إن لم نقل مزيّفة ؟.

(2) محمد الشرفي : الإسلام والحرية ، الالتباس التاريخي : ٦٤ .

(3) المصدر السابق : ٩٧ .

وإنما سلك الفقهاء هذا المسلك تاركين الوجه الحق من الإسلام إلى الوجه الخاطئ منه إما لما كانت تسلط عليهم من ضغوط من قبل المجتمع الرجالي المستبدّ على النساء[1] ومن قبل السلاطنة السياسيين ، وإما خضوعاً منهم لدواعي الأهواء التي زيّنت لهم حبَّ الجاه والترؤس والترف والبذخ»[2].

وإذا كان المسلمون عامة والفقهاء والعلماء خاصة قد فهموا الدين على غير وجهه الحقيقي ، فإن باب الفهم الصحيح للدين مفتوح ليلجه الوالجون بقراءات وتأويلات جديدة يفضي إلى الوجه الحق من هذا الدين، وهذا الباب هو الذي يلجه اليوم هؤلاء المؤولة ليكون هذا المعنى أساساً من أسسهم فيما يرمونه من تأويل.

وأما العلماء والفقهاء الذين أسسوا هذا الفهم السائد للدين فمن أدراهم أن المسلمين لن يتبنَّوا في المستقبل فهماً أعمق وأفضل من فهم لم يسد في النهاية إلا أقل من أربعة عشر قرناً ، وهي فترة قصيرة في عمر الإنسانية الطويل ؟»[3].

ومن صيحات أصحاب القراءة المعاصرة : اسحبوا القرآن من أيدي علماء الدين ، لماذا ؟ .. هل لنضعه بين يدي أحد المهندسين ؟ .

---

(1) المصدر السابق : ١١١.

(2) عبد المجيد الشرفي : الإسلام بين الرسالة والتاريخ : ٩٩-١٠٦ - ١٤٨ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٨ وراجع شواهد كثيرة على أن الفقهاء والعلماء قد فهموا الدين على غير وجهه الحقيقي ، محمد الشرفي : الإسلام والحرية، الالتباس التاريخي : ٨١-٨٦ .

(3) عبد المجيد الشرفي : الإسلام بين الرسالة والتاريخ : ٩٣ ، وقد خصص المؤلف كل كتابه لشرح هذا المعنى، واختار له عنواناً يعكس محتواه ،إذ يوحي بأن الإسلام الذي هو رسالة جاء بها النبي ﷺ ليس هو الإسلام الذي تحقق في التاريخ ، وللغرض ذاته ألف محمد الشرفي كتابه : الإسلام والحرية ، الالتباس التاريخي وهو عنوان يوحي المعنى بذاته.

وقياساً على هذه الدعوة ، لا ندري ماذا سنسمع غداً من أصحاب القراءات المعاصرة ، ونترك لخيال القارئ أن يسرح مع شطحات هؤلاء ، الذين لا يضبطهم ضابط ، ولا يربطهم رابط ، ولا منطق ولا قانون ، فمن يدري أنهم سيقولون : اسحبوا الهندسة من أيدي المهندسين ، واسحبوا الطب من أيدي الأطباء ، واسحبوا البندقية من أيدي الجنود ، وهكذا ..

إنَّ الغرض من هذه الدعوة ، هو هدم المصدر الأول من مصادر التشريع ، بإخضاعه للتأويل تارة ، وللتعطيل تارة أخرى ، مع أن قواعد وأصول فهم القرآن وتفسيره ، باتت معروفة لأي مثقف ثقافة إسلامية ، فيما يسمَّى : قواعد تفسير النصوص [1] .

***

(1) شوقي أبو خليل ، قراءة علمية للقراءات المعاصرة ، دار الفكر بدمشق ، الطبعة الأولى ١٣١١هـ ١٩٩٠م : ٤٦.

المبحث الخامس
ذاتية القراءة للنص

٥ ـ ذاتية القراءة للنص الديني :

يتردد في مؤلفات أصحاب القراءات المعاصرة فكرة الذاتية المطلقة في قراءة النص الديني ، وبالتالي في التدين بما تفضي إليه تلك القراءة.

وخلاصة الفكرة أن النص الديني يخاطب الإنسان خطاباً مباشراً بصفة فردية ، ويحمله مسؤولية قراءته ونتائجها بصفة فردية أيضاً ، لذا يحق للفرد أن تكون قراءته الخاصة لهذا النص ينتهي فيها إلى ما يرتضيه من مدلولات بحرية مطلقة لا يحتكم فيها إلا إلى ضميره، ولا يحق لأحد أن يعيب على آخر قراءته لهذا النص والنتيجة التي توصل إليها.

وفي شرح هذا المعنى يقول **محمد أركون** : إن القراءة [قراءة النص الديني] التي أحلم بها هي قراءة حرة إلى درجة التشرد والتسكع في كل الاتجاهات ، إنها قراءة تجد فيها كل ذات بشرية نفسها [(1)] .

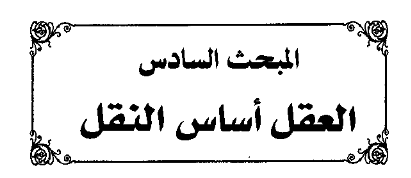
إن هذه القراءة للنص الديني المغرقة في الذاتية إلى حد التشرد والتسكع ستفضي لا محالة إلى أن يكون التديُّن بالدين الإسلامي فهماً وتطبيقاً تديناً ذاتياً أيضاً ، تتعدد صوره بين الناس بتعدد قراءاتهم للنص الديني ، ويكون الفيصل هو التحكم إلى ضميره الشخصي ، وبالتالي ينتهي هذا الاختلاف إلى أن يمارس كل عبادته بطريقته الخاصة التي تختلف عن طرق تعبد الآخرين ، فتترك الحرية للمسلم يتعبد بالصيغة التي يراها أنسب وأفضل[(2)] .

هذه أهم الأسس التي اعتمدها المؤولة الجدد من أصحاب القراءة المعاصرة للنص الديني .

---

(1) محمد أركون : الفكر الأصولي واستحالة التأصيل : ٧٦ .

(2) عبد المجيد الشرفي : الإسلام بين الرسالة والتاريخ : ١٢١، محمد الشرفي : الإسلام والحرية ، الالتباس التاريخي : ١٤٧ .



المبحث السادس

العقل أساس النقل

٦ ـ العقل أساس النقل :

لقد فتح المعتزلة الأوائل المجال للعلمانيين وأصحاب القراءات المعاصرة ومن سار على دربهم في النيل من الإسلام وعقيدته، حيث أطلقوا سلطة التحسين والتقبيح على حساب الشرع، فقدموا العقل على النقل، وقد نتج عن ذلك أنهم عطلوا صفات الله وقالوا بخلق القرآن وأنكروا رؤية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة، وأنكروا أحاديث الشفاعة في أهل الكبائر يوم القيامة وقالوا مرتكب الكبيرة يخلد في النار، وقالوا إن الله لم يستو على عرشه وأولوها بالاستيلاء، وتطاولوا على بعض الصحابة.

فسار ـ على تلك المنظومة وخاصة في القرنين المنصرمين ـ قلة من أبناء المسلمين فبعد **رفاعة الطهطاوي**[1] جاء **جمال الدين الأفغاني**[2]

---

(1) **رفاعة رافع الطهطاوي** (١٨٠١م ـ ١٨٧٣م) يتصل نسبه بالحسين السبط ، عالم مصري من أركان نهضة مصر العلمية في العصر الحديث ، ولد في طهطا ، وقصد القاهرة فتعلم في الأزهر ، وأرسلته الحكومة المصرية إماماً للصلاة والوعظ مع بعثة من الشبان أوفدتهم إلى أوربا لتلقي العلوم الحديثة ، ولما عاد إلى مصر ولي رئاسة الترجمة في المدرسة الطبية ، وأنشأ جريدة (الوقائع المصرية) وألف وترجم عن الفرنسية كتباً كثيرة منها :(قلائد المفاخر في غرائب عادات الأوائل والأواخر) مترجم وأصله لدبنج ، و(المعادن النافعة) وأصله لفيرارد ، ومبادئ الهندسة ، والمرشد الأمين في تربية البنات والبنين ، ونهاية الإيجاز في السيرة النبوية، توفي بالقاهرة .اهـ .. الأعلام لخير الدين الزركلي.

(2) **جمال الدين الأفغاني** (١٨٣٨م ـ ١٨٩٧م) مُصلح ديني مسلم ، تعاون مع السيد محمد عبده في إصدار مجلة (العروة الوثقى) في العاصمة الفرنسية ، حثَّ المسلمين على التحرر من الاستعمار ، يُعتبر أحد أبرز رجال الإصلاح المسلمين في القرن التاسع عشر ، وأكبر الداعين إلى الجامعة الإسلامية .

وتلامذته **محمد عبده**[1] **ومحمد مصطفى المراغي**[2] **ومحمد فريد وجدي**[3] وغيرهم وعلا صوت هذه المدرسة ، وسموا أنفسهم بالإسلام المستنير !!.

هذه المدرسة أعطت العقل أكثر من حقه حتى ساوته بالوحي ، وأوَّلت حقائق العقائد الإسلامية بما يتمشى مع الأحكام العقلية ومكتشفات الغرب

---

(1) **محمد عبده** (١٨٤٩م ـ ١٩٠٥م) : مُصلح ديني مصري ،يعرف بالشيخ والإمام ، ويُعد من كبار الدعاة إلى التجديد في العالم الإسلامي ، اختير مفتياً للديار المصرية عام ١٨٩٩م، وتعاون مع جمال الدين الأفغاني في باريس على إصدار مجلة العروة الوثقى ، لمحاربة الاستعمار والطغيان ، أشهر آثاره (رسالة التوحيد) طبعت مراراً وحازت على قبول كثير من النصارى، وله أيضاً (شرح نهج البلاغة) و(تفسير للقرآن الكريم) حالت منيته دون إتمامه .

(2) **محمد مصطفى المراغي** (١٨٨١م ـ ١٩٤٥م) باحث مصري عارف بالتفسير ، من دعاة التجديد والإصلاح ، وممن تولوا مشيخة الجامع الأزهر ، ولد بالمراغة (في الصعيد) وتعلم بالقاهرة ، وتتلمذ للشيخ محمد عبده ، وولي أعمالاً منها القضاء الشرعي ، فقضاء القضاة في السودان (سنة ١٩٠٨م ـ ١٩١٩م)، وعُين شيخاً للأزهر سنة ١٩٢٨م ، وتوفي بالإسكندرية ، ودفن في القاهرة ، له تآليف منها : (بحث في ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية) و (تفسير سورة الحجرات) و (وبحوث في التشريع الإسلامي) و (كتاب الأولياء والمحجورين).اهـ .. الأعلام لخير الدين الزركلي.

(3) **محمد فريد وجدي** (١٨٧٨م ـ ١٩٥٤م) من الكتَّاب الفضلاء الباحثين ، ولد ونشأ في الإسكندرية وأقام زمناً في دمياط وكان أبوه وكيل محافظ فيها ، وانتقل معه إلى السويس فأصدر بها مجلة (الحياة) ونشر رسالة له سمَّاها (الفلسفة الحقة في بدائع الأكوان) سنة ١٨٩٩م ، وكتاب (تطبيق الديانة الإسلامية على نواميس المدنية) ، وسكن القاهرة ، وأصدر جريدة (الدستور) اليومية ، ثم (الوجديات) وهي شبه مجلة أسبوعية، ونشر كتابه (دائرة معارف القرن الرابع عشر ، العشرين) وله كتاب (كنز العلوم واللغة) وهو من أنفس كتبه و(المرأة المسلمة) في الرد على (المرأة الجديدة) لقاسم أمين، و(نقد كتاب الشعر الجاهلي لطه حسين) ، وتولى تحرير مجلة الأزهر، واعتزلها قبل وفاته بعامين في بالقاهرة. اهـ .. الأعلام لخير الدين الزركلي.

ونظرياتهم، فأوّلوا المعجزات وأنكروا بعضها، كما أنكروا كثيراً من الأحاديث الصحيحة التي تخالف عقولهم.

وحاولت هذه المدرسة أن تقربَ بين المسلمين والكافرين، وتبرِّرَ الأخذ بحضارة الغرب، فقرَّبتْ من خلاله المسلمين من الكافرين، في حين لم تقرِّبْ كافراً من الإسلام.

وفي الآونة الأخيرة خرج إلينا كتاب منسوب **لمحمد أمين شيخو**[1]، جمعه **عبد القادر يحيى** الشهير **بالديراني**، وأسماه (**تأويل جزء عمَّ**)[2] حوى هذا الكتاب على أغلاط وأخطاء كثيرة ومثيرة، يغلب عليه التأويل الرمزي، يخالف فيه الأحكام الشرعية والمصطلحات، ويخالف قواعد اللغة العربية، ومناهج المفسرين وضوابط التفسير.

---

(1) **محمد أمين شيخو** (١٨٩٠م - ١٩٦٤م) : عاش طفولته يتيماً، فتولت الحكومة العثمانية تربيته، فدرس على نفقة الحكومة العثمانية، إلى أن تخرج ضابطاً من الأكاديمية العسكرية التركية، وعمل كضابط شرطة للعثمانيين، وبعد خروج العثمانيين من سوريا ودخول المستعمر الفرنسي، عمل ضابطاً عند الفرنسيين، وعند جلاء الفرنسيين عن سوريا ترك محمد أمين السلك العسكري، وأصبح يهتم بشكل أساسي بالأمور الدينية، لم يُكتَبْ لأفكاره الانتشار إلا بعد وفاته، حيث قام بصياغتها وإظهارها كل من : عبد **الهادي الباني، وعبد القادر الديراني**، اللذين كانا تلميذين لمحمد أمين شيخو .اهـ .. [أهكذا يكون فهم الإسلام، دراسة علمية نقدية لأهم أفكار محمد أمين شيخو على ضوء العلم والقرآن، أحمد إسماعيل راغب، دار العصماء، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م:٨].

(2) دقِّق معي في كلمة (**تأويل**)، إنهم يحذرون من كلمة (**التفسير**) ويتعجبون من الذي أدخل في عقول المفسرين كلمة (**التفسير**) لأن هذا يناقض قول رسول الله ﷺ حينما دعا لابن عباس رضي الله عنهما : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل، فحذار من التفسير لأنه يعني أن القرآن غامض مبهم، فكلمة فسّر معناها اللغوي كان مبهماً غامضاً فوضحه وأبانه، والقرآن ليس بمبهم ولا غامض، بل ظاهر بين، ويقولون : التفسير فقط للكافرين لأنه من الرواية والروايات مبنية على الدسوس، أما التأويل فللمؤمنين.

والمشكلة الأساسية عند هؤلاء القوم ، هي جعل العقل حاكماً على النقل، كما فعل المعتزلة، بل إن المعتزلة أعملوا عقولهم في مجال العقيدة (التوحيد) دون الشرعيات ؛ **فالزمخشري** على سبيل المثال ، كان من أعلام المعتزلة، ولكن مذهبه الفقهي كان حنفياً، وهؤلاء العقل عندهم هو الحاكم في مجال العقيدة والفقه والتشريع .

من انحرافات هذا الكتاب وضلالاته : زعمه أن الشيخ **محمد أمين شيخو** رسول أرسله الله ، كما في ص ٦ [التي ألزم بحذفها من الكتاب] وهذه دعوة كفر وإلحاد وزندقة في الدين [1] .

فعند قوله تعالى : ﴿ **فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ** ﴾[2] يؤولونها ويعتبرون (الحجارة) هي صفة للناس ، أي أن وقود النار هو الناس فقط ، والحجارة ليست من وقود النار[3] .

وإن أي عاقل يدرك ببساطة شديدة ، ومن خلال الآية الكريمة ، أن وقود النار هو الناس والحجارة،لأن كلمة «**الحجارة**» هنا اسم معطوف بالواو على الناس ، ولا يمكن على الإطلاق أن تكون كلمة «**الحجارة**» صفة للناس، وقَدَّم «**الناس**» على «**الحجارة**» لأنهم يعصون الله سبحانه ، ودخول «**الحجارة**» إلى

---

(1) خالد عبد الرحمن العك ، الفرقان والقرآن ، قراءة إسلامية معاصرة ضمن الثوابت العلمية والضوابط المنهجية، وهي مقدمات للتفسير العلمي للقرآن الكريم ، الحكمة للطباعة والنشر، دمشق ، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ-١٩٩٦م : ٧٠١.

(2) سورة البقرة : ٢٤.

(3) محمد أمين شيخو، تأويل الأمين للقرآن العظيم، جمع وتحقيق : عبد القادر الديراني، دمشق ، دار البشير : ١٦٦-١٦٩.

النار ليس لتعذيب **الحجارة** بل لتعذيب من كان يعبد الحجارة، والذي دفع هؤلاء إلى هذا التأويل ، أنهم لم يجدوا مبرراً لأن تكون الحجارة من الوقود.

وهذا الذي يقدمونه لا يسمى تأويلاً ولا تفسيراً بالمعنى الاصطلاحي ، ونستطيع أن نسميه قراءة معاصرة.

إن سيطرة الفكر الاعتزالي على جامعاتنا ومراكز الدراسات ، كان من الطبيعي أن يفرز ذلك المناخ، المنظومة الماركسية الحمراء ، ومنهم **حسن حنفي**[1] أستاذ الفلسفة على الفكر الاعتزالي ، فأخرج لنا مؤلفاته التي تسير على غرار المنظومة الماركسية ، ولما كان مصراً على الاحتفاظ باسم مسلم فإنه صار على منهج المتناقضات بغية التوفيق أو قل التلفيق ، وهكذا بكل صراحة يعلن **حسن حنفي** معاداته للقرآن ،فيقول مؤكداً للفكر الاعتزالي:

وقد ظهر أن العقل أساس النقل وأن كل ما عارض العقل فإنه يعارض النقل ، وكل ما وافق العقل فإنه يوافق النقل، ظهر ذلك لدى المعتزلة وعند الفلاسفة وظهرت لغة التخيل في الوحي، ومنطق البرهان في الفكر، ولم نسر في هذه الرؤيا ورجعنا إلى التشبيه والتجسيم والتقليد وجعلنا النقل أساس العقل، وآمنا بالوقائع الحسية المادية وراء التصوير الفني ، واعتمدنا على سلطة

---

(1) **حسن حنفي** : من مواليد القاهرة بمصر عام (١٩٢٥م) كاتب أكاديمي مصري حائز على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة السوربون ، وهو أستاذ الفلسفة في جامعة القاهرة ورئيس القسم فيها وهو السكرتير العام للجمعية الفلسفية المصرية التي يرأسها وزير الأوقاف في الحكومة، ، وأهم أفكاره في كتابه (التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم) صدر سنة ١٩٨٠م و(مقدمة في علم الاستغراب) صدر سنة ١٩٩٠ م، و(من العقيدة إلى الثورة محاولة لإعادة أصول الدين) صدر سنة ١٩٨٨م، و(الدين والثورة في مصر).

الكتاب في البرهان[1] .

ويتهكم **حسن حنفي** مقتبساً تعبيراً من شطر بيت للشاعر العلماني الفلسطيني **محمود درويش**[2] : **«واحتمى أبوك بالنصوص فجاء اللصوص»** .

ورجعنا إلى النص الأول نعطي له الأولوية على الواقع «احتمينا بالنصوص فجاء اللصوص»[3] .

---

(1) حسن حنفي ، **التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم** ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، الطبعة الخامسة ٢٠٠١م: ١٠٤ ، ولقد اخترت هذا الكتاب بصفة خاصة عن سائر كتبه لأنه أوضح عبارة وأخطر طرحاً في إفصاحه المباشر عن أطروحته اليسارية ولا تحتاج عباراته إلى تأويل أو تفسير، ولكي لا يتهمنا أحد بالتحامل على الدكتور حيث نفسر أقواله بما لا تحتمل، لذلك رشحت هذا الكتاب الذي يعتز به على الملأ وينادي بكل ما فيه.

(2) **محمود درويش** : في عام ١٩٤٢م وُلد الشاعر محمود درويش في قرية «البروة» بالقرب من عكا، سُجن في معتقلات الصهيونية ثلاث مرات: ١٩٦١ – ١٩٦٥ –١٩٦٧ وفي عام ١٩٧٧ وصلت شهرته إلى أوجها، حيث وُزع من كتبه أكثر من مليون نسخة، اختاره « ياسر عرفات » مستشاراً له ، أقام في بيروت وكانت حياته زاخرة بالنشاط الأدبي والثقافي، فقد أصدر منها في أواخر السبعينيات مجلة الكرمل التي رأس تحريرها والتي اعتبرت صوت اتحاد الكتاب الفلسطينيين، وكان من الرافضين للتراث الإسلامي واعتباره من مخلفات عصور الظلام والانحطاط ، يقول في أحد دواوينه : (**نامي فعين الله نائمة**)، وفي عام ١٩٩٣م وأثناء وجوده في تونس مع المجلس الوطني الفلسطيني، أُتيح له أن يقرأ اتفاق أوسلو، واختلف مع ياسر عرفات لأول مرة حول هذا الاتفاق ، وعندما تمَّ التوقيع عليه قدم استقالته من المجلس الوطني الفلسطيني، وعاد في يونيو ١٩٩٤ إلى فلسطين، واختار الإقامة في رام الله، وهو أحد أعضاء حزب ركاح الشيوعي في إسرائيل، وما زال الشاعر ابن الستين ربيعاً يعيش تحت سماء من دخان البارود الإسرائيلي ، توفي في عام ٢٠٠٨م .

(3) حسن حنفي ، التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، الطبعة الخامسة ٢٠٠١م : ١٠٤ .

هكـذا يعتقـد حـسن حنفـي أن الـنص الأول وهـو طبعـاً القـرآن الكـريم؛ فالتمسك بالقرآن يأتي باللصوص!! .. سبحانك هذا بهتانٌ عظيم.

وهذا نصر حامد أبو زيد لا يعترض على النصوص ذاتها ، بل على تقديسها واحتكار حق تأويلها ، فلـو لم يـشعر في قـرارة نفسه أنـه يملـك تـأويلاً جديـداً لتلـك النصوص لمـا تفـوَّه بهـذا الكـلام حيث قـال : يـساهم الخطـاب الـديني بطريقة غير مباشرة - وربما غير مقصودة - في تكريس ما يسمى بالنظام العـالمي الجديـد ، الـذي يعنـي هيمنـة الغـرب عـلى شؤون العـالم بعـد سقوط الدولـة السوفيتية ، دولة عبادة النصوص ، وسـيطرة الحـزب الـذي احتكـر وحـده حـق تأويل تلك النصوص[1] .

وكذلك يرى أحدهم : تقديم العقل على النقل عند التعارض وعدم إمكانيـة التوفيق لأن : النظر العلمـي يقتـضي إلحـاق الجزئـي بقاعـدة كليـة ، فـإن تعـذر نظرنا في إمكان تعديل القاعدة الكلية لدفع التعارض بين الكلي والجزئي، فإن تعذر فلا مفر من التوقف باعتبار الجزئي واستمرار العمل بالكلي ، أي التوقف في النص ، واعتماد منظومة القواعـد الكليـة التي تـشكل البنيـة الداخليـة لعقـل الناظر في النص[2].

ولا أرى إقحـام العقـل في تفاصـيل الإيـمان بالغيـب ، وصـفات الله ، والمتشابهات ، لأن العقل محدود العلم ، وما يجهله أكثر مما يعرفه ، فلا ينبغي أن يتـدخل فـيما يجهلـه فيـضل أو يتبـع الهـوى، وليـست جميـع العقـول مـستنيرة،

---

(1) نصر حامد أبو زيد ، النص ، السلطة ، الحقيقة : ١٤٧.

(2) لؤي صافي ، مجلة إسلامية المعرفة ، العدد (١١) شتاء ١٩٩٨م ، الـوحي والعقـل بحـث في إشكالية تعارض العقل والنقل : ٧٠.

ولذلك فسر أحدهم قوله تعالى : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾[1]؛ فقال : كيف تحمل ثمانية من الملائكة عرش الله ؟ أم هي ثمانية صفوف كل صف فيه ما لا نهاية من الملائكة ؟ أم هي ثمانية قوانين فيزيقية وميتافيزيقية ؟ ثم ما هو العرش ؟ أم هو رمز ؟ وما هو الكرسي ؟ إنه يوصف في آية الكرسي بأنه وسع السماوات والأرض ، فما بال العرش بأسره ؟ وكيف تحمله مخلوقات غير ما نعرف على الإطلاق ، ولعلها قوى كهرمغنطيسية هائلة ؟ ألا تمسك قوانين الجاذبية بالشمس والنجوم في فضاء الكون ؟[2].

على أن مصطفى محمود ما لبث أن كُشف له الحجاب عن ذلك الغيب كله ، فنشر في فتاويه بالمجلة [**مجلة صباح الخير**] رداً على بريد القراء، أن العرش الإلهي هو: قلب المؤمن ، وأن الكرسي هو : العقل ، أما اللوح المحفوظ فهو : جسد الإنسان يكتب فيه الله أو ملائكته؛ أقدارنا على الجينات الوراثية ![3].

حين أباح الأئمة الاجتهاد في التفسير لأهل الفقه والدراية ، أخرجوا الغيبيات من مجال الإباحة ، ونصوا على منع الاجتهاد في تأويلها ، وإنما حسبنا أن نتوقف فيها على ما جاءنا به الدين ، وهذا الذي جاءنا به التفسير العصري من عجيب التأويل رجم بالغيب.

إنَّ الحقيقة العلمية ليست تلك التي تؤيد الدين ، بل تلك التي يؤيدها الدين، لأننا نرى ما ثبت بالوحي هو الصواب المطلق ، وهو حق اليقين ، سواء

---

(1) سورة الحاقة : ١٧.

(2) مصطفى محمود ، القرآن ؛ محاولة لفهم عصري للقرآن : ١٢٩، دكتورة بنت الشاطئ ، القرآن والتفسير العصري (هذا بلاغ للناس) : ١٠١.

(3) بنت الشاطئ ، القرآن والتفسير العصري (هذا بلاغ للناس) : ١٣٢.

أدركناها بعقولنا أم لا ، فافتحوا نوافذ العقل يدخل هواء الإسلام النقي.

ورحم الله شيخ الإسلام **ابن تيمية** ـ رحمه الله ـ أن أخرج كتاباً كبيراً للناس أسماه «**درء تعارض العقل والنقل**» ، ومما قاله : إن صريح المعقول لا يعارض صحيح المنقول .

والعلمانية أساس الوحي عند حسن حنفي وحول هذا يتساءل ويفتري على الله الكذب ويقول : نشأت العلمانية استرداداً للإنسان لحريته في السلوك والتعبير وحريته في الفهم والإدراك ورفضه لكل أشكال الوصاية عليه ولأي سلطة فوقه إلا من سلطة العقل والضمير، العلمانية إذن رجوع إلى المضمون دون الشكل وإلى الجوهر دون العرض، وإلى الصدق دون النفاق، وإلى وحدة الإنسان دون ازدواجيته وإلى الإنسان دون غيره .. العلمانية إذن هي أساس الوحي؛ فالوحي علماني في جوهره والدونية طارئة عليه من صنع التاريخ، تظهر في لحظات تخلف المجتمعات وتوقفها عن التطور[1].

ونلاحظ في الفقرة السابقة بياناً صريحاً لدعوة حسن حنفي الإلحادية ؛ فالوحي أي القرآن أو الدين بصفة عامة اغتصب حق الإنسان في السلوك والحرية حسب زعم **حسن حنفي**، وأن العلمانية استردت هذا الحق المغصوب وأعادته للإنسان !!.

فالعلمانية ـ في رأيه ـ تؤدي إلى الصدق!! أما الدين والوحي والقرآن فيؤدي كل منهما إلى النفاق والكذب!! .

العلمانية ترفض أي أشكال الوصاية على الإنسان، والوصاية المقصودة هنا

---

(1) حسن حنفي ، التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، الطبعة الخامسة ٢٠٠١م : ٦٣ .

هـي نصوص القرآن والدين بصفة عامة، فالقرآن يضيق على حرية تعبير الإنسان، كما أن هذه العلمانية ترفض أي سلطة ـ أي النص القرآني ـ ويخلص حنفي إلى أن العلمانية جوهر ،والدونية طارئة عليه، والدين من صنع التاريخ!!.

بمعنى أوضـح : القرآن والدين الإسلامي نتاج بشري من صنع التاريخ ووليد ظروف اجتماعية متخلفة لأن الدين لا يظهر إلا في مجتمعات متخلفة توقفت عن التطور.

ومن المعلوم بداهة أن المقدمة إذا كانت باطلة فلابد أن تكون النتيجة باطلة تبعاً لذلك، ولما كانت العلمانية هي أساس الوحي حسب زعمه، فالنتيجة أن الوحي ليس ديناً ، وهذا ما سنجده في الفقرة التالية: «والوحي ليس ديناً بل هو البناء المثالي للعالم» [1].

ويطعن في آيات التحريم و يعتبر أن من أسباب فشل تغيير الواقع بالقديم ـ أي القرآن ـ هو الاهتمام بتحريم المحرمات، وفي ذلك يقول: البداية **بالمحرمات**، والتشديد في العقوبات، وإصدار قوائم للممنوعات، وجعل السلوك الإنساني تحقيقاً للنواهي دون ذكر للمباحات التي يمكن أن يتصل من خلالها بالطبيعة، وجعل العالم مواطن للشبهات لا يجوز للإنسان أن يحوم حولها خشية التردي فيها، هذا كله يمنع الثقة بين الإنسان والعالم.. والوعي السياسي يتطلب القضاء على كل هذه المحرمات التي تخضع لتحليل العقل ولوصف الواقع ، مما يعيد الثقة للإنسان بينه وبين العالم [2].

---

(1) حسن حنفي ، التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، الطبعة الخامسة ٢٠٠١م: ١٠١ .

(2) المصدر السابق: ٤٢.

هذه دعوى صريحة لرفض حكم الله والطعن في آيات الله عز وجل وقرآنه، فالبداية بالمحرمات ـ حسب زعمه ـ هي سبب فشل تغيير الواقع بالقرآن! .

ويقصد بقوله «البداية بالمحرمات» قول الله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾[1].

فهذه الآيات البينات الكريمات لا تعجب أستاذ الفلسفة، بل هي في زعمه سبب فشل تغيير الواقع عن طريق القديم!! أي عن طريق النص القرآني.

لم تسلم شعائر الدين الإسلامي من طعنه، ولم يسلم رسول الله ﷺ ولا حتى ذات الله واسمه الأعظم من افتراءات أستاذ الفلسفة، حيث يقول: إن العلوم الأساسية في تراثنا القديم مازالت تعبر عن نفسها بالألفاظ **والمصطلحات التقليدية** التي نشأت بها هذه العلوم، والتي تقضي في الوقت نفسه على مضمونها ودلالتها والتي تمنع أيضاً إعادة فهمها وتطويرها، يسيطر على هذه اللغة القديمة الألفاظ والمصطلحات الدينية مثل: **الله، الرسول، الدين، الجنة، النار، الثواب، العقاب** .. هذه اللغة لم تعد قادرة على التعبير عن مضامينها المتجددة طبقاً لمتطلبات العصر، نظراً لطول مصاحبتها للمعاني التقليدية الشائعة التي تريد التخلص منها، ومهما أعطيناها معاني جديدة فإنها لن تؤدي غرضها لسيادة المعنى العرفي الشائع على المعنى الاصطلاحي الجديد، ومن ثم أصبحت لغة عاجزة عن الأداء بمهمتها في التعبير والإيصال)[2] .

---

(1) سورة المائدة: ٣.

(2) حسن حنفي، التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الخامسة ٢٠٠١م: ١١٠.

انظر إلى هذا الافتراء وإلى هذه الجرأة الوقحة مع رب العزة سبحانه وتعالى، فلفظ الجلالة «**الله**» ما هو إلا لفظ قاصر ليس له واقع ولا يعبر عن شيء و«**الرسول والجنة والنار**» ما هي إلا ألفاظ جوفاء قاصرة لا تعبر عن واقع ولا عن شيء ، بل يدعو **حسن حنفي** إلى التخلص منها أي رفض الدين جملة وتفصيلاً!!.

ولفظ الجلالة « **الله** » يحتوي على تناقض حسب افتراءات **حسن حنفي** ؛ فحاشا لله أن يحتوي اسمه الأعظم على تناقض،ولكنه يشرح أسباب قصور اللغة القديمة ـ أي النص القرآني ـ فيقول: (إنها لغة إلهية تدور الألفاظ فيها حول « **الله** » ولو أنه يأخذ دلالات متعددة حسب كل علم، فهو «**الشارع**» في علم أصول الفقه.. وهو «**الحكيم**» في علم أصول الدين، وهو «**الواحد**» في التصوف، لفظ « **الله** » يستعمله الجميع دون تحديد سابق لمعنى اللفظ إن كان له معنى مستقل أو لما يقصده المتكلم من استعماله، بل إن لفظ « **الله** » يحتوي على تناقض داخلي في استعماله باعتباره مادة لغوية لتحديد المعاني أو التصورات، مطلقاً يراد التعبير عنه بلفظ محدود) [1] .

ويضيف أيضاً : **فالله** لفظ نعبر به عن صرخات الألم ، وصيحات الفرح ، أي أنه تعبير أدبي أكثر منه وصفاً لواقع، وتعبير إنشائي أكثر منه وصفاً خبرياً، وما زالت الإنسانية كلها تحاول البحث عن معنى للفظ الله)[2] .

انظر إلى قوله : (فما زالت **الإنسانية كلها**).. فلماذا كلها وليس بعضها؟! فهل هذا خطاب علمي موضوعي لرجل يزعم أنه أفنى عمره في البحث

---

(1) المصدر السابق : ١١٢.

(2) المصدر السابق : ١١٣.

والتنقيب، فكأنه يخوفنا بتعميماته ـ الإنسانية كلها ـ لكن المسلمين وحتى أصحاب الديانات الأخرى ، ضد هذه الأطروحة الإلحادية ، أليس المسلمون وأصحاب الديانات الأخرى من الإنسانية؟! .

بالطبع هذا هُراء علمي! وهذه طريقة الخطاب الماركسي في التعتيم والحتمية لإرهاب القارئ بأن ما يكتب مسلَّمة تاريخية!!.

وفي تطاوله المستمر على لفظ الجلالة « الله » يقول: (فالله عند الجائع هو الرغيف، وعند المستعبد هو الحرية، وعند المظلوم هو العدل، وعند المحروم عاطفياً هو الحب، وعند المكبوت هو الإشباع، أي أنه في معظم الحالات صرخة المضطهدين، والله في مجتمع يخرج من الخرافة هو العلم، وفي مجتمع آخر هو التقدم، فإذا كان الله هو أعز ما لدينا فهو الأرض، والتحرر، والتنمية، والعدل، وإذا كان الله هو ما يقيم أودنا وأساس وجودنا ويحفظنا فهو الخبز، والرزق، والقوت، والإرادة، والحرية، وإذا كان الله ما نلجأ إليه حين الضرر، وما نستعيذ به من الشر فهو القوة والعتاد، والاستعداد، كل إنسان وكل جماعة تسقط من احتياجاتها عليه، ويمكن التعرف على تاريخ احتياجات البشر بتتبع معاني لفظ « الله » على مختلف العصور .. ومن ثم فتوحيدنا هو لاهوت الأرض، ولاهوت الثورة، ولاهوت التنمية، ولاهوت النظام، ولاهوت التقدم، كما هو الحال في العديد من الثقافات المعاصرة في البلاد النامية التي نحن جزء منها)[1].

أقول : هكذا ظهر المخبوء ، وانكشف المستور ، وهكذا يفتري الرجل على

---

(1) المصدر السابق : ١١٣ وكذلك : ١٣٩.

اسم الله الأعظم «الله» تخرصاً ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (1) تعالى الله عما يقول حنفي علواً كبيراً .. أهذا ما يريده اليسار الإسلامي (2) لديننا!! .

أهكذا يكتب رجل عن رب العزة سبحانه وتعالى ؟!.

أهكذا يصل الخطاب تحت مظلة البحث العلمي بحق الله تعالى في منتهى

---

(1) سورة الأنعام : ٢١.

(2) ظهر هذا السلخ الجديد (**اليسار الإسلامي**)، فصار التاريخ الإسلامي يسار ويمين فالمعتزلة يسار، والأشاعرة يمين، والفلسفة بها يمين ويسار، فالفلسفة عند ابن رشد يسار، والفلسفة الإشراقية عند الفارابي وابن سينا يمين، والتشريع يمين ويسار، فالمالكية التي تقوم على المصالح المرسلة يسار، والفقه الافتراضي عند الحنفية يمين، وفي التفسير بالمعقول يسار ، والتفسير بالمأثور يمين، وفي التاريخ الفتنة الكبرى علي يسار، ومعاوية يمين. وخلاصة فكر هذه المدرسة: أنها امتداد للفكر الاعتزالي وما يسمى بالمدرسة الإصلاحية بزعامة جمال الدين الأفغاني و محمد عبده ومن رجال هذا التيار فتحي عثمان و محمد عابد الجابري وغيرهم، ويركز هذا التيار على الثورة والاشتراكية والعدل الاجتماعي وتجديد التراث وغير ذلك .. ويعتبر حسن حنفي أن اليسار الإسلامي هو النقد الذاتي للحركة الإسلامية وهو التيار المعارض والمصحح داخل هذه الحركة الإسلامية، كما أنه يجب إحياء الجوانب الثورية في الدين وتأويل كل حدث على أنه ثورة، إذ يقول: (ومهمة اليسار الإسلامي الكشف عن العناصر الثورية في الدين أو تأويل الدين على أنه ثورة، فالدين في ذاته ثورة وكانت الأنبياء ثواراً مصلحين ومجددين فقد مثل إبراهيم ثورة العقل ضد التقاليد وثورة التوحيد ضد التجسيم، ومثل موسى ثورة التحرر ضد الطغيان ، وكان محمد ثورة الفقراء والعبيد والمضطهدين ضد الأغنياء وسادة قريش وطغاتها من أجل إقامة مجتمع حرية وإخاء ومساواة، ويؤرخ القرآن للنبوة على أنها ضد المفاسد الاجتماعية والخلقية) .اهـ .. [العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، محمد حامد الناصر، مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الأولى : ٣٣٠ و٣٣٤].

السخف والاستهزاء بجناب رب العزة، فضلاً عن الاستهزاء بعقيدة أهل التوحيد؟.

لو طلب منه أن يكتب بحثاً أو مقالة في فرعون من الفراعنة ما اجترأ أن يتحدث بهذه الطريقة الإلحادية التي تدل على زندقة سافرة، (الله هو الرغيف!! والحب والتنمية والأرض والحرية و الرزق والقوت!!).

ورغم كل هذا يتبجح **حسن حنفي** عبر وسائل الإعلام مدعياً أنه مسلم يقدم مشروعاً حضارياً لينقذ به أمة الإسلام! .. ﴿سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾[1].

إنَّ الإسلام الذي يقدمه لنا من خلال مشروعه الحضاري اليساري لم ينزل على **محمد بن عبد الله** رسول الله ﷺ، وهذا الدين الذي يدعونا إليه **حسن حنفي** لم يعرفه الصحابة رضوان الله عليهم وسلف هذه الأمة !!.

ولقد كان الكاتب العلماني **عادل ضاهر** أكثر جرأة ووضوحاً منه ومن غيره في إفصاحه عن علمانيته بالمعنى الغربي الدقيق، فقد أساءه كتابة هؤلاء العلمانيين العرب الذين يسيرون على منهج التوفيق والتلفيق فنقدهم في مقدمة كتابه قائلاً: «والأخطر من هذا تدليلاً على تراجع الفكر العلماني عندنا، ما نشهده من محاولات حثيثة من قبل المفكرين العلمانيين لدعم موقفهم عن طريق اللجوء إلى الإسلام نفسه ـ **القرآن والسنة** ـ غير مدركين أنهم إنما يقدمون بهذا أكبر التنازلات للحركة المناوئة للعلمانية وأنهم ـ وهذا هو الخطر ـ يناقضون أنفسهم أيما تناقض إذ يجعلون النص الديني مرجعهم الأخير في مجال دفاعهم عن علمانيتهم، بينما العلمانية تقوم في المقام الأول على مبدأ أسبقية العقل على النص»[2].

---

(1) سورة النور: ١٦.

(2) عادل ضاهر، مقدمة كتاب: الأسس الفلسفية للعلمانية، دار الساقي، لندن.

وهكذا أراحنا **عادل ضاهر** وأراح نفسه وأعلن مفاصلته الكاملة للدين بل أعلن إلحاده .

أما الدكتور أستاذ الفلسفة فإنه لم يملك هذه الجرأة والشجاعة ، وراح يتكلم تحت جلباب الإسلام، والنتيجة واحدة في كلا الرجلين.. فكلاهما يهدم الإسلام .



الباب الثالث

ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : القراءة المعاصرة في الميزان .

الفصل الثاني : الحوافز والدوافع للقراءة المعاصرة .



الفصل الأول

القراءة المعاصرة في الميزان

ويشتمل على أربعة مباحث :

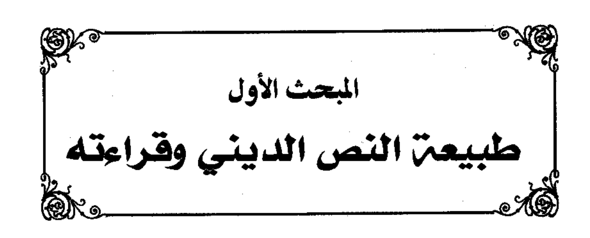
المبحث الأول: طبيعة النص الديني وقراءته .

المبحث الثاني : موثوقية النص الديني.

المبحث الثالث : موضوعية النص الديني.

المبحث الرابع : حاكمية النص على الواقع .





المبحث الأول
طبيعة النص الديني وقراءته

إن القراءة الجديدة للنص الديني تقتضي من الناحية المنهجية أن تكون منطلقة من طبيعة ذلك النص ذاته فيما يدَّعيه لنفسه من حقيقة ، وإذا أردنا أن نصل إلى نتائج نريدها أن تكون من مقتضيات ذلك النص ، فنعرض من خلال تلك القراءة نتائج نتحرَّى فيها أن تكون هي ما يريد النص أن يعرضه ، لا ما نريد نحن أن نقوله ، فنحن في قراءتنا مستكشفين للمعاني لا منشئين لها ، وهذا المعنى هو الذي سنجرِّد منه جملة من المبادئ نتّخذ منها ميزاناً لنقد القراءة الجديدة .

١ - طبيعة النص الديني وقراءته:

النص الديني : هو وحي من الله تعالى أنزله على نبيه ليبلّغه للناس، أما القرآن فبمعناه ولفظه ، وأما الحديث فبمعناه دون لفظه الذي هو من الإنشاء النبوي ، سوى الحديث القدسي على بعض الأقوال (1) .

---

(1) قال ابن حجر الهيتمي في شرحه على الأربعين النووية : اعلم أن الكلام المضاف إلى الله تعالى أقسامه ثلاثة :

أولها : وهو أشرفها : القرآن الكريم لتميُّزه عن البقية بإعجازه من أوجه ، **وثانيها** : كتب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل تغييرها وتبديلها، **وثالثها** : بقية الأحاديث القدسية : وهي ما نقل إلينا آحاداً ـ أي من غير اشتراط تواتره ـ عن النبي ﷺ مع إسناده لها عن ربه تعالى .. ويقال فيها : قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى.اهـ

أقول : الحديث القدسي : هو كلام الله تعالى ولكن لم يبلغ حد الإعجاز ولا التواتر ولا الخصائص التي اختص بها القرآن الكريم كحفظه من التغيير والتبديل وكحرمة مسه للمحدث

واللغة التي صيغ بها هذا النص هي اللغة العربية ، التي أصبحت جارية وفق قواعد وضوابط في تأديتها للمعاني سواء من حيث الألفاظ أو من حيث النظم .

ومن أهم الخصائص في هذا النص الديني أنه نص رسالي بقصد تبليغها للناس كي يفهموها أولاً، ويعملوا بها ثانياً ، ثم يحاسبوا عليها إيماناً بها وعملاً بمقتضاها.

إنه ليس نصاً يحمل تأملات ذاتية ، أو فلسفة شخصية ، أو يعرض وجهة نظر خاضعة للمناقشة .

والقارئ لهذا النص الديني يجب عليه منهجياً أول ما يجب أن تكون قراءته محكومة بالطبيعة التي رُكّب عليها ، والخصائص التي تميِّزه عن سائر النصوص ، من حيث كونه وحياً من الله تعالى ، وفق ما تقتضيه قواعد اللغة العربية التي صيغ بها، واللغة ذات قواعد وقوانين في الدلالة على المعاني لفظاً ونظماً .

فهل كانت القراءة الجديدة للنص الديني كذلك ؟ أبداً .

بل كانت قراءة تعاملت مع هذا النص كما لو كان أي نص بشري ، متجاوزة في كثير من الأحيان طبيعته اللغوية فيما تقتضيه قواعد وقوانين اللغة العربية من وجوه الدلالة على المعاني ، وهو الأمر الذي أوقع هذه القراءة الجديدة في مزالق كثيرة بدت في النتائج التي انتهت إليها.

وتلاوته لنحو الجنب وغير ذلك ، والقرآن نزل بواسطة جبريل ، أما الحديث القدسي فإنه بدون واسطة. راجع تفاصيل ذلك في : عبد الله سراج الدين : شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث : ٢١ وما بعدها ، و محمد عبد الله دراز : النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن : ١٥.

قـال الله تعـالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [1] ثـم علـق عـلى ذلـك أحـد أصـحاب القـراءة المعاصرة فقال : وبما أن الفرقان جاء معطوفاً عـلى القـرآن تـستنتج أن الفرقـان غير القرآن [2].

فقد أورد هذا الحكم وهو في غاية الغرابة ، صحيح أن المعطـوف في اللغـة العربية مغاير للمعطوف عليه ، ولكن الحكـم الـذي ذهـب إليـه المؤلـف جعـل المعطوف المجرور معطوفاً على مرفوع !.

إذ عطـف «الفرقـانِ» المجـرور بالكـسرة عـلى «القـرآنُ» المعطـوف عليـه والمرفوع بالضمة، ليخرج بحكم أن الفرقـان غـير القـرآن، لأن المعطـوف غـير المعطوف عليه! [3].

والخطورة الفظيعة أنه جعل هذا الخطأ النحوي الكبير أساساً يرتكز عليه .

وكذلك نجده قد بذل جهداً كبيراً كي يصل إلى تـشكيل مـساواة لغويـة غـير صحيحة هي : الكتاب = الموضوع.

ويصل إلى استنتاجه غير الصحيح البتة بقوله : وبما أنه أوحي إلى محمـد ﷺ عدة مواضيع، كل موضوع منها كتاب، فمن هذه الكتب القيمة : كتاب الخلـق، كتاب الساعة ، كتاب الصلاة ، كتاب الصوم ، كل هـذه المواضيـع هـي كتـب .. ومن الخطأ الفاحش أن نظـن أنـه عنـدما تـرد كلمـة كتـاب في المـصحف فإنهـا

---

(1) سورة البقرة : ١٨٥ .

(2) محمد شحرور : الكتاب والقرآن قراءة معاصرة : ٦٥ .

(3) ماهر المنجد ، الإشكالية المنهجية في الكتاب والقرآن دراسة نقدية ، دار الفكر بدمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م: ٩٣ .

تعني كل المصحف ، لأن الآيات الموجودة بين دفتي المصحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس تحتوي على عدة كتب «مواضيع» ... فعندما نقول : الصلاة كتاب يعني أن الصلاة هي من المواضيع التعبدية(1).

ولقد فات المؤلف أن فعل «كتب» وما يدور حوله من كلمات ، إذا تعدى بحرف الجر «على» كما ترى في قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾(2) اكتسب معنى جديداً هو «فرض» ولا ينبغ أن الصلاة موضوع تعبدي!!(3).

والمشكلة أن مؤلف القراءة المعاصرة يطلق العنان للسانه وقلمه في القول والكتابة دون تدبر وافٍ لما يبني عليه مفارقات معنوية بين التعبيرين فلاحظ الفرق الشاسع بين قوله : «كتاب الصلاة» وقوله «الصلاة كتاب» ويبدو واضحاً مرادنا إذا مثلنا بأمثلة : كتاب الرجل ، والرجل كتاب ، أو امرأة الرجل ، والرجل امرأة !!.

ويرد معنى «فرعون» و«هامان» إلى : فرع وعون ، أصلان صحيحان في اللغة العربية ، و«همن» للأخير ومن «هيمن»(4).

وفسَّر بعضهم قوله تعالى : ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾(5) اذهب إلى القلب (!) وهذا كلام لا يقال .

---

(1) محمد شحرور : الكتاب والقرآن قراءة معاصرة : ٥٢.

(2) سورة النساء : ١٠٣.

(3) عبد القادر محمد صالح ، التفسير والمفسرون في العصر الحديث ، عرض ودراسة مفصلة، لأهم كتب التفسير المعاصر ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م :٤٥٩.

(4) محمد شحرور : الكتاب والقرآن قراءة معاصرة : ٢٤٢.

(5) سورة طه : ٢٤ ، و سورة النازعات : ١٧.

ولكن «موريس بوكاي» أشار إلى أن اللفظين **«فرعون ـ وهامان»** هيروغليفيين تماماً، فكلمة **«فرعون»** تعني : البيت الكبير إشارة إلى القصر الملكي ، تماماً كما تسند الأمور إلى البيت الأبيض الأمريكي كمجاز عن رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية ، وبالتالي لا نستطيع أن نزعم كونه من «فرع وعون» العربيتين ، أما **«هامان»** فهو اسم لمنصب رئيس عمال المقالع [1].

ويقول أيضاً : إن **«البنون»** في قوله تعالى : ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾[2] معناه الأبنية ، واستأنف فقال : فصار معنى الآية .. المال والأبنية ، أي الأملاك المنقولة وغير المنقولة ، زينة الحياة الدنيا !!.

ودافع عن هذا التحكم فقال : ذهبنا ممسكين بالخيط الرفيع اللغوي الذي لا يجوز تركه، في تفسير البنون على أنها من «**بنن ـ بنى**» وعلى أنها جمع جمع للبنيان[3] .

وأظن أن خيطه الذي وصفه بأنه رفيع قد انقطع ، فالواو والنون في كلمة **«بنون»** ليستا من أصل الكلمة ، بل هما علامة رفع جمع السلامة وملحقاته ، فإذا حذفتا بقي من الكلمة **«بن»**، وذا دليل على أن أصلها ليس **«بنن»** كما زعم ، فإذا أبى هذا ، فهو مسؤول أن يبين للناس أين اختفت احدى نوني **«بنن»** .

«بنن» ثلاثة أحرف أصلية ، شأنها كشأن (لعن الكاذب ، وحرنت الدابة ، وكمن المجرم) فكما لا يصح بوجه من الوجوه ، أن تقول **«لع»** من **«لعن»** و **«حر»** من **«حرن»** و **«كم»** من **«كمن»**، لا يصح كذلك أن تقول : **«بن»** من **«بنن»**.

---

(1) موريس بوكاي ، مجلة الفيصل ، العدد ٢٢٣ ، الصادر في يونيو ١٩٩٥م .

(2) سورة الكهف : ٤٦.

(3) محمد شحرور ، دراسات إسلامية معاصرة في الدولة والمجتمع ١٩٩٤م : ٤٤ ـ ٤٥.

وربما أجابك بأن الكلمة ليست من «بنن» بل من «بنى» لذلك أتى بهما وبينهما معترضة « - » حذفت الألف من آخرها ، وذلك وارد في اللغة !! فيضطرك بهذه الزئبقية ، إلى أن تذهب إلى الحديث عن أن حرف العلة لا يحذف اعتباطاً ، وإنما يحذف لسبب غير متحقق هنا، وحذف الواو والنون من «بنون» لا يعيد هذه الكلمة إلى «بن» فهذه حرفان ، والاسم في العربية لا يكون من حرفين.

فإذا ضاق المخرج قال : «بنون» هي جمع جمع لـ «البنيان»، فيضطرك إلى الحديث عن أن جمع الجمع في العربية ، ليس قياسياً ،وإنما كلمات مسموعة لا تزيد ولا تنقص، وكلمة «بنون» ليست منها، وإنما هي ملحقة بجمع المذكر السالم [1].

ويقول أحدهم في تأويل سورة القارعة، عند قوله تعالى: ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾[2]:

والنار للمجرم أمٌّ لأنه يؤمها ، بسبب ما فيه من ألم وأوجاع ، وهي هاوية لأنه يهوي إليها ويرتمي في أحضانها، ليكون حريقها وسعيرها دواء له، يخفف عن نفسه آلامها وأوجاعها [3] .

إنه بهذا يثبت أن العذاب في النار جسدي، وليس نفسياً على الإطلاق، لأن الألم النفسي أشد أنواع العذاب وهو لا يطاق.

---

(1) يوسف الصيداوي ، العربية بين خراكوفسكي ودك الباب ، طبعة دار الفكر بدمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٥م : ١٢.

(2) سورة القارعة : ٩.

(3) محمد أمين شيخو ، تأويل جزء عم ، جمع وتحقيق : عبد القادر الديراني ، دمشق ، دار ابن هانئ ، ١٩٩١م : ٨٠.

قال الله تعالى : ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾[1].

إن الله تعالى أخبر في هذه الآية أنه سوف يدخل آل فرعون أشد العذاب، وإذا اعتبرت العذاب النفسي هو أشد أنواع العذاب فتكاً بالإنسان، فإن عذاب آل فرعون سيكون نفسياً، لأنهم يستحقون أشد أنواع العذاب.

وقال الله تعالى : ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾[2].

وجاء في **لسان العرب** : الغَمُّ والغُمَّةُ: الكَرْبُ ، والكَرْبُ: على وَزْن الضَّرْبِ مجَزْومٌ: الحُزْنُ والغَمُّ **الذي يأخذُ بالنَّفْس**، وجمعه كُرُوبٌ. وكَرَبه الأَمْرُ والغَمُّ يَكْرُبهُ كَرْباً: اشْتَدَّ عليه، فهو مَكْرُوبٌ وكَرِيبٌ، والاسم الكُرْبة؛ وإِنه **لَمَكْرُوبُ النفس**. والكَرِيبُ: المَكْروبُ. وأَمْرٌ كارِبٌ. واكْترَبَ لذلك: اغْتَمَّ.

إذن فالغم هو أمر نفسي، ويكون معنى الآية : أن أهل النار كلما أرادوا أن يخرجوا من ألم نفسي أعيدوا إلى ألم نفسي آخر،فالعذاب النفسي حاصل وهم في النار، فكيف يمكن أن ينكر العذاب النفسي في النار؟.

وكذلك يؤولون قوله تعالى : ﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾[3]أنها تحرر النفس من الجسد، ليثبتوا أن النعيم أيضاً نفسي، فالحرير عندهم يعني التحرر[4]، وهذا تأويل غريب لا تقبله اللغة العربية، والحرير: نوع من القماش.

---

(1) سورة غافر : ٤٦.

(2)سورة الحج : ٢٢.

(3) سورة الحج : ٢٣.

(4) محمد أمين شيخو، تأويل الأمين للقرآن العظيم ، جمع وتحقيق : عبد القادر الديراني ، دمشق، دار البشير : ٢٧٤.

وكذلك فعل أحدهم حينما أول قوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] بأن العذاب لأهل النار من «**العذوبة**» وجهنم دار نعيم للكافرين ، وأنهم على مزاج لو دخلوا به الجنة ، تعذبوا بها لاعتدالها ؟!.

ومن وجه آخر سمي عذاباً يقع به الآلام بشرى من الله لعباده ، أن الذي تتألمون به لابد إذا شملتكم الرحمة أن تستعذبوه وأنتم في النار ، كما يستعذب المقرور حرارة النار ، والمحرور برودة الزمهرير ، ولهذا جمعت جهنم النار والزمهرير ، لاختلاف المزاج ؛ فسمي العذاب عذباً لأن المآل إلى استعذابه لمن قام به بعد شمول الرحمة ، كما يستحلي الجرِبُ من يَحَكّهُ[2] .

ويعود هذا التأويل إلى المنهج الفلسفي الصوفي الباطني الرمزي، والقصد من ذلك إفساد العقيدة، وهدم بنيان الإسلام، وأنى لهم ذلك وقد حفظه الله سبحانه وتعالى .

طبيعة النص الديني عند المؤولة الجدد :

وأغلب أصحاب هذه القراءة لا نجد لهم في قراءاتهم تمهيداً يضبط طبيعة النص الديني من حيث كونه وحياً من الله تعالى ، ولا يفيد في هذا السياق تلك العبارات المعهودة والمتداولة التي يوردها هؤلاء مشيرة إلى نسبة القرآن إلى الله تعالى ، إذ يختلط فيها ما هو عادة جارية على الألسن بما هو تقرير للأمر على لسان من يؤمن بذلك ، والأولى منهجياً أن يحدد هؤلاء بصفة واضحة وجليَّة موقفهم من هذه المسألة ، وخاصة أنه صدرت عن بعضهم إشارات وتلميحات تقترب أحياناً من التصريح بما يفيد نفي صفة الوحي عن هذا النص .

---

(1) سورة البقرة :١٧٤.

(2) محمود غراب ، رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن ، من كلام الشيخ محيي الدين ابن عربي ، طبعة دمشق : ١ / ٦٣.

فقال أحدهم على سبيل المثال : فالوحي إذن هو مصدر علم النبي ، أي تلك الحالة الاستثنائية التي يغيب فيها الوعي ، وتتعطَّل الملكات المكتسبة ليبرز المخزون المدفون في أعماق اللاوعي بقوة خارقة لا يقدر النبي على دفعها ولا تتحكّم فيه إرادته [1] .

إنه قول يوشك أن يصرِّح بأن القرآن الكريم ليس إلا إنتاجاً بشرياً صادراً من لاوعي النبي ﷺ ، وتلك فكرة استشراقية معروفة [2] .

ثم على افتراض أن القرآن الكريم وحي من الله يرى هذا الكاتب نفسه أن الوحي إنما هو المعنى ، وأما اللفظ فإنه من إنشاء النبي بصفته البشرية [3] .

ثم على افتراض أن اللفظ أيضاً وحي من الله تعالى فإنه قد طاله التغيير البشري ، لأن وعد الله بالحفظ خاص بالمعاني دون الألفاظ [4] .

ولعل إقحام بعضهم تفسير الألفاظ بين ثنايا الآيات القرآنية ،هو «**الطعن العملي**» بعد أن تجاوز نهج «**الطعن النظري**» في القرآن الكريم ، فهو لا يريد أن يلفت إليه أنظار الغاضبين تمسكاً بخطة خبيثة ومهارة كبرى في التُّقْية ،حيث يضع القارئ أمام سياقات محكمة بدهاء وخبث، يخرج منها القارئ عملياً بنتيجة دُبِّرَ لها بليل ، وهي أن القرآن الكريم كلام عادي جداً بل أقل من العادي ، فيكون قد مكر بك وأرغمك على قراءة جزء من كلامه وجزء من الآية على تنغيم ووتيرة واحدة.

---

(1) عبد المجيد الشرفي : الإسلام بين الرسالة والتاريخ : ٤٢ .

(2) راجع هذه الشبهة الاستشراقية والرد عليها في : محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي : ٦٦ وما بعدها ، و محمد عبد الله دراز : النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن : ٣٦ وما بعدها ، ومالك بن النبي : الظاهرة القرآنية : ١٤٣ وما بعدها .

(3) عبد المجيد الشرفي : الإسلام بين الرسالة والتاريخ : ٣٧.

(4) المصدر السابق : ٥٠ .

من هذا التفسير العصري مثلاً[1] :

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ [أنصاراً] لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[2].

﴿ وَمَن يَعْشُ [ومن ينصرف] عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ [مصاحب وملازم] ﴾[3].

﴿ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى [عهدي] قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ﴾[4].

﴿ فَلَوْلَآ [فلو أنهم] إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ [يائسون تماماً] ﴾[5].

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ [على سليمان] مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ [عصاه] فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ [عذاب التسخير لسليمان] ﴾[6].

---

(1) هذه الآيات، وكل ما في التفسير العصري من الآيات، للدكتور مصطفى **محمود**، جاءت فيه بغير ضبط، ودون فواصل، أو علامات ترقيم !! ليلتبس الأمر على القارئ، ولسان حاله يقول: إنك قد تزيد كلاماً بشرياً في ما تعتقده كلاماً إلهياً فتكون الحصيلة كلاماً واحداً.

(2) سورة الأعراف: ٢٧.

(3) سورة الزخرف: ٣٦.

(4) سورة آل عمران: ٨١.

(5) سورة الأنعام: ٤٣ ـ ٤٤.

(6) سورة سبأ: ١٤.

وذلك الخلط بين كلام الله عز وجل، وكلام البشر لم يجرؤ عليه أحد فيما أعلم، ولا عهد لنا بمثله في أي كتاب إسلامي، وقد كان علماؤنا يتشددون في إنكار مثله في رواية الحديث، حفظاً لمتنه من أن يختلط بكلام الراوي، ولم يخطر لهم على بال، أن ذلك مما يمكن أن يقع في آيات القرآن[1].

أقول: بل تجاسر بعض أصحاب القراءة المعاصرة للقرآن الكريم على فعل ذلك، فهذا **محمد عابد الجابري**[2] يقول: [تبدأ السورة كما قلنا بتأكيد نبوة محمد (ص) فتقرر أن ما يأتي به وحي من الله ينقله إليه ملك قوي شديد هو جبريل:(والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، علمه شديد القوى ذو مرة)، ثم ترسم السورة مشهداً للقاء محمد مع جبريل أثناء نزول الوحي عليه:.. ذو مرة فاستوى (جبريل) وهو بالأفق الأعلى، ثم دنا فتدلى (جبريل) فكان قاب قوسين أو أدنى (لا تفصله عن محمد سوى مسافة قصيرة) فأوحى (الله) إلى عبده (محمد بواسطة جبريل ما أوحى) لقد رأى محمد (ص) جبريل يملأ الأفق كله فملك عليه ذلك جماع نفسه، ولم يعد هناك مجال لتطرق الشك إليه فيما رأى، فكيف تجادلونه وتشككون في أن يكون جبريل يأتيه بالفعل:﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ

---

(1) بنت الشاطئ، القرآن والتفسير العصري (هذا بلاغ للناس) : ١١٠.

(2)**محمد عابد الجابري** (١٩٣٥م - ....) من مواليد فجيج (وجدة - المغرب) دكتوراه الدولة في الفلسفة، كلية الآداب جامعة محمد الخامس بالرباط، حائز على عدة جوائز، ويتقن عدة لغات، يدعو إلى تجديد التراث، من مؤلفاته: (الخطاب العربي المعاصر) و (إشكاليات الفكر العربي المعاصر) و (الدين والدولة وتطبيق الشريعة) و (نحن والتراث، قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي).

عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾[1] كيف ؟ وقد رآه مرة أخرى وقت «الإسراء والمعراج» في أعلى عليين حيث الجنة والملائكة بأعداد كثيرة تسبح لله في «سدرة المنتهى» وكأنها طيور تتزاحم على شجرة، لقد رأى هناك من عجائب الملكوت ما رأى فما انحرف بصره وما زاغ][2] .

لاحظ التقطيع المونتاجي للآيات ، والوقوف في غير مكان الوقف، ثم يحشر كلامه ، كأنه يقاطع القارئ ، ويستأنف مع تكرار « ذو مرة » فيسقط النص القرآني في تكرارٍ ، يشوه النسج ، ويصبح قريباً من الهذيان.

لقد أقحم جبريل بين قوسين، مع أن الضمير لا إشكال في مرجعه، وذلك ليحرف القارئ القرآن رغم أنفه، ولتذويب كل حاجز بين كلامه وكلام رب العالمين.

كتب الجابري ذات مرة راداً على من يأخذ عليه قلة الاستشهاد بكلام غيره، فقال: لا أحب أن أزيّن كلامي بكلام غيري ، ولكن لا بأس على الجابري من أن يزين كلام الله بكلامه !!!.

ولسان حاله يقول: أبهذا تحدى الله الإنس والجن!.

ثم لاحظ كيف ذيّل الآية ـ وقد انتهت ـ بأداة الاستفهام المقحمة «كيف» لتقرأها مع الآية على نغمة الاستفهام.

وكأنه يريد أن يقول : أقحمنا كلامنا في القرآن فجاءت النتيجة كما تسمعون فصيحة بليغة.

---

(1) سورة النجم.

(2) محمد عابد الجابري ، العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته، المركز الثقافي العربي ١٩٩٠م ، الدار البيضاء :٣١-٣٢.

المعروف عن أسلوب **الجابري** أنه أسلوب أكاديمي عقلاني لكن لا بأس من التعبير الشعري المجازي إذا احتاجه للسخرية برموز المسلمين : « **وكأنها طيور تتزاحم على شجرة** ».

لا يقال أن بعض المفسرين المسلمين يدمجون كلامهم أثناء تفسير الآية (كتفسير الجلالين مثلاً) ويكون **الجابري** له سلف ؟ .

أقول : شتان بين الفريقين **فالجابري** يستشهد بالنص ولا يفسره ، ويتعمد إغراق النص القرآني في كلام استطرادي ، ثم يعود إلى تتمة الآية ، ويتعمد لشرحه أن يكون متعلقاً نحوياً وأسلوبياً بجزء من الآية، ليوهم الناس أن كلام الله وكلام البشر لا يختلفان.

وهكذا من باب الإصرار وسبق الترصد يعمد إلى تقطيع الآيات، وأجزاء الآيات، ويدرج بينها كلامه، مع أنه عندما ينقل كلام غيره من المؤرخين والمفسرين يحترم المنقول عنهم، فيأتي به كاملاً ، ويعلق بعد تمام الكلام أو في الحاشية.

وإذا كانت صفة البشرية للنص الديني ليست قولاً صريحاً عند أصحاب هذه القراءة بصفة عامة ، فإن صفة التاريخية مناط إجماع صريح بينهم ، ويحمل معنى تاريخية النص على أنه حادث في زمن معين ، ومتعلق بأحداث معينة، وهو يعالج تلك الأحداث والأوضاع التي حدث فيها ومن أجلها، وليس معنياً بغيرها مما يحدث بعدها، بل تترك معالجتها للعقل بتأويل للنص تكون فيه المعاني والأفكار من إنتاج العقل ، ولكن تنسب إلى النص لإضفاء المشروعية عليها.

أما وصف النص الديني بالظنية المطلقة فإنه يكون مفتوحاً بهذه الظنية على أقدار غير متناهية من الاحتمالات ، وتكون قد غابت بذلك القراءة الاستكشافية التي تبحث عن مدلول النص من خلال ذاته ، وبمقتضى قوانينه الدلالية.

وأغلب هؤلاء القراء الجدد للنص الديني ممن تكوّنوا ثقافياً على الفكر الغربي، وتشبعوا بهذا الفكر حتى جاءوا بمسلّماته ليسقطوها على النص الديني ، باعتبارها مدلولاً من مدلولاته ، واحتمالاً من احتمالاته.

لقد كان من تلك المسلَّمات على سبيل المثال فكرة التغيُّر المطلق التي انبنت عليها الفلسفة الغربية في تقديرها للطبيعة كما بدا في نظرية التطوُّر، وفكرة العلمانية التي يُعتبر الدين فيها شأناً شخصياً لا علاقة له بإدارة الحياة الجماعية العامة ، وقد أُسقطت هذه الفكرة على النص الديني لتكون العلمانية أحد مدلولاته في هذه القراءة الجديدة[1].

إن الرفض المطلق للفكر الغربي وللحضارة الحديثة يعني عدم التعمق في دراسة تلك الحضارة وعدم فهمها ، وإذا نحن لم نفهم الحضارة الغربية فلن نعي عصرنا جيداً ـ هذه واحدة.

وما دمنا لم نع عصرنا فلن نفهم الدين الفهم المطلق المنبثق عن عقل هذا العصر ، ولن نجتهد الاجتهاد المطابق لظروف العصر ـ هذه الثانية ـ بل سننعزل

---

(1) راجع : محمد أركون : الفكر الأصولي واستحالة التأصيل : ٣٥ وما بعدها ، حيث يوجه أركون نقداً شديداً ومتكرراً للمستشرقين لأنهم يدرسون القرآن والحديث كوثيقة يحاولون استجلاء ما تضمنه من المعاني ، ويرفضون أن يدخلوا في قراءة تأويلية لهما تُسقط فيها على النص القيم الإيديولوجية .

ونتقوقع لنعيش سعداء حالمين، أو تعساء بعقلية أجدادنا الأقربين ـ هذه الثالثة ، وهي ثالثة الأثافي .

إذليس كل فكر مستورد فاسد ، أليس الفكر الإسلامي اليوم فكراً مستورداً بالنسبة لشعوب آسيا وأفريقيا بل وشعوب أوروبا وأمريكا؟ .

إننا حين نأخذ عن الغرب فكره الإيجابي ونتجاوز مشاعر الرفض ، لن نقف عند العلوم الطبيعية وما نتج عنها من صناعة وتكنولوجيا ، بل نأخذ ـ وفي يدنا ميزان الحق القرآن والسنة ـ كل جهد عظيم في مجال العلوم الإنسانية.

وإذا كان غيرنا من الشعوب لا يستطيع أن يعزز من القيم الروحية في صورتها الوضيئة ، ولا يملك القدرة الكافية على تصحيح اتجاه الحضارة الحديثة، فسنكون نحن المسلمين من اليقظة والوعي بحيث نؤدي هذا الدور.

ولكن ونحن نحاول المحافظة على قيمنا ، وفي نفس الوقت نحرص على اقتباس النافع من غيرنا كيف نفرق بين ما يسمى الغزو الفكري وبين التفاعل الحضاري (التحديث)؟.

الغزو الفكري : هو فرع من الغزو الاستعماري ، وهو نوع من التشويه الفكري ، مقصود به تهيئة البلاد المستعمرة المتخلفة للاستمرار في حالة التخلف والخضوع للاحتلال والسيطرة الخارجية.

والغزو الفكري : يعني انتقاء المستعمر لنواحي فكرية منحطة من حضارته، فيقدمها بغية تحقيق هدف استعماري ، وهو يختار ما يهدم لا ما يبني ، وإن كان ولابد من قدر من البناء تحت الضغط الجماهيري فهو محدود أيضاً بالهدف نفسه.

بينما **التفاعل الحضاري** : هو جهد إيجابي شاق في الدراسة والبحث والتمحيص فيما لدى الحضارة الأخرى ، ثم في الاختيار والانتقاء ثم في التأقلم والتكيف مع خصائص حضارتنا الأصلية ، ومع ظروف بلادنا.

والتحديث : هو الاختيار الجاد لأحسن ما في ثقافة الآخر ، لتعمل مع ما في تراثنا لبناء حياتنا الحديثة ، وبذلك نحافظ على شخصيتنا كأمة لها تاريخ ولها رسالة على أرقى مستوى العصر.

***

المبحث الثاني
موثوقية النص الديني

إن ما أثاره المؤولة الجدد من مطاعن في موثوقية النص الديني قرآناً وحديثاً، يكاد يكون كله مستصحباً لما أثاره المستشرقون من شبهات متعلقة بالقرآن والحديث منذ ما يزيد على قرنيْن.

وقد عرضت هذه الشبهات من قبل كثير من الدارسين المسلمين ، وردُّوا عليها الردود الكافية لدحضها.

أما ما يتعلق بصورة القرآن مقروءاً وصورته مكتوباً، وما عسى أن يكون قد حصل بينهما تفاوت كما يدّعيه أصحاب هذه القراءة الجديدة ، فإن هذا الادّعاء مستصحب من شبه بعض المستشرقين[1]، وهي شُبه ناشئة من الغفلة عن حقيقة من الحقائق الثقافية ، وهي أن تحمُّل المسلمين للقرآن الكريم حال نزوله وبعد ذلك إلى يومنا هذا إنما كان تحمُّلاً محفوظاً في الصدور المؤداة شفوياً ، وأن تدوينه بالكتابة هي صورة رديفة للصورة المحفوظة زيادة في الضبط ، ولذلك فإننا لو تصوّرنا اختفاء جميع المصاحف على وجه الأرض ، فإن الصورة القرآنية سوف تبقى قائمة كما هي ، لأنها محفوظة في الصدور على وجه من الدقة أكثر مما هي محفوظة به في المصاحف.

وما قيل من أن صوراً أخرى من القرآن غير هذا الذي انتهى إلينا كانت قد ضاعت أو صودرت كمصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه هو قول مردود ،

---

(1) راجع شُبه المستشرقين فيما يتعلق بالقرآن في : محمد حسين علي : المستشرقون والدراسات القرآنية .

حتى قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ : أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن ، وأن من جحد شيئاً منها كفر ، وما نقل عن ابن مسعود باطلٌ ليس بصحيح[1].

وما كان من مصاحف شخصية عند بعض الصحابة كان مطابقاً في صورته للمصحف العثماني ، إلا أنها ربما قد تكون مشتملة على بعض الشروح والتعليقات الخاصة بصاحب المصحف ، فمنع عثمان لتلك المصاحف من التداول كان تحوّطاً لئلا يُتوهم على مرِّ الأيام أن تلك الشروح والتعليقات داخلة ضمن النص القرآني .

وتشبُّثُ بعض أصحاب تلك المصاحف أول الأمر بمصحفه كان من باب الاعتزاز به ، وإلا فإن الجميع في نهاية الأمر وافق على المصحف العثماني ، ولو رأوا فيه اختلافاً عن مصاحفهم لما وافقوا عليه ولا سلّموا به.

والادّعاء بحصول تغيير في القرآن الكريم بتدوينه على ترتيب غير ترتيبه الزمني ادّعاء مردود أيضاً ، وذلك لأن الترتيب التوقيفي للقرآن الذي هو مدوَّن به إلى الآن في المصحف كان ترتيباً مصاحباً لنزوله ، فأيما آية نزلت على النبي ﷺ إلا أمر كتَّابه أن يضعوها في مكانها التوقيفي من سورتها[2] .

فهذا النص القرآني هو موصول في سنده المتواتر من نزوله على النبي الكريم، إلى تبليغه إياه للناس محفوظاً، إلى جمعه مكتوباً ، إلى تداوله بين الناس مصحفاً سيّاراً بين المسلمين قاطبة.

وإنما تسرَّبت الشكوك في موثوقيَّته إلى هؤلاء المؤولة استناداً إلى شُبه

---

(1) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن : ١/ ٧٩.

(2) راجع روايات كثيرة في هذا الشأن : جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن : ١/ ٦٠ .

أُسقطت عليه إسقاطاً دون تثبُّت ، خاصة وأنهم ليس من بينهم من هو مختصٌّ ضليع في العلوم الإسلامية، بل تخرجوا على أيدي الأفاعي الاستشراقية، ولعل ذلك وافق عندهم منازع من الهوى .

وإذا كان القرآن الكريم هو المصدر الأعلى للدين، فإنه يشرِّع للحديث أن يكون أيضاً مصدراً له ، ومن أوضح ما جاء في ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[1] .

لذلك من المستغرب حقاً أن يقول أحد المؤولة إن النبي ﷺ نفسه قد نفى عن حديثه أن يكون مصدراً شرعياً للدين، وذلك لما ورد عنه من نهي عن أن يُكتب عنه سوى القرآن[2] .

والحال أن القصد من ذلك النهي واضح جلي، وهو التحوّط من أن يختلط ما هو قرآن بغيره في عصر ليست فيه من وسائل التمييز ما نعلمه اليوم[3] .

وما ذكر من سبب للشك في المدونة الحديثية كون أبي حنيفة لم يثبت عنده من الحديث الصحيح سوى سبعة عشر حديثاً ، ثم أصبحت الأحاديث الصحيحة تعد بالآلاف بعد ذلك بقرن ، إنما هو في حقيقته سبب لثبوت الموثوقية وليس سبباً للشك فيها، إذ لمّا عرف المسلمون تسرُّب الوضع إلى الحديث النبوي أمسكوا على الاحتجاج به إلا فيما أيقنوا بصحته، وهكذا تنامى حجم الحديث الصحيح بتنامي جهود التمحيص حتى بلغت أعداد الصحيح منه آلافاً.

---

(1) سورة الحشر : ٧.

(2) عبد المجيد الشرفي : الإسلام بين الرسالة والتاريخ : ١٧٦.

(3) راجع في هذه المسألة : محمد عجاج الخطيب : المختصر الوجيز في علوم الحديث : ٦٥ وما بعدها .

وهكذا نجد صيحات **لرفض علوم السنة** ، بل لرفض السنة نفسها ، يقول **محمد شحرور** : هذا التيار ـ أي تيار النقل ـ نتج عنه أمران :

١ ـ وضع حياة النبي ﷺ في عالم المطلق .

٢ـ الإصرار على أن أوامر النبي ﷺ ونواهيه هي وحي، وأن السنة هي وحي ، والوحي دائماً من الله ، والله مطلق .

هذان السببان نتج عنهما أننا وقعنا في عمق المزلق المسيحي دون أن ندري، حيث إن الديانة المسيحية مرتبطة بشخص المسيح حصراً، وقد كان كلام المسيح عندهم هو كلام الله ، لذا فإننا نرى أن كل الأناجيل على اختلاف أنواعها عبارة عن السيرة الذاتية للسيد المسيح ، والأحاديث هي السيرة الذاتية للسيد النبي ﷺ ، فكما أن هنالك عدة أناجيل ، فهناك عدة كتب للحديث ، فلماذا نعيب على المسيحيين أن لديهم عدة نسخ للأناجيل ، ولا نعيب هذا على أنفسنا في الحديث .. أما عندنا نحن المسلمين فالشهادة الإلهية هي الكتاب المنزل وليس شخصية النبي ، ولكن بمفهوم السنة التقليدي الموروث أصبح **محمد** ﷺ هو الشهادة الإلهية إلى جانب الكتاب ، بل أصبح فعلياً الحديث النبوي هو المعتمد عليه أكثر من الكتاب في بعض الأحيان[1] .

إنَّ هذا الكلام فيه مجموعة من الأغاليط ، فمقارنة الأناجيل بكتب السنة لا وجه له ، وقائمة على قياس غير سليم من أساسه ، فهناك إنجيل منزل من السماء، وهو يقابل القرآن المنزل من السماء ، فإذا كانت الأناجيل الموجودة حالياً هي السيرة الذاتية للمسيح ، فهذا يعني أن الإنجيل الذي نزل من السماء

---

(1) محمد شحرور ، الكتاب والقرآن قراءة معاصرة : ٥٦٨.

قد ضاع، لأن الإنجيل الذي نزل هو إنجيل واحد وكتاب واحد كالقرآن، ثم إن السنة ليست مقدمة على القرآن، بل هي شرح وتوضيح وتفصيل له[1]، وهي تختلف عن القرآن وإن كانت وحياً، وذلك أن ألفاظها من عند النبي ﷺ، وتلاوتها غير متعبد بها كالقرآن.

أما كثرة كتب السنة فهي ظاهرة إيجابية، لأن ورود الحديث في أكثر من كتاب، وأكثر من راو، يعزز مكانته، ويفتح فرص الاجتهاد، فالتعددية هي روح هذه الأمة، وهي مجال خصب لحرية الفكر، كما أن اتفاق عدة رواة في كتب مختلفة على متن حديث واحد، يؤكد صحة الحديث النبوي ويزيد من توثيقه علمياً.

ويفتعل أحدهم الخلط بين القرآن والسنة بلا حجة ولا برهان، فيقول: ويلاحظ على دراسات الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة في إطارها التقليدي الخلط بينهما، والجدل على موضع كل منهما، وعلاقتهما فيما بينهما، حتى لا يكاد يوجد إدراك موضوعي واضح حاسم لدور متميز لكل منهما ولعطائه الخاص، ولذلك سيطرت على دراستهما المعاصرة مفهوم التقليد التاريخي وفكرة النسخ[2].

وفي الحقيقة لا أحد من المسلمين ينكر أن القرآن مقدم على السنة، وأن السنة تلي القرآن في الأهمية، ولكن كم من أخبار وأحكام وردت في السنة ولم ترد في القرآن؟.

---

(1) منير محمد طاهر الشواف، تهافت القراءة المعاصرة، الشواف للنشر والدراسات، الطبعة الأولى ١٩٩٣م: ١٩٥.

(2) عبد الحميد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض الطبعة الثانية ١٤١٢هـ ١٩٩٢م: ٧٧.

قــال الله تعــالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1].

وكان النبي ﷺ يشرح القرآن الكريم للصحابة إذا سألوه، أما الأحكام ، فإن فعله كانَ البيان العَمَلِي لِكُلِّ ما في الذِّكْرِ الحكيم .

وقد بَيَّن ﷺ مواقيت الصلاة، وعدد الركعات والسجدات، وصفة جميع الصلوات فرضها وسننها، وما لا تصح الصلاة إلا به من الفرائض وما يستحب فيها من السنن والفضائل .

وقال النَّبِيِّ ﷺ : «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»[2].

وقال جَابِر رضي الله عنه رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ وَيَقُولُ : « **لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّي لا أَدْرِي لَعَلِّي لا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ** »[3].

ونقل ذلك عنه جمعٌ عن جمعٍ ، على ما هو معلوم، ولم يمت النبي ﷺ حتى بين جميع ما بالناس الحاجة إليه؛ فكمَّل الدين، وأوضح السبيل.

ومن المستغرب أن يدعي أحدهم بأن الإيمان بالقدر ورد في السنة دون

---

(1) سورة النحل : ٤٤.

(2) قال مَالِك بن الحويرث رضي الله عنه أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَحِيمًا رَفِيقًا فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدْ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا أَوْ قَدْ اشْتَقْنَا سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا فَأَخْبَرْنَاهُ قَالَ ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لا أَحْفَظُهَا **وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي** فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ. اهـ .. [رواه البخاري في كتاب الأذان ، باب : الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة كذلك، رقم الحديث (٥٩٥)].

(3) رواه مسلم في كتاب الحج، باب : استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً ، رقم الحديث (٢٢٨٦) .

القرآن ، فيقول: وتحدد مقومات الإيمان كما تعرضها نصوص الكتاب في خمس : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر .. وتضيف نصوص الحديث مقوماً سادساً إلى مقومات الإيمان ، فتشترط الإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى ، كما ورد في حديث جبريل إذ يسأل رسول الله عن الإيمان ، فأجاب : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره [1].

وهذا الكلام مخالف للحقيقة ، فقد ورد الإيمان بالقدر في القرآن الكريم ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ جَاءَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ يُخَاصِمُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْقَدَرِ فَنَزَلَتْ ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [3]، ولكن لا عجب من ذلك إذا كان الكاتب يعرفه ويتجاهله ! .

وكاتب آخر يفتعل الخلاف بين القرآن والسنة ، من أجل التشكيك بالسنة ثم نسف السنة برمتها ، ويروي ملخصاً قول القرطبي في تفسيره ، حجج المجوزين لصناعة هذه الجماليات المجسمة معتمدين على القرآن، وحجج المحرمين المعتمدة على أسانيد الأحاديث ، ثم يقول : هنا نجد فارقاً كبيراً بين ما أتى به القرآن، وما أسنده الرواة إلى الرسول ، وكان بإمكاننا حل المسألة في

---

(1) لؤي صافي ، العقيدة والسياسة معالم نظرية عامة للدولة الإسلامية ، المعهد العلمي للفكر الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م : ٥٢ ـ ٥٣.

(2) سورة القمر : ٤٩.

(3) سورة القمر : ٤٨ ـ ٤٩.. والحديث رواه مسلم في كتاب : القدر ، باب : كل شيء بقدر ، رقم الحديث (٤٨٠٠).

هذه الحدود ، بتكذيب مستندات الأحاديث لأنها متعارضة مع نص قرآني ، والرواة كما نعلم ليسوا أنبياء، مهما تحققوا من مصادر الإسناد ، لكننا نتجه إلى الأمر بالشيء من التحليل[1] .

والجواب على هذا الكلام ببساطة هو أن شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا ، وهذا مقرر عند العلماء[2]، والدليل عليه أن رسول الله ﷺ لم يرجع في شيء من الأحكام ولا أحد من الصحابة إلى شيء من كتبهم ولا إلى خبر من أسلم منهم، ولو كان ذلك شرعاً لنا لبحثوا عنه ورجعوا إليه، فلا مواجهة بين القرآن والسنة ، ولقد قال الله تعالى لليهود على لسان نبيه موسى عليه السلام :﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[3] .

فهل من شروط التوبة في شريعتنا أن نقتل أنفسنا ؟! أبداً ، ليس كل ما ذكر في القرآن عن أحوال الأمم الماضية من أجل أن نقتدي بهم ، بل لنأخذ منهم العظة والعبرة[4] .

وقال أحدهم : ولكن في أيامنا هذه استولت على الإسلام طائفة متسلطة من رجال الدين، وهم الآن **شرطة الفكر** المعاصرون ، وقد حولوا **محمداً** إلى

---

(1) محمد أبو القاسم حاج حمد ، العالمية الإسلامية الثانية ، دار المسيرة بيروت : ٢٤٠.

(2) انظر : لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الفيروزآبادي الشافعي، اللمع (أصول فقه شافعي) ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

(3) سورة البقرة : ٥٤.

(4) محمد رفعت زنجير ، اتجاهات تجديدية متطرفة في الفكر الإسلامي المعاصر ، منار للنشر والتوزيع ، ٢٠٠١ م الطبعة الأولى : ٦٤.

كائن كامل الأوصاف ، وحياته إلى حياة مثالية ، ووحيه إلى حدث جلي لا لبس فيه ، وهو ما لم يكن عليه أصلاً، وأقيمت محرمات صارمة ، ولم يعد في وسع المرء محمداً بشراً له فضائل البشرية ، ونقاط ضعف البشرية [1] .

وهذا يدل على أن ترديد الشبهات حول النبي ﷺ ، والسنة النبوية الشريفة ، إنما هي دعوة استشراقية خطيرة ، يراد منها نقض الدين الحنيف من أساسه.

ويصور أحدهم النبي ﷺ على صورة السياسي الذي لا يقيم شأناً للمبادىء والقيم على حساب المصالح والنتائج، ولذلك عندما سئل عن **حادثة الغرانيق** [2]، أقرَّ هذه القضية وأيَّدَ ما قاله **سلمان رشدي** في آياته الشيطانية، وصرح بأن

---

(1) جلال صادق العظم ، ما بعد ذهنية التحريم ، دار المدى ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م : ٣٠٩.

(2) قد ذكر كثير من المفسرين «**قصة الغرانيق** » وما كان من رجوع كثير من المهاجرين إلى أرض الحبشة ظناً منهم أن مشركي قريش قد أسلموا، وخلاصتها عن سعيد بن جبير قال: قرأ رسول الله ﷺ بمكة «النجم » فلما بلغ هذا الموضع: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾ قال: فألقى الشيطان على لسانه: "تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى"، قالوا: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا، فأنزل الله عزَّ وجلَّ هذه الآية: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة الحج: ٥٢]؛ وقد ذكرها محمد بن إسحاق في السيرة بنحو من هذا، وكلها مرسلات ومنقطعات والله أعلم.. وساقها البغوي في تفسيره ثم سأل ههنا سؤالاً: كيف وقع مثل هذا مع العصمة المضمونة من الله تعالى لرسوله صلاة الله وسلامه عليه؟ ثم حكى أجوبة عن الناس، من ألطفها: أن الشيطان أوقع في مسامع المشركين ذلك، فتوهموا أنه صدر عن رسول الله ﷺ ، وليس كذلك في نفس الأمر، بل إنما كان من صنيع الشيطان، لا عن رسول الرحمن ﷺ والله أعلم.اهـ.. [تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، دار إحياء التراث العربي ببيروت : ٣ / ٢٢٩ـ ٢٣٠].

النبي ﷺ قد قبل هذا العَرْض، وهذا ما دفع الشيوعي «**جلال صادق العظم**» في كتابه «**ما بعد ذهنية التحريم**» إلى أن يثني على موقف **حسن حنفي** واعتبره قمة العلم والموضوعية، حينما قال **حسن حنفي** : وما ورد بخصوص الآيات الشيطانية صحيح، ومن بين أسباب النزول هو أن النبي **محمداً** كان يحمل هَمَّ الوحدة الوطنية للقبائل العربية وتكوين دولة في الجزيرة العربية، وكانت له مشاكل مع اليهود والنصارى (مع اليهود بصورة خاصة) ومع المشركين أيضاً، فجاء المشركون إليه بعرض جيد ـ وأنا أتكلم عن الرسول كرجل سياسة وليس كنبي ـ وقالوا له: نعم أيها الأخ، ما المانع أن تذكر اللات والعزى لمدة سنة واحدة وقل أنهم ليسوا آلهة ..

فقال بينه وبين نفسه: إن هذا العرض يشكل بالنسبة لي كزعيم سياسي شيئاً جيداً لأنه يحقق لي مصالحة مؤقتة مع العدو، وماذا يعني لو أنني ذكرت اللات والعزى لمدة سنة واحدة ثم أغير بعدئذ ؟ ثم إن الوحي يتغير طبقا للظروف [1] .

وهذه القصة مرفوضة ومدحوضة بقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [2] .

وقوله جل جلاله : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [3] .

والقصة مرفوضة لضعف نقلتها واضطراب روايتها، وانقطاع سندها، ولو وقعت لارتد كثير ممن أسلم، وهذا مالم يحدث.

---

(1) حسن حنفي، الإسلام والحداثة، ندوة مواقف : ٢٣٤.

(2) سورة الحاقة : ٤٤ ـ ٤٥ ـ ٤٦.

(3) سورة النجم : ٣ ـ ٤.

وقد تكون قريش هي التي اختلقت الحادثة، ليرجع المهاجرون من الحبشة، وروَّجها المنافقون، لأن خطتهم ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴾[1].

ثم إن ابن خزيمة حينما سئل عن هذه القصة قال : من وضع الزنادقة.

وقال البيهقي : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل.

والقصة وردت في حديث مرسل، وحكم المرسل حكم الحديث الضعيف[2].

قال الإمام **ابن حزم** : والحديث الذي فيه : وأنهن الغرانيق العلا، وأن شفاعتهن لترتجى، فكذبٌ بحت لأنه لم يصلح من طريق النقل، ولا معنى للاشتغال به، إذ وضع الكذب لا يعجز عنه أحد[3].

وأما **لغوياً** فإن العرب لم يصفوا آلهتهم بالغرانيق قطعاً، لم يأت لهم في نظم ولا خطب، ولم يكن ذلك جارياً على ألسنتهم، ولم يستعمل «**الغرنوق**» و«**الغرنيق**» إلا لاستعماله الحقيقي، بكونه طائراً مائياً أسود أو أبيض، واسمه : مالك الحزين.

فليس من المعقول أن تحشر بين هذه الآيات المتتالية، جملة مناقضة لها في أصل العقيدة الإسلامية، فهي قطعاً من وضع الزنادقة[4].

---

(1) سورة الإسراء : ٧٣.

(2) أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح، علوم الحديث لابن الصلاح، تحقيق نور الدين عتر، دار الفكر بيروت ودمشق، تصوير ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م : ٥٣.

(3) محمد عبد الغني حسن، الإسلام بين الانصاف والجحود : ٦٩ إلى ٧٢.

(4) شوقي أبو خليل، الإسلام في قفص الاتهام، دار الفكر دمشق، الطبعة الخامسة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م : ٨١.

ومن غرائب الأمور أن بعض أصحاب هذه القراءة المنكِرة لمشروعية الحديث يؤسسون كثيراً من آرائهم على ما جاء في الحديث نفسه، فالحديث عندهم مرفوض أن يكون مصدراً للأحكام ، ولكنه معتمد أن يكون مصدراً لبناء الآراء والأفكار ، وهذا تناقض بيّن تقع فيه هذه القراءة الجديدة(1).

وقد آن لنا أن نلفت النظر إلى بعض الخطط الخارجية المرسومة لإقصاء هذه الأمة عن إسلامها من حيث لا تشعر ، وإلى أن الدعوة إلى نبذ السنة ليست إلا استجابة لأوامر صادرة من أصحاب تلك الخطط.

عاد **وليم كليفورد** من مؤتمرات (المنظمة العربية للدفاع الاجتماعي ضد الجريمة) بانطباعات واقتراحات ضمنها تقريراً مطولاً، أودعه بعض أروقة الأمم المتحدة ، ثم قدمه إلى دوائر أمريكية خاصة تعنى بأحوال الشرق الأوسط.

وفيما يتعلق بالخوف من الرجوع إلى ينابيع الشريعة الإسلامية يوصي بالعمل على ما يلي:

أولاً : فصل القرآن عن السنة ، وإقناع المسلمين بأن ما يسمى سنة ليس إلا اجتهادات شخصية من النبي عليه الصلاة والسلام.

ثانياً : إخضاع القرآن للاجتهادات والتأويلات المفتوحة، والكفيلة بمسايرة الإسلام للحضارة الغربية واندماجها في سياسة الغرب(2).

---

(1) عبد المجيد الشرفي : الإسلام بين الرسالة والتاريخ : ١١٣.

(2) محمد سعيد رمضان البوطي ، يغالطونك إذ يقولون ... أسلوب حواري يكشف عن مغالطات خطيرة في موضوعات هامة ، دار الفارابي للمعارف ودار اقرأ ، دمشق الطبعة الأولى ٢٠٠٠م ١٤٢١هـ : ١٧٦.

والدعوة إلى نبذ السنة والاكتفاء بالقرآن ناشطة في كل البلاد العربية ، والقصد من هذه الخطة ، إخراج القرآن من حصنه الذي يحرسه ويحميه ألا وهو السنة.

والقراءة المعاصرة هي البديل الذي ينبغي أن تحل محل السنة !.

والعجيب الذي يفضح هذه الخطة، أن القراءة المعاصرة لا تُستدعَى لتسلط على النصوص القانونية، أو الفلسفية ،أو على نصوص التاريخ والأدب الجاهلي، وإنما تلاحق القرآن حصراً !.

ويوصي الزعيم الشيوعي الإيطالي **«تولياني»** قبل موته عام ١٩٦٣م : أن لا يحارب الإسلام من خارج سلطانه ودائرته ، لأن ذلك يثير ردود فعل كثيرة عند المسلمين ، وإنما النهج الأمثل هو التسرب إلى داخل الإسلام ، والقضاء عليه من داخله ، باسم الاهتمام به وتجديده والغيرة عليه[1].

إن أمثال هذه الأصوات الأجنبية قديمة، وما يدَّعيه كل طرف من أن القرآن يحوي كل شيء ، أو يريد أن يكون الإسلام عصرياً أو علمياً ، أو يريد التجديد والحداثة، أو قراءة معاصرة ، كل هذه الادّعاءات ما هي إلا ستائر يختفي خلفها الهدف الأسود ، وهو محاولة القضاء على الإسلام ، ولكن يأبى الله إلا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون.



---

(1) المصدر السابق : ١٨١.

المبحث الثالث

موضوعية النص الديني

لعل أخطر ما انبنت عليه هذه القراءة الجديدة للنص الديني نزع صفة الموضوعية عنه ، بمعنى أن هذا النص لا يحمل في ذاته معنى ثابتاً يمكن أن تلتقي عليه أفهام الناس على اتساع دوائرهم وتطاول أزمانهم ، وإنما هو حمَّال لوجوه من الاحتمالات غير متناهية، يمكن أن يؤلف منها كل جيل أو كل أهل عصر أو كل فرد، فهماً خاصاً يخالف فهم الآخرين.

لقد استقر للمسلمين فهم للدين من خلال قراءتهم لنصوصه اجتمعت عليه جميع المذاهب وكل الأجيال من يوم نزوله إلى هذا اليوم.

يذكر أحد المؤولة [1] أن **الإجماع** جنب الأمة الفوضى قديماً ، عندما كان يمثل المقام المشترك للتعددية الفكرية ، وفي نظره أن الأزمة اليوم هي أزمة اجتهاد وإجماع تظهر خاصة في مستوى الشريعة ، ونظام الحكم ، ذلك أن كل إجماع قد يتحول إلى أخطر أنواع الكليانيات [2]، لأنه قد يتحول إلى لاهوتية لا

---

(1) وهو **محمد الطالبي** : أستاذ بجامعة تونس ، من أصحاب القراءة المعاصرة يريد أن يأتي بدين جديد من النص الديني ويقول في كتابه : (عيال الله ، أفكار جديدة في علاقة المسلم بنفسه وبالآخرين: ٢٦) : أنا لا أحصر الاجتهاد في شخص معين .. كل إنسان ينبغي أن يجتهد في الحياة ، فالنص مقدس والتأويل حر ، وينتقد الفقهاء على لجوئهم إلى أصل الإجماع وسدهم باب الاجتهاد ، ويعتبر أن الإجماع قد ينقلب أداة قهر وإلى كليانية لاهوتية ، ويقترح (**إجماعاً مرناً**) ينبع من الحوار المفتوح دون تعصب، كما يوفر حق المخالفة ، ذلك أن حرية الفكر حق أساسي احترمه الإسلام، وله كتاب : الإسلام حرية وحوار، وكتاب : الدولة الأغلبية .

(2) **الكليانية** : مصطلح أطلقه موسليني زعيم الفاشية الإيطالية، الذي كان يعتبر أنّ الدولة كلٌ جامعٌ لا يوجد شيء خارجه، الدولة تراقب كل شيء : الإنسان، و الفكر، و الاقتصاد،

تقبل إعادة النظر والجدال[1].

وقال أحد المؤولة الجدد : إن المفهوم الموروث بأن الإجماع هو ما أجمع عليه السلف أو جمهور الفقهاء هو مفهوم وهمي[2].

ويقول كاتب آخر : الإجماع الأصولي في مفهومه التقليدي لا يعتمده إلا فئة العلماء المتخصصين والأكاديميين في دراسات الكتاب والسنة ، مما يجعله لو تحققَ قضية نظرية لا تستجيب بالضرورة لحاجات الناس، ولا تخاطب عقولهم ولا تتحرك بهم .. فالإجماع الأصولي هو مفهوم نظري بحت لا يمثل في الحقيقة مصدراً علمياً يعتد به ، ولا أسلوباً حقيقياً للعطاء الإسلامي الاجتماعي والسياسي والحركي [3].

إن نسف **الإجماع** هو هدم لركن من أركان الدين الحنيف ، فإذا هدمت الدراسات القرآنية ، والسنة النبوية ، وإجماع الأمة ، ماذا يبقى من الإسلام ؟.

وهل يعقل أن المسلمين لم يتفقوا على شيء من أحكام دينهم ، أو يجمعوا عليه منذ وفاة النبي ﷺ وحتى اليوم ؟.

والمجتمع، والتنظيمات المختلفة. والدولة يجب أن يحكمها حزب قوي له القدرة على استقطاب «كل» الجماهير، و يترأس هذا الحزب قائد كارسمي له مطلق الصلاحيات.اهـ انظر الموقع على الشبكة العنكبوتية :.www.exhauss-ibnkhaldoun.com

(1) محمد الطالبي : عيال الله (أفكار جديدة في علاقة المسلم بنفسه وبالآخرين) دار سراس للنشر ، تونس ٢٠٠١م : ٦٩ .

(2) محمد شحرور ، الكتاب والقرآن قراءة معاصرة : ٥٨٢ .

(3) عبد الحميد أبو سليمان ، أزمة العقل المسلم ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م : ٧٨.

وإذا كانت هذه الأمة لا تجتمع على شيء فكيف استمر الدين وتواصل الخلف مع السلف ؟.

إن شبهة عدم وجود الإجماع لا دليل عليها[1] .

ويمكن أن يتم الإجماع اليوم عن طريق اختيار النخبة من فقهاء المسلمين في العالم ليجتهدوا في أمر ما ، ولا يشترط أن يوافقهم كل من لبس عمامة على وجه الأرض ، أو حمل إجازة شرعية ، فقرار الأكثرية هو بمثابة الإجماع إذا تعذر جمع الكل ، والدول اليوم قراراتها التشريعية تحت قبة البرلمان بناء على رأي الأكثرية وليس على الإجماع ، وفي الحديث : « **فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الأَعْظَم** »[2] مما يعني الأكثرية غالباً ما تكون على حق[3] .

وهكذا استهدفت قواعدَ علم أصول الفقه لنقضها عروة عروة ، وهي التي قننت وضبطت ، لتكون أداة للاجتهاد الشرعي تمهد سبيله وتسانده في مجاله.

فأي خطورة تدهم ساحة ثقافتنا الإسلامية !.

إن **الإجماع** لأجيال متلاحقة عبر تاريخ طويل على مفهوم موحَّد للدين من خلال قراءتهم لنصوصه لهي شاهد من شواهد الموضوعية في هذه النصوص، بمعنى أنها نصوص تحمل معنى ثابتاً على مرِّ الزمن.

---

(1) منير محمد طاهر الشواف ، تهافت القراءة المعاصرة ، الشواف للنشر والدراسات ، الطبعة الأولى ١٩٩٣م : ٢٤٣.

(2) لفظ الحديث أن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : «**إِنَّ أُمَّتِي لا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلالَةٍ فَإِذَا رَأَيْتُمُ اخْتِلافًا فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الأَعْظَمِ** » .اهـ .. [رواه ابن ماجه في كتاب الفتن باب السواد الأعظم رقم الحديث : ٣٩٤٠].

(3) محمد رفعت زنجير ، اتجاهات تجديدية متطرفة في الفكر الإسلامي المعاصر ، منار للنشر والتوزيع ، ٢٠٠١ م الطبعة الأولى : ٨٢.

والقول بتاريخية النص الديني هو أحد المظاهر لنزع الموضوعية عنه ، فإذا كان النص متجهاً بالخطاب لأهل عصر دون غيرهم من العصور فإن ذلك يعني أن الحكم الذي يتضمنه النص هو حكم يتعلق بزمن دون زمن وبجيل دون غيره ، فتنتفي عنه إذن صفة الموضوعية.

والقرآن الكريم نفسه جاء بما يناقض القراءة التاريخية ، ويثبت ديمومة زمنية للتكاليف التي يحملها خطابه ، وعمومية مطلقة في المخاطبين بها من الناس، وهو ما يفيده قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[1].

فالخطاب للناس جميعاً في أي زمان ومكان ، ومضمون الخطاب موجه إليهم جميعاً ، ولو كان الأمر كما تقتضيه القراءة التاريخية لورد في النص نفسه توجيه إليه ، ومما يؤكد هذا العموم أن تخصيص بعض الأحكام بحالات معينة يقع التنصيص عليه كما نص الرسول ﷺ على أن أبا بردة بن نيار[2] تجزئه الأضحية بالعناق الجذعة بقوله : «**اذْبَحْهَا، وَلَنْ تُجْزِئَ عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ**»[3].

فهذا النص يدل على أن ما لم ينص فيه على تخصيص بأعيان أفراد أو أعيان أهل زمن أو ما شابه ذلك يدل على أن المقصود فيه هو العموم لكل الناس[4] .

---

(1) سورة الأعراف : ١٥٨ .

(2) **أبو بردة بن نيار** (بكسر النون بعدها تحتانية خفيفة) الأنصاري خال البراء بن عازب اسمه هانئ وشهد بدراً وما بعدها و مات في أول خلافة معاوية بعد أن شهد مع علي رضي الله عنه حروبه كلها ثم قيل إنه مات سنة إحدى، وقيل اثنتين، وقيل خمس وأربعين للهجرة.اهـ .. [ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي : ٧/ ٣٦].

(3) رواه البخاري في كتاب الأضاحي باب سنة الأضحية رقم (٥١١٩)، ومسلم في كتاب الأضاحي باب وقتها رقم (٣٦٢٥) .

(4) إبراهيم بن موسى الشاطبي : الموافقات في أصول الفقه : ٢ / ١٨٦ وما بعدها.

ويبلغ إهدار الموضوعية عن النص الديني ذروته في تلك القراءة الجديدة وفق التأويل اللغوي ، وهو الأمر الذي ينتهي إلى إمكان أن يكون معنى النص المقروء متعدداً بتعدد القراء، أو على الأقل بتعدد مكوناتهم الثقافية .

ولو تمَّ العمل بها لانهدمت الحياة الاجتماعية بأكملها، ولانهدمت من ورائها الحياة الإنسانية كلها، لأن الحياة قائمة على ما تواضع الناس عليه من دلالات لغوية على المعاني تواضعاً أصبح به الكلام المستعمل بينهم يحمل معنى موضوعياً يشترك الناس في تحصيله بالفهم من لغته الملفوظة أو المكتوبة، فيتم التفاهم بينهم ، ولو انتفى هذا المعنى المشترك ، وأصبح كل يفهم النصوص على حسب تأويله الخاص، فإنه يصبح لا أحد يدرك مدلول ما يلفظه أو يكتبه الآخر من معنى، فلا تواصل ولا تعاون ، وذلك هو الموت الاجتماعي ، كيف سيطبق رجال القانون أحكام القانون وكل منهم يمكن أن يدرك من النص القانوني ما يقصده المشرع ؟.

وكيف سيتعلم المتعلمون من معلميهم وهم قد يفهمون خلاف ما قصد المعلم أو الكاتب تبليغه إليهم ؟.

إنها الفوضى والدمار للحياة الاجتماعية الذي ليس بعده دمار ولا فوضى.



المبحث الرابع
حاكمية النص على الواقع

إن النص الديني ما جاء إلا ليكون بقيمه وأحكامه الثابتة على مرِّ الزمن مقياساً معيارياً للواقع الإنساني ، يصلحه كلما انحرف ، ويعدله كلما مال إلى الباطل .

وإذا كانت بعض ظروف هذا الواقع وملابساته لا تسمح بتطبيق بعض أحكام النص، وذلك لعدم تحقق شروط التطبيق ، ورجحان الظن بعدم تحقق المقصد منها، يبقى الأمر في حدود التأجيل الفعلي مع استمرارية المشروعية الدلالية.

وكثيراً ما يحتج أصحاب القراءة الجديدة على تحكيم الواقع في النص، على ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه من تعطيل حد السرقة عام المجاعة ، وإلغاء أسهم المؤلفة قلوبهم ، فالفاروق على رأي هؤلاء حكم الواقع في النص ، وهو ما ينبغي على المسلمين فعله في كل زمن .

أقول: لقد بحت الأصوات في تصحيح هذا التصور؛ مبينة أن الفاروق إنما قد أجَّل تطبيق بعض الأحكام في زمن معين لعدم توفر شروط تطبيقها ، ولرجحان ظنه بعدم تحقق مقاصدها ، ولكن بقي على إيمانه باستمرار مشروعية تلك الأحكام ، وبوجوب تطبيقها إذا ارتفعت أسباب تأجيلها.

ويرى أحدهم أن الإسلام من شأنه أن يفصح عن خصائصه وسماته أو عن بعضها ، حين يوضع في سياقه العام من سابقه الجاهلي ، ويشن هجوماً عنيفاً على هذا المصطلح بهدف تحريره من النظرة الإسلامية إليه، ويعيب على

الإسلاميين تناقضهم الصريح في موقفهم من **الجاهلية**، التناقض الذي يحكم موقفهم من السابق واللاحق، ويؤدي إلى انتهاك هذه العلاقة [1].

إن جدلية السابق واللاحق عنده تمهد إلى نسف الدين من أساسه، ولا يخفي ذلك فيقول: **إن جدلية السابق واللاحق** من شأنها أن تردم الخواء الماورائي «**الميتافيزيقي**» المعتقد وجوده [2].

إن جدلية السابق واللاحق عند **تيزيني**، هي جدلية الفكر والواقع، وهذا بدوره يغزو أغلب التحليلات التي يكتبها عرب معاصرون، أمثال **نصر حامد أبو زيد** في كتابه الموسوم بـ «**مفهوم النص**».

***

---

(1) مجلة التسامح، سلطنة عمان، السنة الثانية ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، العدد: ٦، بحث بعنوان: النص والحقيقة قراءة في بعض الاجتهادات العربية الحديثة، تركي علي الربيعو: ٧٧.

(2) طيب تيزيني، مقدمات أولية في الإسلام المحمدي الباكر، دمشق، دار دمشق ١٩٩٤م: ٥٠.

الفصل الثاني

الحاجة والدوافع للقراءة المعاصرة

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : الحاجة إلى قراءة جديدة للنص الديني

المبحث الثاني : الحوافز والدوافع للقراءات المعاصرة.



المبحث الأول

الحاجة إلى قراءة جديدة للنص الديني

لقد ابتعد أصحاب القراءة الجديدة عن توظيف الأدوات العلمية التي صقلت عبر التاريخ على أيدي فطاحلة أهل العلم والمعرفة من أبناء الأمة، وصُمِّمت لضبط حركة تفاعل العقل المسلم مع النص الديني، وهذه الأدوات تتمثل في العلوم الموسومة بالعلوم الشرعية.

لئن أبديت ما تنطوي عليه الدعوة المشبوهة إلى قراءة معاصرة للنص الديني من خلل منهجي وعلمي ، وأظهرت افتقار تلك الدعوة إلى المنهجية والموضوعية والعلمية ، فإني أهيب بالعلماء وأصحاب الفكر الإسلامي بأن ثَمَّة فريضة دينية وحاجة موضوعية ومصلحة زمنية إلى قراءات متجددة للنص الديني ، شريطة أن يأخذوا بعين الاعتبار خصائص النص الديني ، وأن تصدر القراءة عمن هو أهل لها ، وهو المتمكن من الأدوات العلمية من أجل الوصول إلى فهم سديد لمراد الشرع من هذه النصوص.

وإنني لا أروم من هذا الذي قلته الدعوة إلى الامتناع التام عن قراءة النص الديني قراءة متجددة ومعاصرة، ولكني أروم منها الدعوة إلى منع أولئك الذين لا يدركون خصائص النص الديني، وليست لهم دراية بالأدوات التي تستخدم لفهم النص ، فإن قراءتهم تضر بالإسلام أكثر مما تنفعه ، ودرء المفاسد في ديننا مقدم على جلب المصالح.

ولابدَّ من الابتعاد عن الوقوع فيما وقع فيه دعاة القراءة الجديدة المعاصرة حيث إنهم حكموا على جميع النصوص بالنسبية ، فليس عندهم نص مطلق ،

وليس عندهم ثابت أو قاطع من الأحكام والعقائد ، وبمقابل هذا المنهج المعوج ، منهج يعد جميع النصوص الدينية مطلقة ، ولا يعترف بوجود متغير أو نص قابل للتغير والتبدل والتحول، مما دفع العديد من الطيبين في تاريخنا إلى الدعوة إلى سدِّ باب الاجتهاد ظناً منهم أنهم بذلك يحمون الإسلام وأحكامه من التلاعب والتحريف .

والحال أن سد باب الاجتهاد أمام كل أحد فيه ضرر كبير لا يقل عن ضرر فتح بابه لكل من هبَّ ودبّ.

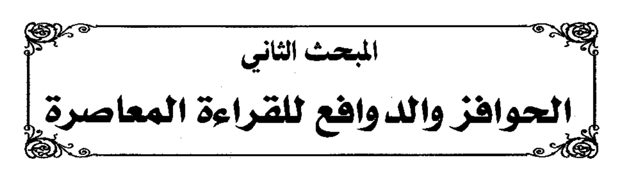
فحظر الاجتهاد مؤداه غياب التوجيهات العلمية السديدة للواقعات الجديدة والنوازل ، وللتطورات التي تطرأ على حياة الناس، وبغيابها لا بدّ للأمة أن تعاني من التخلف والتأخر، والتجديد في حقيقته واقع فيما بشَّر به الرسول ﷺ .

عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن رَسُولِ الله ﷺ قالَ: « **إنّ الله يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأمّةِ عَلَى رَأْسِ كُلّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدّدُ لَهَا دِينَهَا** »[1].

فإذا كان الدين يجدد وهو المنزل من عند الله ، فإن تجديد الفكر للواقعات الجديدة من اجتهادات البشر من باب أولى، فلا محظور في تجديد هذا الفكر ما دام مجدده متمكناً منه وقادراً عليه ، وقد توافرت الشروط العلمية فيه، أما حكاية الغراب الذي أراد أن يقلد صوت البلبل ، فهي لا تتناسب مع المنهجية العلمية.

* * *

(1) رواه أبو داود في كتاب الملاحم باب ما يذكر في قرن المائة ، رقم الحديث : ٤٢٩١.



المبحث الثاني

الحوافز والدوافع للقراءة المعاصرة

الحوافز والدوافع التي دعت هؤلاء المؤولة إلى هذه القراءة الجديدة المعاصرة للنص الديني مختلفة :

١ـ منهم المؤمن فاقد المعرفة الشرعية ، لا يقرأ إلا لأصحاب هذا الاتجاه، فيتأثر بهم ويجاريهم.

٢ ـ ومنهم المرتد الذي يجد ضالته في تلك القراءات ويتبنى مقولاتها.

٣ ـ وهناك المبهور ببريق آرائهم الخلاب ، وبنزعة التطور والتقدم.

٤ ـ وهناك المتألم من واقعه المتخلف فيرى في هذه القراءة حبل النجاة .

٥ـ وهناك المتأثر بشبهات المستشرقين التي ما لبثوا يبثونها، فأصبحوا أتباعاً مخلصين لهم .

٦ـ وهناك من تستهويهم الشهرة [1]، فيركبون هذه الموجة الجديدة يتبنون مقولاتها ، ثم يسهمون في إذاعتها دراسة وتأليفاً [2] وخطابة .

---

(1) يقول **محمد لطفي اليوسفي** : إن عبد المجيد الشرفي يروم الشهرة والصيت عندما يقع تكفيره كما حصل لغيره، فهل أصبح من دواعي القراءات الجديدة الرغبة في نيل الشهرة بالتكفير ؟! . اهـ **(السلفية المندسة في آليات التكفير الحداثوي)** كتابات عبد المجيد الشرفي أنموذجاً ، محمد لطفي اليوسفي ، سكربيوس ، تونس ٢٠٠٢م : ١١٤.

(2) نشر حسين **أحمد أمين** مكالمة جرت بينه وبين **فرج فودة** في صحيفة الجيل القاهرية في سلسلة مقالاته : (**شخصيات عرفتهم**) وتحت عنوان بخط كبير جداً (فرج فودة يتهم سعيد العشماوي بإبلاغ الأزهر عن كتبه .. ويتحسر على حظه الهباب) ، وهذه فقرات من نصها:

ـ طبعاً سمعت الخبر يا أستاذ حسين ؟.

ـ أي خبر؟. =

= ـ خبر مصادرة خمسة كتب للمستشار سعيد العشماوي في معرض القاهرة للكتاب .

-نعم ، وقد آلمني الأمر وأحزنني أشد الحزن.

ـ آلمك وأحزنك؟ اسمح لي أسألك: على من أحزنك الخبر؟.

ـ على المستشار العشماوي بطبيعة الحال.

ـ على المستشار العشماوي ؟ استاذي الكبير. منذ أذيع خبر المصادرة أي في بحر ثلاثة أيام بيع سبعة آلاف نسخة من كتاب معالم الإسلام ، وخمسة آلاف نسخة من كتاب أصول الشريعة ، وستة عشر ألف نسخة من كتاب «الخلافة الإسلامية» وهلم جراً ، كم نسخة بيعت من كتابك «الإمام» حتى الآن؟.

ـ ثلاثة آلاف.

ـ اتفرج يا سيدي ، وأنا لم أبع من كتابي «الحقيقة الغائبة» غير ألفي نسخة.

ـ كم يدفع ناشرك مقابل إعلان صغير عن كتاب لك في الأهرام أو الأخبار؟ .

ـ ستمائة جنيه على الأقل.

ـ والمستشار سعيد العشماوي تتهافت الكتب والمجلات اليوم على نشر الأحاديث معه والمقالات له على ثلاث صفحات أو أربع، ومع صورة كبيرة له دون أن يدفع شيئًا، بل ربما دفعت هذه الصحف والمجلات له المكافآت عن هذه الأحاديث والمقالات.. ارفع سماعة تليفونك ، واتصل به هو نفسه لتدرك مدى تهلله وسعادته بهذه الهبة التي نزلت عليه من السماء في صورة قرار بمصادرة كتبه ، وقد كان الرجل في جميع أحاديثه مع الصحف من الدهاء والمكر بحيث تظاهر بالغضب والاستياء الشديدين من هذا القرار، وكأنما أضير من جرائه ضررًا بالغًا ، بل وهدد برفع قضية على مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

ـ أجاد أنت؟ تقول: إنه سعيد بما حدث ؟.

ـ كلمه أنت .. أليس صديقك؟ «دار سينا» - يا أستاذي - بعد أن نفدت نسخ كتبه تستعين بثلاث مطابع في آن واحد لإعادة طبع الكتب ، والمطابع تعمل ليل نهار كي توفرها في السوق في ظرف أسبوع واحد لمواجهة الطلب المتزايد عليها.

ـ هذا خبر سار حقًا.

ـ سار حقًا؟ اسمح لي أسألك: سار بالنسبة لمن ؟ .

ـ للعشماوي بطبيعة الحال.

٧ـ وهناك من يعتنق آراء مسبقة فيروم أن يؤول النصوص ويلوي عنقها لتسعفه بالدليل الداعم لآرائه.

٨ ـ وهناك من له موقف مناوئ من التراث عموماً، ووجد في قراءته متنفساً وانسجاماً مع موقفه وإخلاصاً له.

٩ ـ وهناك من ينهزه أكثر من داع من الدواعي المشار إليها.

١٠ ـ وهناك من يطلب رضا السلطة السياسية المنحرفة، لتحصيل مركز نفوذ، أو رفع مستوى مادي.

١١ ـ دعوى تقديس العقل، بل إخضاع الدين للعقل، وجعل العقل أساساً للتشريع.

١٢ـ عدم كفاءة من يتصدى لتفسير القرآن الكريم، إما لضعف التحصيل العلمي، وإما عدم اعتماد المراجع والمصادر الأصلية، فلا يعتمدون على القرآن والسنة، بل يأخذون علمهم من كتب التاريخ والأدب مثلاً.

فهذه نماذج تؤكد أن كثيراً من الضلالات، نشأ عن الجهل والبعد عن

ـ للعشماوي؟ وماذا عني وعنك يا أستاذ حسين؟ وماذا عن كتبي وكتبك؟ لماذا لم يأمر مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر بمصادرتها هي أيضاً رغم أنها تحوي من الأفكار ما هو أخطر ألف مرة مما ورد في كتب العشماوي؟ «دليل المسلم الحزين مثلا» أو «الإسلام في عالم متغير» أو «قبل السقوط» أو «نكون أو لا نكون» هل هذه الكتب في رأيك أقل خطراً من كتب المستشار العشماوي؟ .. أم هي في رأي الأزهر لا غبار عليها من الناحية الدينية ككتب الشيخ الغزالي والشيخ القرضاوي؟ ......

ـ جتنا نيلة في حظنا الهباب!!.اهـ .. [صحيفة الجيل القاهرية، الصادرة يوم الأحد ٢٨ فبراير ١٩٩٩م : ١١].

الثقافة اللغوية والشرعية، والجهل أصل كل داء، وسبب كل انحراف وخطأ[1].

وسوء القصد هو الطاغي لدى كثير ممن يناوئون ويتعصبون، تارة مع إخفاء العداء، وتارة مع الجرأة على إعلانه، ولا يجدي ما يرفعونه من شعار الإخلاص والموضوعية، إذ العبرة بالحقائق والنتائج.

ولولا ضرورة البحث لما كان لذكر هذه النماذج من القراءة الجديدة معنى، إذ لا يستسيغها عقل سليم، فتركها أولى من ذكرها، وبطلانها بيّن، وعوارها مكشوف، ولقد صدق **عبد الرحمن حبنكة** إذ يقول وهو يتابع مثل هذه الضلالات:

إنني لأخجل من القارئ ومن نفسي حينما أضع مثل هذا المجون الفكري، أو الجنون الكفري، موضع التحليل والنقد والتفنيد، إذ لا يستحق لدى العقلاء، بل لدى ذوي الفكر العادي أكثر من النبذ إلى الحريق، أو إلى مجمع القمامات، وعذري في كشف أباطيله وزيوفه وتعرية مقاصده وغاياته، أننا في مجتمعات بشرية يوجد فيها من يقتاتون على أرجاس القمامات الفكرية، لما

---

(1) جاء في كتاب (معجزات قلب القرآن) لمؤلفه هشام سعيد الدفتردار اللبناني، واقعة حصلت بوجوده وهو طالب، وهي واقعة أدبية طريفة ولطيفة تصلح أن تكون مثالاً للقراءة المعاصرة، يقول الشيخ في معرض كلامه عن التأويل الفاسد أنه كمثل (صاحبه) الذي جعل القطاطيب جمع (القطّاب) في قول الشاعر:

ولولا المزعجات من الليالي ... لما مس القطاطيب المنام

ولما سئل صاحبه عن (القطاب) قال: هو الكثيب من الرمل، فقيل له: إن الرمل لا ينام، فقال وهو يبتسم ابتسامة ماكرة: ألا ترون أن الرمل يكون عاصفاً ثم يسكن. انتهت القصة مع بعض التصرف، وهكذا أصحاب القراءة المعاصرة يأتون بمثل هذه الدلالات العجيبة المضحكة التي تصلح أن تلحق بكتاب (أخبار الحمقى والمغفلين) لابن الجوزي رحمه الله، فكم سيكون حجم كتاب ابن الجوزي لو كان حياً إلى الآن ؟!.

لهم فيها من أهواء وشهوات ، وهذا الأمر يجعلنا مضطرين إلى تحذيرهم من أضرارها وأخطارها ، وكشف أرجاسها، وتوعيتهم بما فيه صحة لهم ، وبما فيه داء وبيل لأفكارهم ونفوسهم وقلوبهم [1] .

وليس كل ما كتب في هذا المجال دفاعاً عن الإسلام ، فهو أعلى من أن يحتاج إلى دفاع، ولكنه بيان لزيف عملة رائجة عند كثير من الناس ، كان ينبغي أن تكون كاسدة لديهم لأنها عملة نبهرجة ، ولكن حين يلتبس الحق بالباطل ، والعملة الصحيحة بالعملة المزيفة، وحين تضيع الموازين ، وتنعدم المقاييس ، يحتاج إلى البيان ، والبيان يرفع الغطاء عن العيون ، والبرقع عن الوجوه ، فإذا البصر عندئذ حديد ، ولَلباطل أهون عند الله من أن يرد عليه المهتدون من العقلاء، ولكن الله سبحانه وتعالى سنَّ لنا في كتابه وسنة نبيِّه ﷺ الردَّ فاقتدينا.

وأخيراً :

أستطيع القول بأن هناك عدة قراءات للقرآن! ولا نعني بالقراءات تلك القراءات القرآنية العشر التي أنزلها الله على رسوله ﷺ وأجاز للمسلمين القراءة بها، والتي يتعلمها طلبة العلم في الجامعات والمساجد ومراكز تحفيظ القرآن، فتلك القراءات صحيحة، كلها كلام الله، إنما نعني بالقراءات المختلفة والأفهام الخاطئة، التي يفهمها بعض المزاجيين من القرآن الكريم .

كل صاحب هوى ومزاج يريد قرآناً يتفق مع هواه ومزاجه، ويبحث عن آيات تحقق له ما يريد ، وإن ناقشته وفندت كلامه، وبينت خطأه وبراءة القرآن من فهمه، زعم أنك متطرف متشدد أصولي.

---

(1) عبد الرحمن حسن حبنكة : التحريف المعاصر في الدين ، تسلل في الأنفاق بعد السقوط في الأعماق : ٢٣٤.

وأهم القراءات القرآنية المعاصرة قراءتان:

الأولى: القراءة المزاجية له: التي تصدر عن أصحاب الأهواء المختلفة ويفهمون بها القرآن فهماً منفتحاً متقدماً متطوراً!! ويدعون إلى تغيير الخطاب القرآني، ليتفق مع قيم العصر الحديث ، ويسمح لكل مسلم أن يأخذ منه ما يشاء، ويدع ما يشاء.

الثانية: القراءة الصحيحة له: وهي التي تصدر عن جنود الله وأوليائه من الصالحين، والصالحات، الذين أحسنوا فهم القرآن، واعتبروه كتاب حياة وحركة وحكم وتشريع ومواجهة وجهاد.

فكونوا من أصحاب القراءة الثانية للقرآن وتحركوا به وجاهدوا به أعداءه.

❊ ❊ ❊

الخاتمة

وتشتمل على :

١- أهم النتائج والقرارات والتوصيات التي توصل إليه البحث .

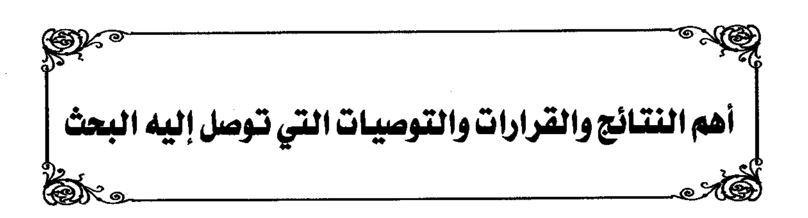
٢ - المصادر والمراجع.

٣ - فهرس الآيات.

٤ - فهرس الأحاديث.

٥- فهرس عام لموضوعات البحث.





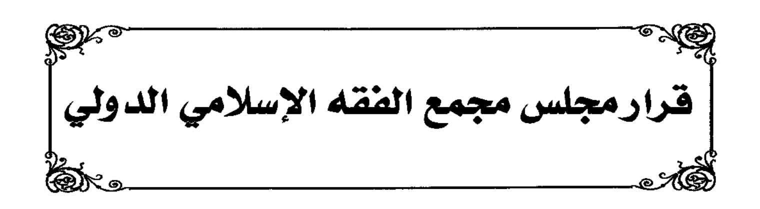
أهم النتائج والقرارات والتوصيات التي توصل إليه البحث

- نتائج التأويل في القراءة الجديدة المعاصرة :

لم تتطرق هذه القراءة الجديدة إلى كل تفاصيل الدين بالبيان لتقدم تصوراً مفصلاً للدين في عقائده وشرائعه وأخلاقه ، وقد لا يكون بإمكانها أن تفعل ذلك، إذ يستلزم الأمر تراكماً معرفياً قد يستغرق الزمن الطويل ، لكنها قدمت تصوراً عاماً للدين الذي ينبغي أن يكون ديناً للأمة ، بياناً للأسس التي يقوم عليها مع بعض التفصيل للشرائع العملية التي ينبغي أن تحكم الحياة الاجتماعية للناس، إلا أن الأسس المبدئية المنهجية التي انبنت عليها هذه القراءة ، والتي شرحها أصحابها بشيء من التفصيل تسمح للدارس أن يستكمل صورة التدين الذي تدعو إليه هذه القراءة ، وذلك بأن يُجري على ما لم يقع فيه تفصيل على نسق ما فصلته القراءة ، ووفق الأسس المنهجية التي رسمتها وجرت عليها.

لذلك يمكن القول بأن هذه القراءة الجديدة تحمل إمكانية تغيير الدين الذي عرفته الأمة تغييراً كاملاً ليحُلَّ محله دين جديد ، ذاك ما تقتضيه الأسس المنهجية التي تأسست عليها هذه القراءة.

***



قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي

إنَّ مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في دورته السادسة عشرة بدبي (دولة الإمارات العربية المتحدة) من ٣٠ صفر إلى ٥ ربيع الأول ١٤٢٦هـ ، الموافق ٩ – ١٤ نيسان (أبريل) ٢٠٠٥م ،بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع القراءة الجديدة للقرآن وللنصوص الدينية ، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله ، قرر ما يأتي :

أولاً : إنَّ ما يُسمى بالقراءة الجديدة للنصوص الدينية إذا أدت لتحريف معاني النصوص ولو بالاستناد إلى أقوال شاذة بحيث تخرج النصوص عن المُجمع عليه ، وتتناقض مع الحقائق الشرعية يُعد بدعة منكرة وخطراً جسيماً على المجتمعات الإسلامية وثقافتها وقيمها ، مع ملاحظة أن بعض حَمَلَة هذا الاتجاه وقعوا فيه بسبب الجهل بالمعايير الضابطة للتفسير، أو الهوس بالتجديد غير المنضبط بالضوابط الشرعية .

وتتجلى بوادر استفحال الخطر في تبني بعض الجامعات منهج هذه القراءات ، ونشر مقولاتها بمختلف وسائل التبليغ ، والتشجيع على تناول موضوعاتها في رسائل جامعية ، ودعوة رموزها إلى المحاضرة والإسهام في الندوات المشبوهة ، والإقبال على ترجمة ما كتب من آرائها بلغات أجنبية، ونشر بعض المؤسسات لكتبهم المسمومة .

ثانياً : أصبح التصدي لتيار هذه القراءات من فروض الكفاية ، ومن وسائل التصدي لهذا التيار وحسم خطره ما يلي :

ـ دعوة الحكومات الإسلامية إلى مواجهة هذا الخطر الداهم ، وتجلية الفرق بين حرية الرأي المسؤولة الهادفة المحترمة للثوابت، وبين الحرية المنفلتة الهدامة ، لكي تقوم هذه الحكومات باتخاذ الإجراءات اللازمة لمراقبة مؤسسات النشر والمراكز الثقافية ، والمؤسسات الإعلامية ، والعمل على تعميق التوعية الإسلامية العامة ، ومعرفة معايير الاجتهاد الشرعي ، والتفسير الصحيح ، وشرح الحديث النبوي ، في نفوس النشء والشباب الجامعي .

ـ اتخاذ وسائل مناسبة «مثل عقد ندوات مناقشة» للإرشاد إلى التعمق في دراسة علوم الشريعة ومصطلحاتها ، وتشجيع الاجتهاد المنضبط بالضوابط الشرعية وأصول اللغة العربية ومعهوداتها .

ـ توسيع مجال الحوار المنهجي الإيجابي مع حملة هذا الاتجاه .

ـ تشجيع المختصين في الدراسات الإسلامية لتكثيف الردود العملية الجادة ومناقشة مقولاتهم في مختلف المجالات، وبخاصة مناهج التعليم .

ـ توجيه بعض طلبة الدراسات العليا في العقيدة والحديث والشريعة، إلى اختيار موضوعات رسائلهم الجامعية في نشر الحقائق والرد الجاد على آرائهم ومزاعمهم.

ـ تكوين خلية عمل تابعة لمجمع الفقه الإسلامي بجدة ، مع إنشاء مكتبة شاملة للمؤلفات في هذا الموضوع ، ترصد ما نشر فيه والردود عليه ، تمهيداً لكتابة البحوث الجادة ، وللتنسيق بين الدارسين فيه، ضمن مختلف مؤسسات البحث في العالم الإسلامي وخارجه .

أهم النتائج التي توصل إليه البحث :

١ ـ القراءة الجديدة المعاصرة للنص الديني مصطلح جديد ، يمكن اعتباره سلاحاً ذو حدين، فقد يراد به الإساءة إلى القرآن الكريم والدين باسم التجديد والتقدم ، من باب قلب الحقائق وتشويهها، وقد يراد به بعث الهمم واستنهاض العزائم ، للخروج من الواقع المرير الذي تعيشه أمة الإسلام هذه الأيام ، فليعلم المسلم أنه ليس كل جديد يؤخذ ، ولا كل قديم ينبذ.

٢ ـ إن تشويه صورة الإسلام أصبح هدفاً مهماً من أهداف أعدائه من المستشرقين والعلمانيين ، ومن لفَّ لفهم من الملحدين والمنافقين.

٣ ـ إن الكذب وتحريف الحقائق غدا سمة الإعلام لدى أعداء الإسلام ، تماماً مثلما يجعل الكذب وسيلة من وسائل الثراء الفاحش.

٤ ـ لقد أدرك أعداء الإسلام أن سرَّ انتصار المسلمين يكمن في قوة تمسكهم بكتاب ربهم ، وفهمه في ضوء فهم أسلافهم ، فتضافرت جهودهم في بلبلة أفكار المسلمين بفهم جديد معاصر ، يقوم على نسف ما بناه أسلافهم إبان عصورهم الزاهرة ، ليكون الإسلام بعد ذلك في نفوس المسلمين كالنصرانية اليوم في نفوس النصارى، التي خرجت من الدين الإلهي إلى الدين الطبيعي.

٥ـ إن رجال العلم والفكر والدعوة في الأمة مدعوون للوقوف بحزم بوجه هذه الحملة الشرسة الجديدة ، وكشف زيفها وفضح دسائسها، وتبصير المسلمين بعظيم خطرها ، ونذكِّرهم هنا بالوقفة المشرِّفة التي وقفها أسلافهم بوجه حملات دس الخرافات من الأحاديث الموضوعة والإسرائيليات

الباطلة ، فحموا هذا الدين وحفظوه ، ونفوا عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين.

٦ـ أكثر نتائج القراءة الجديدة المتحررة من الضوابط ، الخارجة على الثوابت والمسلمات ، لا ترقى إلى مستوى تذكر ، أو تعرض على مائدة البحث والمناقشة والنقد، وذلك لتهافتها ووضوح بطلانها ، بل وإفراز الكفر الصريح من بين سطورها، وقد اضطررنا إلى ذكر نماذج منها ، لعلها أقل شراً وأخف ضلالاً من غيرها .

٧ـ إن التمسك بمنهج سلف هذه الأمة قولاً وعملاً ، هو السبيل للنهوض بها واسترجاع ريادتها وقيادتها ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، وأعداء الإسلام ينزعجون من مثل الدعوة إلى إحياء منهج السلف في الأمة، بينما يباركون دعوات التجديد التي تقوم على نسف منهج السلف ، وإلغاء دوره التوجيهي في الحياة .

٨ ـ تفويت الفرصة معرفياً على أمثال أصحاب القراءات المعاصرة، من أن في الفكر الإسلامي وعلم الأصول ما يغني ثقافة الأمة ويثريها ، ويحررها من المناهج الحديثة للفكر الغربي، وإن كان من الضروري الاستفادة من فكر الآخر ، وعرضه على مناهج الفكر الإسلامي المعرفية والأصولية، حتى تتم عملية الغربلة والتنقية من المضامين المباينة للطابع التوحيدي.

٩ ـ المنهج السليم في فهم الدين يقوم على الاتباع وليس الابتداع، قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]، ووردت

---

(1) سورة الأنفال : ٦٤ .

أحاديث تحض على الاتباع ونبذ الابتداع ، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ »[1].

١٠ ـ إن القراءة المعاصرة الجديدة ، إذا كانت وفق الضوابط والقواعد المقررة ، تكون نافعة ومفيدة ، بل لا بدَّ منها ، وهي حاصلة في هذه الأمة بحمد الله تعالى ، ولم تزل الدراسات القرآنية والحديثية والمجامع الفقهية، ودور البحث العلمي ، والمؤتمرات الدولية في مختلف أصقاع العالم الإسلامي الكبير تبلي بلاء حسناً في هذا المضمار، وإن كان الأمر يتطلب مزيداً من الجد والجهد والاجتهاد.

وأخيراً أختم البحث بحديث للنبي ﷺ وهو يخبرنا بما سيحدث في مثل هذه الأيام حيث يقول : «يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ يَأْتُونَكُمْ مِنَ الأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ ، لا يُضِلُّونكُمْ وَلا يَفْتِنُونَكُمْ »[2].

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

***

(1) رواه البخاري في كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود رقم الحديث : ٢٤٩٩، ومسلم في كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور رقم الحديث : ٣٢٤٢، وأبو داود في كتاب السنة باب في لزوم السنة رقم الحديث : ٣٩٩٠.

(2) رواه مسلم في المقدمة باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها ، رقم الحديث : ٨ ، وأحمد في باقي مسند المكثرين رقم الحديث : ٧٩١٩.

المصادر والمراجع

١ـ القرآن الكريم.

(أ)

٢ـ أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الفيروزآبادي الشافعي، اللمع (أصول فقه شافعي) ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٣ـ إبراهيم بن موسى الشاطبي : الموافقات في أصول الفقه، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة.

٤ـ أحمد إسماعيل راغب ، أهكذا يكون فهم الإسلام ، دراسة علمية نقدية لأهم أفكار محمد أمين شيخو على ضوء العلم والقرآن ، دار العصماء ، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٥ـ أحمد أمين ، فجر الإسلام ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٧٥م.

٦ـ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني ، مجموع الفتاوى ، عبد الرحمن بن قاسم النجدي ،الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

٧ـ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، تحقيق : عصام حرستاني و محمد إبراهيم الزعلي ، دار الجيل بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

٨ـ أحمد بن عبد الحليم شيخ الإسلام ابن تيمية ، مقدمة في أصول التفسير ، طبعة دار القرآن ، القاهرة.

٩ـ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، دار الريان للتراث، المطبعة السلفية، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.

١٠ـ أحمد عمران : القراءة المعاصرة للقرآن في الميزان ، دار النفائس بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ١٩٩٥م: ٣٨٩.

١١ـ الحافظ المحدث أبو بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي : الكفاية في علم الرواية ، القاهرة ١٩٧٢م.

١٢ـ أحمد محمد جمال، مفتريات على الإسلام ، رابطة العالم الإسلامي ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

١٣ـ أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي المعروف بالسمين ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، تحقيق : د. أحمد الخراط ، دار القلم دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

١٤ـ احميدة بن المأمون النيفر : الإنسان والقرآن وجهاً لوجه (التفاسير القرآنية المعاصرة) قراءة في المنهج (سلسلة نقد العقل المعاصر)، دار الفكر بدمشق ٢٠٠٠م.

١٥ـ اسماعيل بن محمد العجلوني ، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، تعليق : أحمد القلاش، الطبعة الرابعة مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ.

١٦ـ ألفونس إيتين دينييه ، محمد رسول الله ، ترجمة عبد الحليم محمود ومحمد عبد الحليم محمود ، طبعة القاهرة ١٩٦٦م.

(ج)

١٧ـ ابن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية ، مطبعة دار المعارف سنة ١٩٦٧م : ٤ / ١٩١ .

١٨ـ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، دار الندوة الجديدة ، بيروت.

١٩ـ جلال صادق العظم ، ما بعد ذهنية التحريم ، دار المدى ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م.

٢٠ـ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري ، لسان العرب مطبعة دار صادر ، بيروت سنة ١٣٧٥هـ ١٩٦٦م.

٢١ـ جمال البنا ، ما بعد الإخوان المسلمين ، الناشر دار الفكر الإسلامي ، القاهرة ١٩٩٦م.

٢٢ـ جواد عفانة : القرآن وأوهام القراءة المعاصرة ، دار البشير ، عمان الأردن الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

(ح)

٢٣ـ ابن حزم الظاهري علي بن أحمد ، نشر زكريا علي يوسف ، القاهرة ، د.ت.

٢٤ـ ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٢٥ـ ابن حجر العسقلاني ، تقريب التهذيب ، تحقيق وتعليق الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر سنة ١٣٨٠هـ .

٢٦ـ ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والنحل، ط. محمد علي صبيح .مصر.

٢٧ ـ حسن حنفي ، في الثقافة السياسية ، دمشق ، دار علاء الدين ١٩٩٨م الطبعة الأولى.

٢٨- حسن حنفي ، الإسلام والحداثة ، ندوة مواقف (د. ت).

٢٩- حسن حنفي ، التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ٢٠٠١م الطبعة الخامسة.

(خ)

٣٠- خالد عبد الرحمن العك ، الفرقان والقرآن ، قراءة إسلامية معاصرة ضمن الثوابت العلمية والضوابط المنهجية، وهي مقدمات للتفسير العلمي للقرآن الكريم ، الحكمة للطباعة والنشر، دمشق ، الطبعة الثانية ١٤١٦-١٩٩٦م .

٣١- خوجة كمال الدين ، المثل الأعلى في الأنبياء ، الطبعة العربية ، دار الفكر بدمشق ، الطبعة الثانية ١٩٨٩م.

٣٢- خير الدين الزركلي ، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٨٠م.

٣٣- خيرية السقة، الإسلام والعروبة في فكر الصادق النيهوم وروجيه غارودي، مطبعة المنارة بيروت ودمشق ، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(د)

٣٤- الإمام الدهلوي ، شاه ولي الله الدهلوي أحمد بن عبد الرحيم: الفوز الكبير في أصول التفسير ، تقديم : د. عبد الودود شلبي ، هدية مجلة الأزهر ، رجب ١٤٠٤هـ.

(ر)

٣٥- رمزي نعناعة ، الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير ، دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م.

(س)

٣٦- سامر إسلامبولي : القرآن بين اللغة والواقع ، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م الأوائل للنشر والتوزيع.

٣٧- سامر إسلامبولي ، ظاهرة النص القرآني تاريخ ومعاصرة ، رد على كتاب : النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة للدكتور طيب تيزيني،الأوائل للنشر والتوزيع ، دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

٣٨- أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري، الإكسير في علم التفسير ، تحقيق د. عبد القادر حسين ، مكتبة الآداب ، القاهرة.

٣٩ـ سليم الجابي ، القراءة المعاصرة للدكتور محمد شحرور مجرد تنجيم ـ كذب المنجمون ولو صدقوا ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٢م.

٤٠ـ سمير يحيى الجمال : الإنسان ذلك المخلوق العجيب.

٤١ـ السيد سابق ، فقه السنة دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة السابعة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م .

(ش)

٤٢ـ بنت الشاطئ، القرآن والتفسير العصري (هذا بلاغ للناس) ، مجلة اقرأ العدد ٣٣٥ نوفمبر سنة ١٩٧٠م، دار المعارف بمصر ، رئيس التحرير : عادل الغضبان.

٤٣ـ شمس الدين محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة الطبعة الأولى ١٩٥٥م.

٤٤ـ شوقي أبو خليل ، قراءة علمية للقراءات المعاصرة ، دار الفكر بدمشق ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

٤٥ـ شوقي أبو خليل ، الإسلام في قفص الاتهام ، دار الفكر دمشق ، الطبعة الخامسة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

(ص)

٤٦ـ صادق جلال العظم : نقد الفكر الديني ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، الطبعة التاسعة ٢٠٠٣م.

٤٧ـ الصادق النيهوم ، إسلام ضد الإسلام ، رياض الريس للكتب والنشر، لندن ، قبرص عام ١٩٩٤م.

٤٨ـ الصادق النيهوم ، الإسلام في الأسر، رياض الريس للكتب والنشر، لندن قبرص بيروت ، ١٩٩١ م .

٤٩ـ صلاح الدين خليل الكلاس ، التشابه منهج القرآن في فهم القرآن ، الكتاب الأول من سلسلة التراث والمعاصرة أمام محكمة الأصالة ، دار القادري ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

٥٠ـ صلاح عبد الفتاح الخالدي ، مفاتيح للتعامل مع القرآن ، الكتاب الأول من كنوز القرآن ، دار القلم بدمشق ، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

(ط)

٥١ـ طه حسين ، في الشعر الجاهلي ، سلسلة ذاكرة الأمة / ٢ ، دار الخير للنشر والتوزيع.

٥٢ـ طه جابر العلواني ، إصلاح الفكر الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الثالثة ، ١٤١٦هـ.

٥٣ـ الطاهر الحداد ، امرأتنا في الشريعة والمجتمع ، صدر عام ١٩٣٠م.

٥٤ـ طيب تيزيني ، مقدمات أولية في الإسلام المحمدي الباكر ، دمشق ، دار دمشق ١٩٩٤م.

٥٥ـ طيب تيزيني ، النص القرآني أما إشكالية البنية والقراءة ، دمشق ، دار الينابيع ١٩٩٧م.

(ع)

٥٦ـ عادل ضاهر ، مقدمة كتاب: الأسس الفلسفية للعلمانية ، دار الساقي ، لندن.

٥٧ـ عبد الحميد أبو سليمان ، أزمة العقل المسلم ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الرياض الطبعة الثانية ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٥٨ـ عبد الرحمن بن محمد ، مقدمة ابن خلدون ، دار القلم ، بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

٥٩ـ عبد الرحمن حسن حبنكة : التحريف المعاصر في الدين ، تسلل في الأنفاق بعد السقوط في الأعماق.

٦٠ـ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، الأنوار الكاشفة لما في كتاب (أضواء على السنة) من الزلل والتضليل والمجازفة ، المطبعة السلفية بالقاهرة، سنة ١٣٧٨هـ.

٦١ـ عبد العزيز البدري، في كتابه : الإسلام بين العلماء والحكام، منشورات المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ١٩٦٦م.

٦٢ـ عبد القادر محمد صالح ، التفسير والمفسرون في العصر الحديث ، عرض ودراسة مفصلة، لأهم كتب التفسير المعاصر ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

٦٣ـ عبد الله سراج الدين : شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث، دار التراث الإسلامي ، حلب الطبعة الخامسة ١٤٠٤هـ.

٦٤ـ عبد اللطيف فرفور ، تهافت الفكر الجدلي وقضايا معاصرة ، دار المعرفة بدمشق ، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

٦٥ـ عبد المجيد الشرفي : الإسلام والحداثة، طبعة دار الجنوب للنشر ، تونس ١٩٩٨م.

٦٦ـ عبد المجيد الشرفي : الإسلام بين الرسالة والتاريخ، طبعة دار الطليعة ، بيروت، ٢٠٠١م.

٦٧ـ أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح ، علوم الحديث لابن الصلاح ، تحقيق نور الدين عتر ، دار الفكر بيروت ودمشق ، تصوير ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٦٨ـ أبو العلاء المعري : رسالة الغفران، تحقيق د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دار المعارف، الطبعة السابعة.

٦٩ـ أدونيس : علي أحمد سعيد ، الثابت والمتحول ، بحث في الاتباع والإبداع عند العرب ، ٣ـ صدمة الحداثة ، دار العودة بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٨٣م.

٧٠ـ علي حرب ، نقد النص ، بيروت ، المركز الثقافي العربي ١٩٩٣م.

(ف)

٧١ـ فضل الرحمن : الإسلام وضرورة التحديث : نحو إحداث تغيير في التقاليد الثقافية ، ترجمة : ابراهيم العريس ، دار الساقي ، لندن ، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

٧٢ـ أبو إسحاق الفيروز أبادي الشيرازي : المهذب في الفقه الشافعي ، دار الفكر، بيروت.

(ق)

٧٣ـ ابن القيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٥٥ م.

(ك)

٧٤ـ الإمام أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) : تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر بيروت ، ١٩٩٢م ١٤١٢هـ.

٧٥ـ كلود ليفي ستروس، الإناسة البنيانية ، ترجمة : حسن قبيسي ، بيروت ، المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٥م .

(ل)

٧٦ـ لؤي صافي ، العقيدة والسياسة معالم نظرية عامة للدولة الإسلامية ، المعهد العلمي للفكر الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

(م)

٧٧ـ مالك بن نبي : الظاهرة القرآنية ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، طبعة دار الفكر ، دمشق.

٧٨ـ مأمون الجويجاتي ، مغالطات المعاصرة ، في الرد على كتاب : دراسات دينية معاصرة في الدولة والمجتمع ، طبعة الجفان والجابي، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

٧٩ـ وماهر المنجد ، الإشكالية المنهجية في الكتاب والقرآن دراسة ونقد ، دار الفكر دمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

٨٠ـ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، الشيرازي. القاموس المحيط، والقابوس الوسيط، الجامع لما ذهب من كلام العرب شماطيط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

٨١ـ و محمد بن إبراهيم بن المنذر : الإجماع ، تحقيق : عبد الله عمر البارودي ، دار الجنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٨٢ـ محمد بن إدريس الشافعي : الرسالة ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، مصورة بيروت ، د.ت.

٨٣ـ محمد أمين شيخو ، تأويل الأمين للقرآن العظيم ، جمع وتحقيق : عبد القادر الديراني ، دمشق ، دار البشير.

٨٤ـ محمد أمين شيخو ، تأويل جزء عم ، جمع وتحقيق : عبد القادر الديراني ، دمشق ، دار ابن هانئ ، ١٩٩١م.

٨٥ـ محمد الطاهر بن عاشور : تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد في الكتاب المجيد ، المعروف بـ التحرير والتنوير، طبعة الدار التونسية للنشر.

٨٦ـ محمد عابد الجابري ، العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته، المركز الثقافي العربي١٩٩٠م ، الدار البيضاء.

٨٧ـ محمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ، حققه د. بديع السيد اللحام، دار قتيبة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٨٨ـ محمد رشيد رضا ، تفسير المنار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢م.

٨٩ ـ محمد رفعت زنجير ، اتجاهات تجديدية متطرفة في الفكر الإسلامي المعاصر ، منار للنشر والتوزيع ، ٢٠٠١ م الطبعة الأولى.

٩٠ ـ محمد سعيد رمضان البوطي ، هذه مشكلاتهم ، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٩١ـ محمد سعيد رمضان البوطي ، يغالطونك إذ يقولون ... أسلوب حواري يكشف عن مغالطات خطيرة في موضوعات هامة ، دار الفارابي للمعارف ودار اقرأ ، دمشق الطبعة الأولى ٢٠٠٠م ١٤٢١هـ .

٩٢- محمد أركون : تاريخية الفكر العربي الإسلامي ، ترجمة هاشم صالح ، مركز الإنماء القومي بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٦م.

٩٣- محمد أركون ، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ، ترجمة : هاشم صالح ، ناشره دار الساقي .

٩٤- محمد أركون : الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ترجمة : هاشم صالح، دار الساقي للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ٢٠٠٢م.

٩٥- محمد أركون : الفكر الإسلامي نقد واجتهاد ، ترجمة : هاشم صالح، دار الساقي للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة ٢٠٠٧م.

٩٦- محمد أركون : الفكر الإسلامي ، قراءة علمية ، ترجمة : هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

٩٧- محمد حامد الناصر ، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ، مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الأولى.

٩٨- محمد السيد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ، طبع دار الكتب الحديثة سنة ١٣٧٩هـ ١٩٥٩م.

٩٩- محمد السيد حسين الذهبي ، الإسرائيليات في التفسير والحديث، لجنة النشر في دار الإيمان دمشق ، الطبعة الثانية ١٩٨٥م.

١٠٠- محمد حسين الصغير : المستشرقون والدراسات القرآنية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٨٣م.

١٠١- محمد الراشد، القرآن وتحديات العصر ، الأوائل ٢٠٠٢م.

١٠٢- محمد رشيد رضا ، تفسير المنار ، طبعة المنار.

١٠٣- محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي ، مؤسسة عز الدين ، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

١٠٤- محمد الطالبي : عيال الله (أفكار جديدة في علاقة المسلم بنفسه وبالآخرين) دار سراس للنشر ، تونس ٢٠٠١م.

١٠٥- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن، تعليق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الفكر ، بيروت طبعة عام ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

١٠٦- محمد أبو زهو ، الحديث والمحدثون ، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٨ هـ ١٩٥٨م مطبعة مصر.

١٠٧ـ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن، شرح أحمد صقر، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى.

١٠٨ـ و محمد عبد الله دراز : النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، طبعة دار القلم كويت، عام ١٤٠٤هـ.

١٠٩ـ محمد عجاج الخطيب : المختصر الوجيز في علوم الحديث.

١١٠ـ محمد شمس الحق العظيم آبادي ، عون المعبود شرح سنن أبي داود ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٩٢م.

١١١ ـ محمد شحرور ، الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، طبعة الأهالي ١٩٩٠م ، دمشق.

١١٢ـ محمد شحرور ، دراسات إسلامية معاصرة في الدولة والمجتمع ١٩٩٤م

١١٣ـ محمد الشرفي : الإسلام والحرية ، الالتباس التاريخي، نشر دار الفنك ، الدار البيضاء ٢٠٠٢م.

١١٤ـ محمد صياح المعراوي : الماركسلامية والقرآن ، نشر عام ٢٠٠٠م ، دمشق.

١١٥ـ محمد عبده ، تفسير جزء عم ، طبعة بولاق.

١١٦ـ محمد عمارة ، الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء .. وإنصاف العلماء ، دار الشروق ، القاهرة ٢٠٠٥م ، الطبعة الأولى.

١١٧ـ محمد الصادق عرجون ، القرآن العظيم هدايته وإعجازه في كل أقوال المفسرين ، طبعة دار القلم دمشق ، الدار الشامية بيروت .

١١٨ـ محمد الغزالي ، كيف نتعامل مع القرآن ، في مدارسة أجراها الأستاذ عمر عبيد حسنة ، من مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الكتاب الخامس من سلسلة قضايا الفكر الإسلامي ، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

١١٩ـ محمد أبو القاسم حاج حمد : العالمية الإسلامية الثانية ، دار المسيرة ، بيروت.

١٢٠ـ محمود محمد طه : الرسالة الثانية من الإسلام، الطبعة الثالثة ١٩٦٩م.

١٢١ـ محمد المخزومي في كتابه : خاطرات جمال الدين الأفغاني ، دار الحقيقة بيروت١٩٨٠م.

١٢٢ـ محمود أبو رية في كتابه: جمال الدين الأفغاني تاريخه ورسالته ومبادئه.

١٢٣ـ محمود أبو رية ، أضواء على السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٥٨م .

١٢٤ـ محمود غراب ، رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن ، من كلام الشيخ محيي الدين بن عربي ، طبعة دمشق.

١٢٥ـ محمد لطفي اليوسفي، (السلفية المندسة في آليات التكفير الحداثوي) كتابات عبد المجيد الشرفي أنموذجاً ، سكربيوس ، تونس ٢٠٠٢م.

١٢٦ـ محمد محمود كالو ، مسيرة التفسير بين الانحراف والاختلاف ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

١٢٧ـ محمد محمود كالو : قضايا إسلامية ساخنة ، دار العلوم العربية للطباعة والنشر ، ٢٠٠٣م ، الطبعة الأولى.

١٢٨ـ محمد عابد الجابري ، مدخل إلى القرآن الكريم ، مركز دراسات الوحدة العربية.

١٢٩ـ مرسيا إلياد ، الحنين إلى الأصول ، ترجمة حسن قبيسي ، بيروت ، دار قابس، ١٩٩٤ .

١٣٠ـ مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن ، دار الكتب العربي ، بيروت.

١٣١ـ مصطفى محمود ، القرآن ؛ محاولة لفهم عصري للقرآن، دار المعارف ، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

١٣٢ـ منير محمد طاهر الشواف ، تهافت القراءة المعاصرة ، الشواف للنشر والدراسات ، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

١٣٣ـ أبو موسى الحريري ، قس ونبي ، بحث في نشأة الإسلام ، نشر دار لأجل المعرفة، ديار عقل لبنان.

١٣٤ـ ميخائيل غورباتشوف ، البيريسترويكا ، ترجمه للعربية : حمدي عبد الجواد ، ونشرته دار الشروق ، القاهرة ١٩٨٦م.

(ن)

١٣٥ـ نجيب العقيقي : المستشرقون، دار المعارف، طبعة رابعة موسعة ، القاهرة، د.ت.

١٣٦ـ نصر حامد أبو زيد ، نقد الخطاب الديني، دار سينا بالقاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٩٤م.

١٣٧ـ نصر حامد أبو زيد ، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٩٤م.

١٣٨ـ نصر حامد أبو زيد : النص، السلطة، الحقيقة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ١٩٩٥.

(هـ)

١٣٩ـ هشام الغزي ، بُنى الإسلام ، مطبعة العجلوني ، دمشق ١٩٩٢م ، الطبعة الأولى.

(ي)

١٤٠ـ يوسف الصيداوي : بيضة الديك، نقد لغوي لكتاب : الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، الطبعة الأولى.

١٤١ـ يوسف الصيداوي ، العربية بين خراكوفسكي ودك الباب ، طبعة دار الفكر بدمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

الأبحاث والمؤتمرات :

١٤٢ـ محمد بن الهادي أبو الأجفان ، القراءة الجديدة لنصوص الوحي ومناقشة مقولاتها ، بحث مقدم إلى منظمة المؤتمر الإسلامي ، مؤتمر مجمع الفقه الإسلامي ، الدورة السادسة عشرة في دبي ، ٩ـ ١٤ / ٤/ ٢٠٠٥م.

١٤٣ـ عيادة بن أيوب الكبيسي ،القراءة الجديدة للقرآن الكريم بين المنهج الصحيح والانحراف المسيء (المؤتمر السابق).

١٤٤ـ محمد علي التسخيري ، بين نظرية القراءات والاجتهاد الإسلامي (المؤتمر السابق).

١٤٥ـ عبد المجيد النجار ، القراءة الجديدة للنص الديني ـ عرض ونقد (المؤتمر السابق).

١٤٦ـ قطب مصطفى سانو ، القراءة الجديدة للقرآن والنصوص الدينية ـ رؤية منهجية(المؤتمر السابق).

١٤٧ـ حسن الجواهري ، القراءة الجديدة للقرآن والنصوص الدينية (الهرمنوطيقيا) (المؤتمر السابق).

١٤٨ـ عبد الستار فتح الله سعيد ، القراءة الجديدة للقرآن والنصوص الدينية (المؤتمر السابق).

١٤٩ـ الحاج دواق بن حمنه آل بوعافية بحث بعنوان (الاستراتيجية الأيديولوجية لمنهج محمد أركون المعرفي).

الصحف والدوريات :

١٥٠ـ مجلة إسلامية المعرفة: العدد ١٩ ، شتاء ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

١٥١ـ مجلة إسلامية المعرفة ، العدد ١١ شتاء ١٩٩٨م.

١٥٢ـ مجلة التسامح ، سلطنة عمان ، السنة الثانية ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م ، العدد : ٦ .

١٥٣ـ مجلة التجديد الماليزية في عددها الأول من السنة الأولى ، يناير ١٩٩٧ م.

١٥٤ـ ١٦٠ـ مجلة الفيصل ، العدد ٢٢٣ ، يونيو ١٩٩٥م.

١٥٥ـ مجلة المجلة العربية محرم ١٣٩٩هـ كانون ١ ديسمبر ١٩٧٨م العدد ١ السنة الثالثة.

١٥٦ـ مجلة الملتقى، العدد صفرين، بيروت، الملتقى الفكري للإبداع.

١٥٧ـ مجلة المنار ، العدد ٩ سنة : ١٩٠٦م.

١٥٨ـ مجلة نهج الإسلام السورية ، العدد ٤٦ السنة الثانية عشرة ـ جمادى الثانية ١٤٢١هـ كانون الأول ١٩٩١م.

١٥٩ـ مجلة نهج الإسلام ، العدد ٤٧ السنة الثالثة عشرة ـ رمضان ١٤١٢هـ آذار ١٩٩٢م.

١٦٠ـ مجلة نهج الإسلام ، العدد ٤٨ السنة الثالثة عشرة ـ ذي الحجة ١٤١٢هـ حزيران ١٩٩٢م.

١٦١ـ مجلة نهج الإسلام ، العدد ٤٩ السنة الثالثة عشرة ـ ربيع الأول ١٤١٢هـ أيلول ١٩٩٢م.

١٦٢ـ صحيفة الجيل القاهرية ، يوم الأحد ٢٨ فبراير ١٩٩٩م.

مواقع إنترنت :

١٦٣ ـ موقع الشهاب موقع النخبة تقرأه النخبة ، على الشبكة العنكبوتية:

http://www.chihab.net/modules.php?name=News&file=article&sid

١٦٤ـ مجلة الملتقى ، الملتقى الفكري للإبداع، العدد صفرين، بيروت، على الشبكة العنكبوتية :

& http://www.almultaka.net/majalla00.php?subaction=showfull&id

١٦٥ ـ موقع الفكرة الجمهورية ،لمحات من فكر وحياة الأستاذ محمود محمد طه

http://www.alfikra.org/book_view_a.php?book_id=10

١٦٦ ـ موقع الدكتور محمد شحرور :

http://www.shahrour.org/main.php

١٦٧ ـ موقع منبر الدكتور محمد عابد الجابري :

/http://www.aljabriabed.net

❋ ❋ ❋

فهرس الآيات القرآنية

﴿ بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ .. ﴾	إبراهيم	٣٧	١٦٢

.ث.

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾	فاطر	٣٢	٣٣

.ح.

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ .. ﴾	المائدة	٣	١٠٨-٢٤٧

.ذ.

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ .. ﴾	البقرة	٢٧٥	١٠٦
﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ .. ﴾	الأعراف	١٥٧	٥٥

.ر.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا .. ﴾	الكهف	١٠	٣٩

.ز.

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ .. ﴾	النور	٢	٩٩

.س.

﴿ سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾	النور	١٦	٢٥١

.ش.

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ .. ﴾	البقرة	١٨٥	٢٥٩

.ع.

﴿ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾	التوبة	١٢٩	٢٢٤

.ف.

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ .. ﴾	مريم	٢٩-٣٠	٦٢
﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا .. ﴾	الرعد	١٧	٣٧
﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾	القارعة	٩	٢٦٢
﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ .. ﴾	الكهف	٧٧	٣٠
﴿ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ .. ﴾	النساء	٣	١٤١
﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ .. ﴾	البقرة	٢٤	٢٤٠
﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ .. ﴾	النساء	١٦٠- ١٦١	١٠٦

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾	القصص	٢٤	٧٥
﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ .. ﴾	سبأ	١٤	٢٦٦
﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ .. ﴾	الأنعام	٤٣ـ٤٤	٢٦٦
﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ ﴾	المائدة	٣٩	١١٠
﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ .. ﴾	آل عمران	٧	١٣٣

ـ ق ـ

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى .. ﴾	آل عمران	٨١	٢٦٦
﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾	الأعراف	١٢	١٢٥
﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ .. ﴾	الأعراف	١٢	١٢٧
﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾	المائدة	١٥ـ١٦	٢٥ـ٢٨
﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾	الأنعام	٩١	١٦٥
﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ .. ﴾	الفرقان	٦	١٨٠
﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ .. ﴾	الأنعام	١٥١	٥٣
﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ .. ﴾	الأعراف	١٥٨	٢٨٩

ـ ك ـ

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ .. ﴾	الكهف	٥	٩٩
﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ .. ﴾	الحج	٢٢	٢٦٣

ـ ل ـ

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ﴾	آل عمران	١٣٠	١٠٩
﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾	النساء	٨٣	١٧٠
﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا .. ﴾	الحديد	٢٥	٣٢
﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾	المائدة	٤٨	٢٣
﴿ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ .. ﴾	الحج	٣٦	٧٥
﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ .. ﴾	النساء	١١	٩٧
﴿ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا .. ﴾	الأعراف	٢٠	١٢٨

• م •

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ..﴾	الكهف	٤٦	٢٦١
﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾	القلم	١٢	٧٥

• ن •

﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ..﴾	غافر	٤٦	٢٦٣

• هـ •

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا ..﴾	الجمعة	٢	٥٦

• و •

﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ..﴾	يوسف	٨٢	٣٠
﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ ..﴾	الحج	٣٠	٥٣
﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ ..﴾	الأعراف	٢٠٤	٥٤
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ..﴾	البقرة	١٢٦	١٦٢
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ..﴾	إبراهيم	٣٥	١٦٢
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ..﴾	البقرة	٥٤	٢٨٠
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ ..﴾	البقرة	٣٤	١٢٣
﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾	المؤمنون	١٠٩	٧٥
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَـٰمَىٰ ..﴾	النساء	٣	١٣٥ـ١٣٧
﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ..﴾	النحل	٤٤	٢٩ ـ ١٤٨ـ ٢٧٨
﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾	الحجر	٣٥	١٢٦
﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِى ..﴾	الإسراء	٧٣	٢٨٣
﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ..﴾	الأنعام	١٥٣	٢٣
﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ..﴾	الأنعام	١٧	٧٥
﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ..﴾	الحشر	٢١	١٨٩
﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ..﴾	آل عمران	٧	١٣٣
﴿وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم ..﴾	النساء	٢٣	١٠٩

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ .. ﴾	الزخرف	٣٦	٢٦٦
﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ .. ﴾	الإسراء	٨٢	٢٥
﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾	الحاقة	١٧	٢٤٤

-ي-

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ .. ﴾	الجمعة	٩	١٤٥-١٤٦- ١٤٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ .. ﴾	الأحزاب	٥٦	٣٠
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ .. ﴾	آل عمران	١٣٠	١٠٥-١٠٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ .. ﴾	النساء	٤٣	١١١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن .. ﴾	النساء	١٩	١٤٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ .. ﴾	الأنفال	٦٤	٣٠٩
﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا .. ﴾	الأعراف	٢٦-٢٧	١٤٥
﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ .. ﴾	الفتح	١٠	٢٢٤
﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ .. ﴾	البقرة	١٨٥	١٩٢
﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ .. ﴾	الإسراء	٧١	١٥٩
﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ .. ﴾	القمر	٤٨-٤٩	٢٧٩

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة

-م-

-ن-

-و-

-ي-

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس الموضوعات

❊ ❊ ❊